موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

البيت السَّعيد و أسس بنائه

الدكتور محمد راتب النابلسي



www.nabulsi.com

info@nabulsi.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي، ولا اعتصامي، ولا توكّلي إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم، رسول الله سيِّد الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ، سمعت أذنٌ بخبر، اللهمَّ صلِ وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وصلِ وسلم عليهم يا رب العالمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الحاجة إلى البيت المسلم المنضبط:



أيها الإخوة المؤمنون... في خطبٍ سابقة تحدَّثت عن موضوع العبادة في اثنتي عشرة خطبة، وعن موضوع الصَبْر في خطبٍ تقترب من العَشر، وعن موضوع الوقت، وها أنا ذا اليوم أطرق موضوعاً أساسياً في حياة المسلم، إنه موضوع " البيت المسلم".

إذا صلح البيت صلح المجتمع، هذا البيت المسلم لو تتبعنا القرآن الكريم، وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام لوجدنا في القرآن الكريم آياتٍ كثيرةً جداً تتحدَّثُ عن البيت ؛ عن الزواج، عن الطلاق، عن التربية، والنبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة يتحدَّث عن البيت المسلم، عن حقوق الأب، عن حقوق الابن، عن حقوق الزوجة.

فيا أيها الإخوة المؤمنون... نحن في أمسِّ الحاجة لأن نضبط بيوتنا، نحن في أمسّ الحاجة لأن نجعل من بيوتنا بيوتاً مسلمة قلْباً وقالَباً، إذا صلح البيت صلح المجتمع.

طرق تأسيس البيت المسلم:

1 – الزواج:

يا أيها الإخوة الأكارم... نبدأ بتأسيس هذا البيت المسلم، حيث يتأسس بالزواج، والزواج كما هو معروفٌ فطرةٌ فطر الله الإنسان عليها، خلق في نفس الرجل حاجةً إلى الزوجة، وخلق في نفس المرأة حاجةً إلى الزوج، فالزواج فطرةٌ فطر الله الناس عليها، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنفية السمحة))

(من مجمع الزوائد: عن " عثمان بن مظعون ")

هذا الشرع الحنيف، هذا الشرع المنطبق على الفطرة، هذا الشرع الذي ينبع من الواقع، هذا الشرع الذي يألَفه الإنسان، ولا يرتاح إلا له، الله سبحانه وتعالى يقول متُحَدِّثاً عن هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية، قال:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾

(سورة الحديد: من آية " 27 ")

هم حينما كتبوها على أنفسهم مبتدعين ما رعوها حق رعايتها.

كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار:

هذا الموضوع أيها الإخوة ينقلنا إلى موضوعٍ في الدين خطير، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار))

(مسلم عن جابر)

فأيّ شيءٍ أُحْدِثَ في الدين ما ليس من الدين فهو بِدْعَة، وكل بدعةٍ ضلالة، والضلالة في النار، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾

(سورة المائدة: من آية " 3 ")

والإكمال من حيث النَوْع، والإتمام من حيث العَدَد، فمجموع القضايا التي عالجها الدين هي قضايا تامَّة، تُغَطِّي كل حاجات الإنسان في رحلته إلى الله عزَّ وجل، ومستوى مُعالجة أي موضوع مستوىً كامل..

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾

لذلك لا يستطيع كائنٌ من كان على مرِّ الأزمان أن يضيف على الدين شيئاً، لأنه دين الله عزَّ وجل، ولاسيما في العقائد والعبادات، ولكن أمور المُعاملات أعطانا الله سبحانه وتعالى آياتٍ عامةً، وسمح للفُقهاء أن يستنبطوا أحكاماً تفصيلية تتعلَّق بأحكام الزمان والمكان.

يا أيها الإخوة الأكارم:

((كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار))

(مسلم عن جابر)

لكن النبي عليه الصلاة والسلام في شأن الدنيا، أو فيما ليس من الدين قال:

((من سنَّ سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سَن سنةً سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة))

(مسلم عن جرير)

أيْ أنه مَن حقق بعض مصالح المسلمين ؛ في مساجدهم، هذه سنةٌ حسنة، له أجرها وأجر من عمل بها، من ابتدع بدعةً مخالفةً لأوامر الدين، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

محاربة الإسلام للرهبانية:

فالإسلام يا أيها الإخوة حارب الرهبانية، والله سبحانه وتعالى أنكرها على من ابتدعوها، قال:

﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾

(سورة الحديد: من آية " 27 ")

وحينما كتبوها على أنفسهم تجاوزاً..

﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((من كان موسراً فلم يتزوج فليس منا))

[الترغيب والترهيب عن أبي نجيح]

ليس في الإسلام رهبانية.

أيها الإخوة المؤمنون... وهؤلاء النفر الذين قدموا إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وسألوا عن عبادته، فاستَقَلّوا عبادتهم إلى عبادته، فَعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

(متفق عليه)

يا أيها الإخوة المؤمنون... الزواج فطرةٌ إنسانية، هكذا فطر الله الناس عليها.

الزواج مصلحة اجتماعية:

شيءٌ آخر، الزواج مصلحةٌ اجتماعية، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾

(سورة النحل: من آية " 72 ")

إذا تناولت الطعام والشراب تحفظ بقاء جسمك، وإذا تزوَّجت تحفظ بقاء نوعك، وإذا عمِلت الصالحات تحفظ بقاء ذِكْرِك، فالإنسان مفطورٌ على حب البقاء جسماً ونوعاً وذِكْراً، تأكل لتعيش، لتبقى مستمر الحياة، وتتزوج ليبقى النوع البشري مستمراً، وتعمل الصالحات ليبقى ذِكْرُك مستمراً..

دقات قلب المرء قائلةٌ لـه إن الحياة دقائقٌ وثوان

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر لـلإنسان عمرٌ ثان

* * *

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾

(سورة النساء: من آية " 1 ")



علماء السُكَّان . في علم الجُغرافيا . اكتشفوا أن نِسَبَ الذكور إلى النساء أعلى بقليل، لأن الرجال مُعَرَّضون للقتل في الحروب، وللحوادث في الأعمال، بينما نِسَب النساء تكون أقل من ذلك بقليل، لذلك الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾

فجاءت كلمة كثيراً مُضافةً إلى الرجال، على كلٍ الزواج مصلحةٌ اجتماعية، حفظاً لبقاء النوع، والزواج يحافظ على الأنساب، الإنسان إذا خالف قواعد الصحة في الطعام والشراب يؤذي نفسه فقط، أما إذا خالف شرع الله في علاقته بالنساء يفسد المجتمع كلَّه، يَنْحَطُّ المجتمع، ينحلّ المجتمع، لذلك الزواج يحفظ الأنساب. والزواج يؤكد الذات، والزواج يهيّئ الاستقرار النفسي لكلا الزوجين، ويحقق الكرامة الإنسانية، هذا من فوائده المعنوية.

الزواج مطهِّر من الآفات الاجتماعية:

ويا أيها الإخوة المؤمنون... الزواج الذي جاء به الإسلام يُطَهّر المجتمع من أكبر آفةٍ تعاني منها المجتمعات اليوم ؛ ألا وهي الانحلال الخلقي، الإباحية، اختلاط الأنساب، انحطاط الإنسان، قذارة الإنسان، إن الزواج قناةٌ نظيفة تُفَرَّغ فيها تلك الشهوة التي أودعها الله في الإنسان، إن الزواج هو الطريق الصحيح لإرواء هذه الرغبة، إن الزواج قوةٌ محرِّكة، فإذا ابتعدنا عن النكاح، واتجه المجتمع إلى السفاح، كان السفاح قوةً مدمرة، بعد أن شرعه الله عزَّ وجل ليكون قوةً محرّكة.

يا أيها الإخوة المؤمنون... يقول عليه الصلاة والسلام مؤكداً هذا المعنى:

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))

أي وقاية.

(متفق عليه عن ابن مسعود)

أيها الإخوة المؤمنون... والزواج أيضاً يُطَهّر المجتمع من الأمراض الوبيلة التي نسمع عنها في الأخبار، والتي نقرؤها في الصُحُف، هذا المرض الخطير الذي دمَّر الحياة الإنسانية، والذي يزداد الذين يصابون به يوماً بعد يوم بسبب الانحلال الخلقي، بسبب ترك الزواج والاتجاه إلى السفاح.

الزواج سَكنٌ:

أيها الإخوة المؤمنون... والزواج فضلاً عن كل ذلك يهيِّئ للزوج سكناً تَسْكُن نفسه إليها، وتسكن نفسها إليه، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

(سورة الروم: من آية " 21 ")

هذه لام التعليل، هكذا فُطِرَ الإنسان..

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

شيءٌ آخر، هؤلاء الأطفال الصغار الذين هم رجال الغَد، هؤلاء الأطفال الصغار الذين هم مَعْقِدُ أمل الأمة، هؤلاء الأطفال الصغار مَن يربيهم ؟ لن ينجح في تربيتهم إلا الأم والأب، ولا شيء يعوِّض عن الأم والأب، فلذلك الزواج ضمانٌ لسلامة الصغار، ولِحُسن تربيتهم، وحسن توجيههم.

أيها الإخوة المؤمنون... يقول بعض الشعراء:

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها أعددت شعباً طَيِّبَ الأعراقِ

* * *

عاطفة الأبوة والأمومة أقدس العواطف:

شيءٌ آخر، الله سبحانه وتعالى أودع في قلوب الرجال عاطفة الأبوة، وأودع في قلوب النساء عاطفة الأمومة، وهاتان العاطفتان من أقدس العواطف في النَوْعِ البَشَري، بل من أشدها تأثيراً .



هناك دوافع كثيرة؛ دافع الأمومة، دافع الطعام والشراب، ودافع الجنس، ودافع الأمومة، كان دافع الأمومة أقوى هذه الدوافع، عن طريق الزواج تتفجَّر هذه الدوافع، تتفجر هذه العواطف المُقدسة، لا يحس الإنسان بهذه العاطفة المُقدسة إلا إذا تزوج، وعرف معنى الأبوة، وعرفت الأم معنى الأمومة، تُصبح امرأة أخرى، ويُصبح الشاب بعد الزواج

إنساناً آخر، انتقل من ذاتيَّته إلى الغَيْريَّة، كان مهتماً بنفسه فأصبح مهتماً بأولاده، كانت مهتمةً بزينتها فأصبحت مهتمةً ببناتها.

يا أيها الإخوة المؤمنون... يؤكد هذا المعنى النبي عليه الصلاة والسلام، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

[ابن ماجه]

ما معنى صالحة ؟ قال:

((إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ))

فأحياناً يحلف الزوج على زوجته يميناً مُعَظَّمةً، لا يروق لها إلا أن تخالف يمينه، هذا أمرٌ عجيب !! المرأة الصالحة إن أمرها أطاعته...

((وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

هذه المرأة الصالحة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

(أحمد)

كيف نختار الزوجة ؟ وما عوامل الاختيار ؟

يا أيها الإخوة المؤمنون... شيءٌ آخر، هذه مقدمةٌ عن أن الزواج فطرة، وعن أن الزواج مصلحةٌ اجتماعية، وعن أن للزواج فوائد لا تعد ولا تحصى، لأنها سنةٌ نبوية، ولكن الشيء الخَطير الآن الذي يعنينا في هذه الخطبة، كيف نختار الزوجة ؟ وهذا الكلام موجةٌ بادئ ذي بَدْء للشباب، أو موجَّهٌ لأولياء البنات، وأولياء الشباب، إما أن تتزوج، وإما أن تزوج، فكل من له بنتٌ أو له شابٌ، أو كل شابٍ وشابةٍ معنيٌ بهذا الخطب.

الدِّين:

النبي عليه الصلاة والسلام جعل العامل الأول والحاكم في اختيار الزوجة هو الدين، فقال عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

(متفق عليه)

في حديثٍ آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((من تزوج المرأة لعزِّها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءةً، ومن تزوج امرأةً لم يُرِد بها إلا أن يغض بصره، ويحِّصِّن فرجه، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه))

(من الدر المنثور عن أنس)

لذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول إذا التقى بزوجٍ:

((بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ، وَبَارَكَ عَلَيْكُمْ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ))

(ابن ماجه عن أبي هريرة)

كيف يتم الزواج ؟

شيءٌ آخر، كيف يتم الزواج ؟ يتم بسؤالٍ عارض، استقصاءٍ ساذَج، بمعلوماتٍ محدودة، بوقفةٍ عارضة، هذا خطأٌ كبير، دققوا معي، وهذه القصة أتلوها عليكم كثيراً، ولكن الآن أتلوها عليكم بشكلٍ تفصيلي:

سيدنا عمر جاءه رجلٌ يشهد لرجلٍ آخر، فقال عمر: أتعرف هذا الرجل ؟ . قال: نعم.. قال: هل أنت جاره الذي يعرف مُدْخَلَه ومُخْرَجَه ؟.. قال: لا.. قال: هل صاحبته في السفر الذي تُعرف به مكارم الأخلاق ؟ . قال: لا.. قال: هل عاملته بالدرهم والدينار الذي يُعرف فيه ورع الرجل ؟.. قال: لا.. فصاح فيه عمر وقال: علَّك رأيته قائماً وقاعداً يصلي في المسجد، يرفع رأسه تارةً ويخفضه أخرى؟ . قال: نعم.. قال له عمر: اذهب فأنت لا تعرفه.

كم من زواجٍ بُنِيَ على شهادةٍ عابرة، على شهادةٍ ساذجة، على قولٍ سخيف: أنه آدمي، فإذا به رجل خبيث، بعيد عن الدين، منحرف الأخلاق، يشرب الخمر. فلذلك إذا تحققت من أخلاق الشباب الخاطب يجب أن تتحقَّق فعلاً لأنه قبل أن تقول: نَعم، يجب أن تبحث جيداً وإلا تندم ندماً شديداً.

يا أيها الإخوة، هكذا فعل عمر، قال له: هل صاحبته في السفر ؟ في السفر تُعْرَف مكارم الأخلاق، هل عاملته بالدرهم والدينار؟ بالدرهم والدينار يعرف ورع الرجل، هل جاورته ؟ إذا جاورته تعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا، قال: لعلك رأيته يصلي في المسجد يرفع رأسه تارةً، ويخفض أخرى ؟ قال: نعم، قال: أنت لا تعرفه، يا رجل ائتني بمن يعرفك، هذا لا يعرفك.

هكذا إذا طرق بابك خاطب، ابحث عنه جيداً، لأن هذه البنت أمانةٌ في عُنُقِك، ولن ترتفع عنك المسؤولية إلا إذا أحسنت اختيار زوجها، لن ترتفع عنك المسؤولية إلا إذا أحسنت اختيار الزوج المؤمن لها، لأن البنت التي يسرع أبوها في تزويجها من رجلٍ منحرف تأتي يوم القيامة وتقول: " يا رب، لن أدخل النار حتى أُدخِلَ أبي قبلي، لأنه كان السبب في انحرافي "، فالإنسان قبل أن يزوِّج عليه أن يبحث جيداً.

إن الله ينظر إلى قلوبكم لا إلى صوركم:

شيءٌ آخر، إن الله عزَّ وجل لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وكلما تقرأ القرآن الكريم تقول: صدق الله العظيم، ألم يقل الله لك:

﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

ألم يقل الله لك:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

(سورة البقرة: من آية " 221 ")

هذا مقياس القرآن الكريم، لذلك اختيار الزوجة يجب أن يتمَّ على أساس الدين، فإذا تم على أساس الدين فنعمت الزوجة.

يسِّروا سبل الزواج:

شيءٌ آخر: هذا الخطاب موجَّهٌ للشباب، أما إذا وجَّهنا الخطاب إلى أولياء الفتيات، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

(الترمذي)

يحل السِفاح مَحَلَّ النكاح إذا أرهقت الزوج، الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، في إشارات دقيقة جداً، ماذا قال سيدنا شعيب لسيدنا موسى حينما زوَّجه ابنته، قال:

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾

(سورة القصص: من آية " 27 ")

هذه إشارةٌ بليغةٌ من الله عزَّ وجل في هذا الموضوع.

اختيار الأم الصالحة:

الشيء الآخر، يجب أن تختار لأولادك الأم الصالحة، من أسرةٍ صالحة، من بيئةٍ طيّبةٍ طاهرة، من تربيةٍ راقية، من أصلٍ شريف، لذلك سيدنا عمر سُئِلَ مرةً: ما حق الابن على أبيه ؟ ياله من عبقري ! فقال عمر رضي الله عن عمر: " أن يحسن انتقاء أمه . أول حقٍ يترتَّب للابن الذي لم يولَد بعد على أبيه أن يحسن اختيار أمه . وأن يحسن اسمه، وأن يعلِّمه القرآن "، هذا من حقوق الابن على أبيه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ...))

(متفق عليه)



اختر البيت الراقي، اختر البيت الذي فيه تربيةٌ عالية، البيت الهادئ، البيت الذي فيه عِلْم، فيه خُلُق، فيه حياء ...

((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ...))

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ))

(ابن ماجه)

يجب أن تختار لابنتك من هو كفء لها، وبحث الكفاءة في الزواج بحثٌ طويلٌ في الفقه..

((تخيَّروا لنطفكم، فإن العرق دسَّاس))

(من تخريج أحاديث الإحياء عن السيدة عائشة)

هذه كلها أحاديث شريفة:

((تخيَّروا لنطفكم، فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن))

(من الجامع الصغير عن السيدة عائشة)

((تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس))

(من تخريج أحاديث الإحياء عن أنس)

شيءٌ آخر، أحد الصالحين نصح ابنه فقال: " يا بني، الناكح مُغْتَرِس، فلينظر المرء حيث يضع غَرسَهُ، والعِرْقُ السوء قلَّما ينجب، فتخيروا ولو بعد حين "، لو تأخر الزواج، لا تُسرع في هذا الموضوع، تخيروا ولو بعد حين.

الاغتراب في الزواج:

أيها الإخوة المؤمنون... عاملٌ آخر في نجاح الزواج، الاغتراب في اختيار الزوجة، قبل سنواتٍ عِدَّة عُقِدَ في دمشق أسبوعٌ للعلم، وهذا يعقد كل عام، وقد كان موضوع الاختصاص في الطب " تحسين النسل "، وقد جاء أطباءٌ كُثُر ومتفوقون من شتى أنحاء العالم، وألقوا محاضراتٍ في أحدث ما توصل إليه العلم في تحسين النسل، في نهاية كل هذه المحاضرات وقف رئيس المَجْمَع العلمي العربي رحمه الله تعالى، وصاح صيحةً قال: مُلَخَّص كل هذه المحاضرات حديثٌ واحدٌ قاله النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((اغْتَرِبُوا، لاَ تُضْوُوا))

(من مجمع الأمثال)

أيْ لا تضعفوا، لأن الأقارب إذا تزاوجوا ؛ الضعف في البنية يكرَّس، بينما إذا تباعدوا، إذا تباعد الزوجان الأقوى يغلب الأضعف، لذلك إذا شئنا جيلاً قويَّ البُنْيَة، نجيباً، ذكياً فليكن الزواج من الأباعد، فنجابة الولد ضمانٌ لسلامة جسمه من الأمراض السارية، والعاهات الوراثية، وتوسيعاً لدائرة التعارف، وتمتيناً للروابط الاجتماعية، قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تنكحوا القرابة، فإن الولد يُخلق ضاوياً))

(من تخريج أحاديث الإحياء)

ضعيفاً، هزيلاً، فيه أمراضٌ كثيرة..

((اغْتَرِبُوا، لاَ تُضْوُوا))

(من مجمع الأمثال)

هذا عاملٌ ثالث، عامل الدين، وعامل الشرف والأصالة، وعامل الابتعاد والاغتراب في الزواج.

اختيار الأبكار:

بقي كما قال عليه الصلاة والسلام:

((تفضيل الأبكار))

لأن المرأة الأيّم لها زوجٌ سابق، وللزوج السابق أقرباء، وهناك خصومات ومشكلات كثيرةٌ جداً، فالنبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا، وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ ؟ قَالَ: فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا، تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا))

(صحيح البخاري)

فهي أرادت بهذا المثل أن تبرز للنبي عليه الصلاة والسلام فضلها على بقية زوجاته، شأن كل امرأةٍ تَغار على زوجها.

عَن عُتْبَةَ بْنِ عُوَيْمِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ، فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا ـ أي لهنّ كلامٌ طيبٌ مع أزواجهن ـ وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا ـ أي يلدن، هذه أكثر احتمالاً في الولادة من غيرها ـ وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ))

[ابن ماجه]

أربع صفاتٍ تتميز بها البِكر عن الثيب ؛ أعذب أفواهاً، أي لها كلامٌ طيبٌ مع زوجها، هذا تفسير الحديث، كلامها كالعسل، وأنتق أرحاماً، وأقل خباً ـ أي خبثاً ـ وأرضى باليسير.

شيءٌ آخر، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ:

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا ؟ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَنَهَاهُ، فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ))

[النسائي، أبو داود]



الولود الودود، أي أجمل ما في المرأة ودُّها لزوجها، والتي تقسو عليه في الكلام، وتُهمل حاجاته هذه امرأةٌ لا ترضي أي زوج، مقياس النبي عليه الصلاة والسلام " الولود الودود "، هذا الكلام موجهٌ إلى كل شابٍ أعزب، وإلى كل أبٍ عنده فتياتٍ للزواج، أو إلى كل أبٍ عنده شبابٍ للزواج، هذه مقاييس الزواج.

أيها الإخوة المؤمنون... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن مَلَك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطَّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

ثمن غضّ البصر:

أيها الإخوة المؤمنون... أما المتزوجون فالله سبحانه وتعالى شرع في كتابه ما يُسَمَّى بِحُكْمِ غض البصر، فقال الله تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

(سورة النور: من آية " 30 ")

الثمن الأول: الوفاق الزوجي:

كأن الله جعل ثمن الوفاق الزوجي، والسعادة الزوجية، جعل ثمن هذا غض البصر، فمن غضَّ بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوةً في قلبه إلى يوم يلقاه، هذا الثمن الأول.

الثمن الثاني: الرضا بقسمة الله في الزوجة:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

(سورة النساء)

إذاً هذه الآية الكريمة:

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة)

هذا الذي يرضى بقسمة الله له، والزوجة من قِسمة الله له، هذا الذي يرضى يكتشف النواحي الإيجابية، من علامات الأذكياء، من علامات الموفَّقين في حياتهم، من علامات أولئك الرجال الناجحين أنهم يكتشفون النواحي الإيجابية في زوجاتهم، فإذا نظرت إلى النواقص فأنت أشقى الأزواج، أما إذا نظرت إلى الميّزات والفضائل وتغاضيت عن النواقص فأنت أسعد الأزواج، ماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكْ . أي لا يكره . مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

[مسلم]

اكتب على ورقة الميزات، واكتب المَثالب، فإذا رجحت فهي صفقةٌ رابحة.

الثمن الثالث: الاستقامة ثمة المودة:

شيء آخر، كلَّما حَسَّنت صلتك بالله عزَّ وجل، وكلما استقمت على أمره، وكلما أقمت الشرع في بيتك، خَلَقَ الله لك المودة بينك وبين زوجك، هذه تُخلَق خلقاً، والدليل:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ﴾

مَن فاعل جَعَل ؟ الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم: من آية " 21 ")

فإذا ائتمرت بأمر الله، وانتهيت عما عنه نهى في بيتك، تولَّى الله في عليائه هذا الوفاق الزوجي، تولى الله في عليائه هذا الوفاق الزوجي. وإذا بُنِيَ الزواج على معصية الله، إذا أرضيت الزوجة وعصيت الله، إذا استحييت من الناس ولم تستحِ من الله، إذا تساهلت في أوامر الدين، إذا تساهلت في خروج زوجتك بشكلٍ لا يرضي الله عزَّ وجل،



عندئذٍ تُخْلَق المشكلات في البيت خَلْقاً، عندئذٍ يتولى الشيطان التفريق بينهما، يتولى الشيطان الخلاف الزوجي، والشقاق الزوجي، والمُشاحنات، والكراهية، والبغْضاء، والسُباب، والشتائم، والكلام الكبير، ويدفع الصغار ثمن كل هذا، لذلك إذا بني الزواج على طاعة الله تولّى الله التوفيق بين الزوجين، وإذا بني على معصية الله تولى الشيطان التفريق بينهما، وفي القرآن الكريم آية تبثُّ الطمأنينة في كل زوج والبشرى. قوله تعالى:

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾

(سورة الأنبياء: من آية " 90 ")

إذاً الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يُصلح لك زوجك، مِن هنا قال أحد الأئمة، وأظنه الإمام الشعراني، قال: " **إنني أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي** ".

الدعاء

اللهمَّ اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارِك اللهمَّ لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك.

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها مَعاشُنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردُّنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خَير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر، مولانا رب العالمين.

اللهمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيا، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، واقبل توبتنا، وفكَّ أسرنا، وأحسن خلاصنا، وبلّغنا مما يرضيك آمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا، مولانا رب العالمين.

اللهم هَب لنا من أزواجنا وذرِّياتنا قرَّة أعين، واجعلنا للمتقين إماما يا أرحم الراحمين.

اللهم يا أكرم الأكرمين أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، و أعزَّ المسلمين، وخذ بيد ولاتهم في مشارق الأرض ومغاربها إلى ما تحب وترضى، إنه على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول : تمهيد

الدرس (1-1) : نظام القيادة

الدرس (1-2) : فطرة الآباء

الدرس (1-1) : نظام القيادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

اعلم هذا أيها الزوج :

أيها الأخوة الكرام، باب جديد من أبواب رياض الصالحين, من كلام سيد المرسلين، عليه أتم الصلاة والتسليم، اسمه: باب حق الزوج على المرأة .

أيها الأخوة الكرام، نظام القيادة في الحياة, أن لكل مؤسسة قائداً واحداً، مستشفى له مدير، ثانوية لها مدير، وزارة لها وزير، أية مؤسسة، أي تجمع, لا بد له من قائد يملك القرار ، وهذه الأسرة خلية من خلايا المجتمع، مؤسسة من مؤسسات المجتمع، لا بد لها من واحد يعطي الأمر، طبعاً: هذا الواحد يجب أن يكون أعقلها وأكملها، وأوسعها أفقاً، وألينها عريكة، وأطيبها نفساً، فربنا عز وجل جعل من الرجل الذي ميزه الله بأشياء كثيرة, تؤهله ليكون قائداً لهذا البيت .



أيها الأخوة, لكن النقطة الدقيقة جداً هي: أن هذه القوامة درجة واحدة، تريدها متزينة أمامك ينبغي أن تتزين لها، تريدها أن تحترم أمك وأباك، ينبغي أن تحترم أمها وأبيها، تريدها أن تكون وفية لك كن وفياً لها، تريدها أن تكون صابرة كل مما تأكل، لا تأكل أنت في المطاعم, وتدع لها أخشن الطعام .

حينما تكون مؤمناً، حينما تطبق شرع الله عز وجل، أو حينما تزكي نفسك، حينما تتصل بربك، حينما ترقى، لا تسمح لنفسك أن تعاملها معاملة دونك، تطعمها مما تأكل، تلبسها مما تلبس، تحترم أمها وأباها, كما أنك تريد منها أن تحترم أمك وأباك، تدلها على الله، كما أنك سعيد بمعرفة الله، تسمح لها لطلب العلم، كما أن العلم زكاك ورفعك، تسمح لها أن تطلب العلم، لها ما

لك، وعليها ما عليك، هي مساوية لك في التشريف, والتكليف, والمسؤولية، مساوية لك في أن لها عند الله مكانة لا تقلُ عنك أبداً، تأمرها وتأمرك، تنصحها وتنصحك، تدلها وتدلك، ترقى بها وترقى بك، أرأيت إلى هذه المساواة؟ .

أيها الأخوة, لكن لحكمة بالغة أرادها الله عز وجل, لا بد لهذا البيت من قائد، فأعطاك مرتبة القيادة، إذا كان هناك فرقة عسكرية، فيها لواء وعميد، نمنح القيادة للواء، والعميد تحت جناحه، لكن الثاني ليس مجندا، هو عميد، بينهما درجة ورتبة واحدة، فإذا ظننت نفسك بينك و بينها من السماء إلى الأرض, فأنت جاهلي، لا تعرف الحقيقة .

إليك أيتها المرأة, واسمع أيها الرجل :

أيها الأخوة, إنسان مكرم، مكلف, مسؤول، محاسَب، قد يسبقك عند الله عز وجل، أول من يمسك حِلق الجنة أنا, -أول إنسان يدخل الجنة هو النبي-, فإذا امرأة تنازعني, تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت:

((من هذه يا جبريل؟ قال: هذه امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم))

أحياناً: امرأة صالحة, مؤمنة, تقية, عفيفة، واللهِ امرأة من هذا النوع، واللهِ قلامة ظفرها تساوي مليون رجل متفلت، امرأة ترعى زوجها، وأولادها، وتحسن إليهم، تيسر لهم طريقهم، حياتهم، طعامهم، شرابهم .

فذلك: قال عليه الصلاة والسلام:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي مَن دونك من النساء , أن حسن تبعل المرأة زوجها , يعدل الجهاد في سبيل الله))

جهاد، والجهاد كما قال عليه الصلاة والسلام:

((أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ, وَعَمُودِهِ, وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ, قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ))

أعلى شيء في الإسلام, أن تقدم حياتك في سبيل الله عز وجل، والمرأة التي تحسن تبعل زوجها وأولادها, في مرتبة المجاهد يوم القيامة، علموا هذا نساءكم، علموا هذا فتياتكم، علموا هذا بناتكم.

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي مَن دونك من النساء , أن حسن تبعل المرأة زوجها , يعدل الجهاد في سبيل الله))

إياك أن تستخف بها، إياك ألا تلقي لها بالاً، إياك أن تزور عنها، هي إنسان كريم، لها عند الله شأن كبير . واللهِ هناك امرأة أنصارية، أنا أقسم بالله ولا مئة مليون رجل, يرقى إلى مستواها، في معركة أحد أشيع أن النبي قد قُتل، فخرجت إلى ساحة المعركة، فإذا أبوها مقتول، لم تعبأ، فإذا زوجها مقتول، فلم تعبأ، تقول:

((ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا ابنها مقتول، لم تعبأ، تقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أخوها مقتول، أبوها، وأخوها، و زوجها, وابنها، وتقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، -قلقة عليه-، فلما طمأنوها, أنه على قيد الحياة, قالت: أروني أنظر إليه، فلما رأته حياً, قالت: يا رسول الله, كل مصيبة بعدك جلل))

هل منا واحد عنده مثل هذه المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ .

فيا أيها الأخوة الكرام، لا تزدري المرأة، لا تقل: هذه امرأة، وأنت أيضاً رجل، لا تزدري المرأة، فهي مكرمة عند الله، الله هيأها بشكل، بجسم، بنفسية، بعقلية، بعاطفة، أنت تتكامل معها، تكمل نقصك بها فتسكن إليها، وتكمل نقصها بك فتسكن إليك.

أنا أتمنى أن يكون بيت المسلم جنة، قد يكون البيت صغيراً، والطعام خشناً، والثياب رخيصة جداً، ولكن هناك ود بين الزوجين.

إليكم هذه الأحاديث التي توصي النساء بالرجال :

أيها الأخوة, أحاديث كثيرة توصي الرجال بالنساء، وأحاديث كثيرة توصي النساء بالرجال .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً – أي لا يكرهها-, إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

قال تعالى:

﴿وعاشروهن بالمعروف﴾

[سورة النساء الآية: 19]

قال علماء التفسير:

((ليست المعاشرة أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها))

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, أن رسول الله صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا, أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ, لَأَمَرْتُ الزوجة, أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا))

[أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة]

لعِظم حقه عليها .

طبعاً: السجود خضوع، لذلك: المرأة دينها يسير، أربعة أرباع، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا, قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط, والإمام أحمد في مسنده]

إذا صلت المرأة خمسها ربع، وصامت شهرها ربع ثان، وحفظت نفسها ربع ثالث، وأطاعت زوجها, دخلت جنة ربها، ويمكن أن يكون دين الرجل مئة ألف بند، إذا باع بيعة بعقدين، إذا أطلق بصره، إذا حلف يمينا كاذبة، قواعد الشرع كبيرة جدا، فأنت مكلف بمنهج تفصيلي، أما هي ففي بيتها، تصوم شهرها، وتصلي خمسها، وتحفظ نفسها، وتطيع زوجها، تدخل جنة ربها .

حديث آخر: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ, قَالَتْ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ, وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ, دَخَلَتْ الْجَنَّةَ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

هذه الأحاديث ينبغي أن تعرفها النساء، لأن رضى زوجها عنها جزء من دينها، والله عز وجل يرضى عنها، بل إن المرأة التي تسترضي زوجها، وهي مظلومة, لها عند الله مكانة كبيرة جداً، رأبا للصدع، ولمَّا للشمل، تحقيقا للسعادة الزوجية .

أصغ السمع إلى هذا القانون الرباني :

أيها الأخوة, المسلم بحاجة إلى أن يتفقه أمر دينه، وإلا مع الجهل, تصبح بيوت المسلمين جحيماً، كلام قاس، نظرات قاسية، تفلت من منهج الله، فالله عز وجل يغري بينهما العداوة والبغضاء، والقانون معروف، كل بيت فيه تقصير .



قال أحدهم –واسمحوا لي بهذه الكلمة–, قال أحدهم لصاحبه: نحن بألف خير، فقال الثاني: لا، والله لسنا في خير، فقال: لمَ؟ ما ينقصك؟ قال: لا أنام حتى أرى عشرين امرأة أجمل من زوجتي على الشاشة، ولا تنام هي حتى ترى عشرين رجلاً أجمل من زوجها، أين نحن والخير؟ ما دام هناك إطلاق بصر إلى الشاشة, معنى ذلك: أن هناك امرأة أجمل بكثير، فينصرف الإنسان عن زوجته، يراها أسوأ زوجة، وهي تراه أسوأ زوج، هدِم البيت، حتى نعيش مع الحضارة ونتنور، ونرى ما يحدث في العالم، لكن أنت خربت بيتك، هذا أكبر شيء هدم بيوت المسلمين، يتابع ما يُعرض على الشاشة، وإذا كان عنده صحن هوائي, فالأمر خطير .

فلذلك: قضية السعادة الزوجية شيء ثمين، له ثمن باهظ، الثمن الباهظ غض البصر، وبعد غض البصر, يتولى الله عز وجل التوفيق بين الزوجين، إذا بني الزواج على طاعة, و لو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه, تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، فإذا بني على معصية الله, ولو توافرت له كل أسباب النجاح, يتولى الشيطان التفريق بينهما .

جرّب، غض بصرك بحزم أسبوعاً، وامتنع عن مشاهدة أي شيء على الشاشة، و انظر كيف تعامَل من قِبل الله عز وجل, وانظر كيف تكون زوجتك لك, وكيف يخلق الله الودِ بينكما, وتغدو أسعد زوج, وتغدو هي أسعد زوجة .

وحينما تنظر إلى غيرها، والتي عندك لها خمسة أولاد، وامرأة شريفة، من عائلة راقية، ما تدربت على أساليب إغراء الرجال مثل بعض الشركات، هؤلاء كلهن مومسات, يتدربن بأساليب علمية على أساليب إغراء الشباب والرجال، زوجتك شريفة، من عائلة طاهرة ، مستقيمة، ليس عندها الأساليب التي تراها أنت، فلذلك: إذا كان عندك البديل, انتهت زوجتك من حياتك، هذا كلام علمي، إذا أردت سعادة زوجية, فعليك بطاعة الله عز وجل .

اعتقد هذا الحق :

أيها الأخوة, هناك شيء ثان، أنا أعتقد، ولا أتمنى أن يكون الأمر كذلك: مَن منكم أيقن بالحور العين؟ لا أحد، مع أنه حق، إذا غض الإنسان بصره في الدنيا, فيما يبدو أنه حرم نفسه أن يستمتع بمفاتن النساء، وغض بصره، له عند الله في الجنة من الحور العين, ما تحار بها الألباب، على أبد الآبدين .

أحد الصحابة طلبت منه زوجته حاجة، فقال لها:

((اعلمي يا امرأة, أن في الجنة من الحور العين, ما لو أطلت إحداهن على الأرض, لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحي بكِ من أجلهن, أهون من أن أضحي بهن من أجلكِ))

ليس في الإسلام حرمان، ولكن هناك قناعة، الله عز وجل قسم لك هذه الزوجة، هذه هدية من الله، إذا غضضت بصرك عما سواها في الطريق, وعلى الشاشة، الله عز وجل يخلق من عنده ودًّا بينكما، تراها أفضل زوجة، وتراك أفضل زوج، فإذا كان بينكما ود, نشأ الصغار على صحة اجتماعية عالية جداً، قد يكون البيت قطعة من الجنة، وهو بيت متواضع .

دخلت بيتاً مرة, أول جادة من فوق، الأرض إسمنت ليس فيه بلاط، والله البساط رخيص، ولكنه نظيف، بيت متواضع، عبارة عن غرفتين, ومشرقة –بالتعبير القديم–, وأثاث متواضع جداً، ولكن شعرت أن هذا البيت قطعة من الجنة، لأن فيه طاعة لله، فيه صلوات، بيت فيه السلام عليكم، بيت فيه تسمية .

أدخل السعادة إلى بيتك :

أيها الأخوة, جاء في الحديث, عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ, أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ, فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ, وَعِنْدَ طَعَامِهِ, قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ, قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ –طوال الليل شجار بين الزوجين–, وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ, قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ))



إذا دخلت وقلت: السلام عليكم, هرب الشيطان، جلست إلى الطعام: بسم الله، وجدت شيئاً طيباً في البيت, أثنيت على زوجتك، صليتم جماعة، وقرأتم القرآن، صار البيت رحمانياً ، أما إذا كان هناك مسلسلات، وصحون، وكلما اتسعت الصحون على السطوح, ضاق صحون المائدة، ليس هناك عمل، بضاعة كاسدة، لأنك كبّرت الصحن على السطح، فصغر صحن الأكل، كلما رخص لحم النساء, غلا لحم الضأن، كلما قلّ ماء الحياء, قل ماء السماء. فلذلك: أيها الأخوة, قضية السعادة الزوجية مهمة جداً، هي أساس السعادة في الدنيا، هذا بيتك، أول خلية اجتماعية، زوجتك, وأولادك، إذا كان البيت متماسكاً، وفيه ود، ومحبة, و تعاون، ينعكس هذا التفاهم على الأولاد، يقال: هذا الإنسان تربيته عالية، ولو لم يكن ملتزماً كثيراً, لا يؤذي أحداً، تربى في بيت إسلامي، لو كان الابن غير ملتزم إلى حد ما, لكن في قلبه رحمة, وشفقة، وخوف من الله، أسعد شيء أن يكون بيتك إسلامياً، زوجتك مؤمنة، أنت مؤمن، في البيت ذكر لله عز وجل، ليس البيت قبراً، البيت روضة من رياض الجنة، فإذا دخل الإنسان وسلّم، وجلس, وسمّى، ورأى شيئاً جميلاً في البيت, فأثنى على زوجته، وربّى أولاده، وحفظهم كتاب الله، وجلس معهم, فهذه سعادة .

كلام من الواقع :

أيها الأخوة, دخلت مرة بيتاً, يريد أحد الأخوة أن يشتريه، فطلب مني أن أراه، فقبلت ذلك، دخلنا الغرفة، وكان الرائي (التلفاز) مفتوحاً، وأمامه طفل مضطجع على ظهره، واضعاً رجلاً فوق رجل، ولم يتحرك لما دخلنا، ومعي أبوه، هذا الرائي وحش .

وقد قال أحدهم لهذا: أخرجت الوحش من بيتي، من هو الوحش؟ فقال: ضيف زارنا، وضعناه في صدر البيت، أصغينا له ساعات طويلة، أنا وزوجتي وأولادي، كرمناه تكريماً كبيراً، بعد حين اكتشفت أن هذا الضيف وحش، أقام علاقة متينة جداً بينه و بين أولادي، على حساب علاقتهم معي، أقام علاقة طيبة جدا بينه وبين زوجتي وأولادي، وأنا أصبحت مهمتي أن آتي لهم بالطعام فقط ليأكلوه, وهم مع الوحش، مهمتي أن آتي لهم بالطعام، ثم اكتشفت أنه ما لم أطرد هذا الوحش من بيتي, يقضي علي وعلى أسرتي .

شيء خطير: يوم كنا صغاراً, إذا ذهب أحدنا إلى فيلم السينما, كان يعاقَب من أشد أنواع العقاب .

الآن: في كل بيت ملهى ليلي، هذه بيوت المسلمين، شيء مؤلم جداً، فإذا لم يقم الإنسان الإسلام في بيته، ما ربّى الأولاد تربية إسلامية، ولم يكن في البيت طهر وعفاف، ذكر لله، وتلاوة القرآن، وإقامة الصلوات، وفيه روحانية الإسلام، فيه تجليات من الرحمن، هذا البيت قطعة من الجحيم، كله مشاكل, وصخب, وضرب, وتكسير, وسبّ، وطرد على بيت الأهل، وحرد، هذا من فعل الشيطان، أما إذا كان هناك طاعة للرحمن, اختلف الأمر .

أخواننا الكرام، لا أحب أن أطيل عليكم، ولكن أحب أن يكون بيتكم إسلامياً، بالتوبة، بغض البصر، بالصدق، بتربية الأولاد، أداء الصلوات، أيقظها على صلاة الفجر، هل صلى المسلمون الفجر؟ تعشى الأولاد؟ نعم، سرور، قال لها: هل صلوا العشاء؟ لا يسألها، لكن يسألها عن الأكل وكتابة الوظائف فقط، هذا البيت المسلم .

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً. والحمد لله رب العالمين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (1-2) : فطرة الآباء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيِّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومَن والاه ومَن تبعه إلى يوم الدين، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيءٍ قدير ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الطّبع و التّكليف :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في البيت المسلم ، لو أن الإنسان تأمَّل في تلك الطبيعة البشرية التي طُبِعَ الإنسان عليها ، كيف أن الأب والأم مفطوران على حُبِّ الوَلَد ، فإن كل رعايتهما ، وكل عطفهما ، وكل حنانهما ، وكل رحمتهما إنما هي فطرةٌ فُطِرا عليها ، فليس في القرآن الكريم آيةٌ واحدة تدعو الآباء والأمهات إلى أن يرحموا الأبناء ؛ لأن هذا فطرة في طبع الإنسان ، رحمة بهذا الإنسان ، و لأنه استمرار للنوع الإنساني ، وضمان لتربية الصغار ، أودع الله عز وجل في كل أبٍ وفي كل أم دَفْقَةً من العطف ، والحنان ، والرحمة ، والعناية ، والشفقة ، والرأفة بأولادهما .



ولكن بر الآباء تكليف ، والآن نستخدم هذين المصطلحين ؛ طبعٌ وتكليف ، رحمة الآباء بالأبناء طبعٌ ، وبرُّ الأبناء بالآباء تكليف ، ومن أجل أن تتحقّق العدالة فكل أبٍ كان طِفلاً ، تلقى رحمةً من أبويه ، تلقى عطفاً ، وعليه أن يَرُدَّ هذا الذي تلقَّاه منهما بحكم الفطرة عليه أن يردّه بحكم التكليف .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ لو تأمَّلتم في بديع صُنع الله عز وجل ، أية أم ؛ مؤمنةٌ ، غير مؤمنةٍ ، مستقيمة ، غير مستقيمة ، تعرف الله ، لا تعرف الله ، أية أم أودع الله في قلبها العطف والرحمة والحنان ، ضماناً لتربية الأولاد ، استمراراً للنوع البشري ، هذه فطرةٌ في الإنسان ، والشيء الذي فُطِرَ عليه الإنسان لا يُكَلَّفُ به ، فالإنسان مفطورٌ على حب الطعام والشراب ، فإذا أقبل على الطعام والشراب لا يرقى بهذا لأنه مفطورٌ عليه، مفطورٌ على حب المال ، فإذا أخذ المال لا يرقى ، ولكن دفع المال تكليف ، أن ينظر إلى امرأةٍ في الطريق هذا مما حَبَّب الله إليه. .

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾

[سورة آل عمران : 14]

ولكن غَضَّ البصر تكليف ، والإنسان لا يرقى إلا بالتكليف ، إذا عاكس فطرته، إذا عاكس ما أودعه الله فيه ابتغاء مرضاة الله عز وجل عندئذٍ يرقى ، يرقى الإنسان بغض البصر ، ويرقى بدفع المال ، ويرقى ببر الوالدين ، ويرقى بالسُكوت عن الغيبة والنميمة ؛ طبيعة النفس تحب أن تسترسل في الحديث عن الناس ، فإذا ألجمها الإنسان يرقى ، التكاليف في أصلها تُخالف طبيعة النَفْس ، من أجل أن يرقى الإنسان إلى الله عز وجل ، فبر الآباء بالأبناء طبعٌ ، ولكن بر الأبناء بالآباء تكليف . فلذلك لو تأمَّلتم صنع الله عز وجل لوصلتم إليه ، ولو تأمَّلتم طبيعة الإنسان ؛ كيف أن الأب والأم شغلهما الشاغل ، أهدافهما ، طموحاتهما ، أن يكون أبناؤهما في أجمل حال ، في أهدأ حال ، في أرقى حال ، هذا من عجيب صُنْعِ الله عز وجل ، أودع في قلوب الآباء والأمّهات تلك الرحمة ، وأمر الأبناء أن يردّوا على هذه الرحمة ، ببر الآباء والأمهات.

مخالفة النفس و الهوى سبب رقي الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾

[سورة آل عمران : 14]

فالابن محبوب . آيةٌ ثانية :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾

[سورة الكهف : 46]

﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾

[سورة الإسراء : 6]



هذه نعمةٌ يَستحق الله عليها الشُكر ، والدعاء القرآني:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

[سورة الفرقان : 74]

لا تقر العين إلا إذا كانت الزوجة صالحةً ، والابن باراً ، هذه طبيعة الإنسان ، هذه فطرة الله التي فطرَ الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله .

إذاً : يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ من خلال هذه المقدمة التي ملخصها أن محبة الآباء للأبناء طبعٌ ، بينما برّ الأبناء بالآباء تكليف ، والطبع لا ترقى به ، إقبالك على الطعام لا يجعلك ترقى عند الله عز وجل ، إطلاق البصر في المُحَرَّمات هذه معصية ولا ترقى بها ، لكنك ترقى بغض البصر ، قبض المال لا ترقى به ، ولكنك ترقى بإنفاق المال ، أن تحب الشيّء الآجل لا ترقى به ، الله سبحانه وتعالى خَلَقَ الإنسان عجولاً ، فإذا آثر العاجلة على الآجلة يرقى، في ملَخَّص الموضوع أن الإنسان لا يرقى إلا إذا خالف نفسه وهواه .

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

[سورة النازعات : 40-41]

ضرورة معرفة حقّ الكبير و رحمة الصغير :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ما دامت الرحمة بالأولاد شيءٌ فطر الله الناس عليه ، إذاً من لم يجد عنده هذه الرحمة فهذه حالة شاذة ، حالة مرضية ، النبي عليه الصلاة يقول في حديثٍ صحيح ، رواه الإمام الترمذي :

((ليس منا))

أي نفى انتماءه للإسلام ، أيْ ليس مسلماً ، وحيثما قرأتم في الأحاديث الشريفة أحاديث كثيرة مفتتحة بقوله عليه الصلاة والسلام :

((ليس منا))

فهذا شيءٌ من الكبائر الذي ينفي عن المُسلم إسلامه ، وينفي عن المؤمن إيمانه ، بل ينفي أن ينتمي مثل هذا الإنسان الذي يفعل هذا الفِعل إلى مِلَّة النبي عليه الصلاة والسلام :

((من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا فليس منا))

[من الدر المنثور عن عبد الله بن عمرو]

الكبير يُعرف حقه ، يحترم ، والصغير يُرْحَم ، هذا مما أراده النبي عليه الصلاة والسلام تقريراً لفطرةٍ فطر الناس عليها .

شعور الأب نموذجٌ مصغرٌ جداً عن رحمة الله سبحانه وتعالى :

شيءٌ آخر . . الإمام البخاري روى عن أبي هريرة رضي الله عنه حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

((أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ – أتى النبي مفعول به مُقَدَّم ، أي أتى رجلٌ النبي عليه الصلاة والسلام – ومعه صبيّ فجعل يَضُمّه إليه – تعبيراً عن رحمته به – فقال عليه الصلاة والسلام : أترحمه ؟ قال : نعم ، فقال : فالله أرحم بك منك به))

[البخاري عن أبي هريرة]

حديثٌ دقيق ولا سيما هذا الحديث موَجهٌ إلى الآباء والأمهات ، ما شعورك تجاه طفلك الصغير ؟ إنه قطعةٌ مِنك ، إنه فِلْذة كبدك ، تحب أن تجوع ويشبع ، تحب أن تعرى ويكتسي ، تحب أن تخفض ويرتفع ، هذا الشعور ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((فالله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين))

بل إن بعض الأحاديث الشريفة تقول : إن النبي عليه الصلاة والسلام رأى امرأةً تُقَبّل ابنها ، وهي تخبز على التنور فقال عليه الصلاة والسلام :

((فوالله ، لله أرحم بعباده من هذه بولدها))

[من مختصر تفسير ابن كثير عن عمر]

فإذا أردت التَعَمُّق كأن الله سبحانه وتعالى جعل من علاقة الآباء بالأبناء درساً بليغاً تعرف به طَرفاً من محبة الله بخلقه ، من رحمته بهم ، شعورك أنت تجاه ابنك العاصي، تجاه ابنك العاق ، تتمنى له كل خير ، تتمنى أن يعود إليك ، لو عاد إليك تنسى كل الماضي ، شعور الأب نموذجٌ مصغرٌ جداً جداً جداً عن رحمة الله سبحانه وتعالى قال :

((أترحمه ؟ قال : نعم ، فقال : فالله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين))

العطف البليغ بين الآباء والأبناء فطرة :

ولقد روى الإمام البخاري أيضاً حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لبعض من شاهده :

((قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالُوا : لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ))

[متفق عليه عنْ عَائِشَةَ]

أيْ أنَّ هذا العطف البليغ بين الآباء والأبناء فطرة ، فمن خالف الفطرة فهذه حالةٌ مرضية شاذة ، ولا ينتمي إلى هذا الدين بأي أنواع الانتماء . ولقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

((قَبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس ، فقال الأقرع : يا رسول الله إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً ؟ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة عجب وقال : من لا يرحم لا يُرحم))

[البخاري عنْ أبي هريرة]

وفي الحديث القدسي :

((إن كنتم ترجون رحمتي فارحموا خلقي))

[كنز العمال عن أبي بكر]

وقد روى الإمام البخاري أيضاً في حديثٍ صحيح ، قال : جاءت امرأةٌ إلى السيدة عائشة ، أعطتها عائشة ثلاث تمرات ، فأعطت كل صبيٍ لها تمرة ، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيانِ التمرتين ونظرا إلى أمّهما، فعمدت الأم إلى التمرة فشقَّتها نصفين ، فأعطت كل صبيٍ نصف تمرة - وحرمت نفسها نصيبها- فجاء النبي عليها الصلاة والسلام فأخبرته السيدة عائشة بما رأت من هذه المرأة ، فقال : وما يعجبك من ذلك ؟- أي ما المغزى من هذه القصة ؟ ما الذي لفت نظركِ منها ؟ ما موطن العجب ؟ أين كان مركز الثِقل في هذه القصة ؟ - فقال عليه الصلاة والسلام :

((لقد رحمها الله برحمة صبيّها))

والحديث الذي أرويه كثيراً مِن أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((أول من يمسك بحلق الجنـة أنا – أيْ أول إنسان يدخل الجنـة هو النبي عليه الصلاة والسلام – قال : فإذا امرأةٌ تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت: من هذه يا جبريل ؟ – طبعاً هي لا تعرفه ، هكذا سياق الحديث – قال : يا رسول الله إنها امرأةٌ مات زوجها ، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم))

[مجمع الزوائد عن أبي هريرة]

رعايةً لحقهم ، رحمةً بهم ، تأليفاً لقلوبهم ، جمعاً لشملهم ، تصفيةً لمشاعرهم، أبت الزواج من أجلهم .

المالك الحقيقي لكل شيء هو الله سبحانه و تعالى :

شيءٌ آخر الإمام البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى رويا معاً حديثاً متفقاً عليه عن أسامة بن زيد نص الحديث :

((أرسلت بنت النبي عليه الصلاة والسلام إلى أبيها أن ابني قد احتضر – أي دخل في مراحل النِزاع – فاشهدنا – أي احضر معنا يا أبتِ يا رسول الله ، يبدو أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في أمر شديد الخطورة مع أصحابه – فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام إلى ابنتها يقرؤها السلام ويقول لها – وهذا الحديث يحلُّ مشكلات الناس جميعاً – يقول لها : إن لله ما أخذ وله ما أعطى))

[متفق عليه عن أسامة بن زيد]



هذا يُطَبَّق على الأولاد ، وعلى الزوجة ، وعلى الأموال ، ضاع من مالك شيء، له ما أخذ ، أعطاك شيء له ما أعطى ، كل شيءٍ تنعم به إنما هو مِلْك الله سبحانه وتعالى ،

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾

المالك الحقيقي لكل شيءٍ هو الله سبحانه وتعالى، فإذا أعطاك مالاً فهو عارية مستردة .

سُئِل أعرابيٌ وبيده قطيع من الإبل ، لمن هذه الإبل ؟ – فقال العلماء : أجاب إجابة تعد أبلغ إجابةٍ في اللغة – قال : لله في يدي ، الله هو مالك المُلك وضعها في يدي عارية مستردة ، فالمال الذي معك لله عز وجل ، ومعنى لله أي هو قادرٌ أن يأخذه منك بسببٍ صغير جداً ، أو أن يعطيك أضعافاً مُضاعفة ، فهذا الذي يبخل بمال الله عز وجل من أن ينفقه محدود التفكير ، مُنْطَمِس البصيرة . إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، طبقها على الصِحَّة ، اعتلت الصحة ، استرد الله عز وجل شيئاً ، أعطاك صحةً له ما أعطى ، استرد شيئاً ، له ما

أخذ ، طبّقها على الصحة ، طبقها على الدَخْل ، على المال ، على الزوجة ، على الأولاد ، على كل شيء ، هذا هو التوحيد ، فقال عليه الصلاة والسلام أرسل إلى ابنته من يقرؤها السلام ، ويقول لها :

((إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيءٍ عنده بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب))

فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتيَنَّ ، يبدو أنها مُضطربة ، فقام عليه الصلاة والسلام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل ، فرفع النبي عليه الصلاة والسلام الصبيَّ الذي يحتضر ، وأجلسه في حجره ، ونفسه تُقَعْقِع ، أي على وشك الموت ، ففاضت عينا رسول الله بالدموع ، فقال سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ أي أتبكي ؟ فقال :

((يا سعد هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء))

أولادك أولى خلق الله برحمتك :

مرةً ثانية : إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي ، وأولى خلق الله برحمتك أولادك ، لذلك النبي الكريم يقول :

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[مسند الشهاب للقضاعي عن عائشة]

وفي حديث آخر :

((درهمٌ تنفقه في سبيل الله ، ودرهم تنفقه كذا وكذا – الحديث طويل – ودرهمٌ تنفقه على أهلك ، أفضلها ذلك الدرهم الذي تنفقه على أهلك))

لماذا ؟ لأن الآخرين أنت لهم ، وغيرك لهم ، أما أولادك فليس لهم غيرك ، من دون أن يُفْهَم من هذا أن تنفق عليهم إسرافاً وتبذيراً ، هذا لا يرضي الله عز وجل ، الوضع الأمثل :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾

[سورة الإسراء : 29]

المساواة بين المرأة و الرجل في التكليف و التشريف :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ موضوعٌ آخر متعلقٌ بالبيت الإسلامي ، من عادات الجاهلية التي جاء الإسلام ليقضي عليها ؛ كراهية البنات ، فالإسلام لم يُفَرِّق بين ذكرٍ وأنثى ، ولا بين امرأةٍ ورجل . .

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

[سورة آل عمران : 195]

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾

[سورة الأحزاب : 35]

لو أن الله قال : " إن المسلمين " لشملت المُسلمات بحكم قواعد الأصول ، أو بحكم التَغْليب ، ولكن أراد الله من هذه الآيات أن يؤكِّد لنا أن المرأة والرجل سواءٌ عند الله ، وأن الطفل والطفلة ، والذكر والأنثى ، والبنت والصبي سواءٌ عند الله عز وجل ، بل إن بعض الفقهاء استنبط أن المرأة والرجل ، أو الصبي والصبية ، أو الصغير والصغيرة ، أو البنت والصبيّ ، أن هؤلاء متساويان في التكليف والتشريف ، ولكن المرأة صُمّمت بنيتها النَفْسيّة ، بنيتها العقلية ، بنيتها الجسمية تصميماً يتوافق مع خطورة وظيفتها في الحياة ، وإن الرجل صُمّم تصميماً في بنيته العقلية والجسمية والنفسية يتوافق مع وظيفته في الحياة ، فليس هناك فرقٌ بين المرأة والرجل من حيث التكليف والتشريف .

الائتمار بأمر الله في تربية الأولاد و حسن تنشئتهم :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة : 8]

وهذا الذي جاء النبي يستشهده على أنه نحل ابنه نِحْلَةً فقال عليه الصلاة والسلام:

((أكلهم وهبت مثل هذا ؟ فقال : لا ، قال : أشهد غيري فإني لا أشهد على جور))

[من الجامع لأحكام القرآن]

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

[سورة المائدة : 8]

وأصحاب السُنَن ، والإمام أحمد ، وابن حبان كلهم رووا عن النعمان بن البشير قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((اعدلوا بين أولادكم ، اعدلوا بين أولادكم ، اعدلوا بين أولادكم))

رواه النبي ثلاث مرات :

((اعدلوا بين أولادكم ، اعدلوا بين أولادكم ، اعدلوا بين أولادكم))



الله سبحانه وتعالى وصف تفضيل الذكور على الإناث ، أو تفضيل بعض الأبناء على بعض الأبناء بأنها من الجاهلية ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة النحل : 58-59]

جاءت النبي عليه الصلاة والسلام ابنته السيدة فاطمة حينما ولدت ضَمَّها وشمَّها وقال :

((ريحانةٌ أشمها وعلى الله رزقها))

هكذا المؤمن ، هكذا المسلم . ريحانةٌ أشمها وعلى الله رزقها .

في القرآن الكريم آيةٌ دقيقة تردّ على هؤلاء ، قال تعالى :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

[سورة الشورى : 49-50]

أن يَهَبَكَ الله ذكراً أو أنثى ، أو ذكوراً أو إناثاً ، أو ذكوراً وإناثاً ، أو ألا يهبك شيئاً، هذا من تقدير العليم القدير ، ولا حيلة لك بذلك إطلاقاً ، لذلك المؤمن يستسلم ، ويرى أن الذي رزقه هو قسمةٌ له ، وهو راضٍ بهذه القسمة ، وعليه أن يأتمر بأمر الله تعالى في حسن التربية وحسن التنشئة .

أميرٌ من أمراء العرب طمح إلى غلام ، فأنجبت له امرأته بنتاً ، فغضب غضباً شديداً ، وتألَّم ألماً لا حدود له، وترك بيت الزوجية ، وذهب إلى بيوت أخرى ، بيوت أقربائه ، غاب عن امرأته سَنَةً ، بعد سنة مرّ أمام بيته فسمع امرأته تداعب ابنتها الصغيرة ، التي ولدت منه ، تقول لها :

ما لأبي حمزة لا يأتينا أغضبان ألا نلد البنينا؟

يظل في البيت الذي يلينا تالله ما هذا بأيدينا

ونحن كالأرض لزارعينا وإنما نعطي الذي يعطينا

* * *

وقد أثبت العلم أن تحديد نوع المَوْلود كذكرٍ أو أنثى لا علاقة للأنثى به إطلاقاً ، إن علاقته مع الحوين الذي يقذفه الرجل ، ولا علاقة للبويضة إطلاقاً ، ويأتي القرآن الكريم ليقول:

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾

[سورة النجم : 45-46]

لا من بويضةٍ ، أن يكون هذا المولود ذكراً أو أنثى هذا يتحدّد من قِبَلِ الرجل ، لا من قِبَلِ المرأة ، فهذه المرأة بفطرتها أو بحاستها السادسة قالت :

ونحن كالأرض لزارعينا وإنما نعطي الذي يعطينا

* * *

عندئذٍ دخل إلى بيته ، وعطف على امرأته ، وأقام معها بقية حياته .

البنت بابٌ من أبواب الجنة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ روى الإمام مُسلم عن أنس بن مالك ، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((من عال جاريتيتن – أيْ بنتين صغيرتين– حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين . وضم أصابعه عليه الصلاة والسلام))

[مُسلم عن أنس بن مالك]

من عال جاريتيتن ، أي ربَّاهما تربية حسنة ، رباهما على حب الله وحب رسوله وقراءة القرآن ، وجعل لباسَهما وفق ما يرضي الله عز وجل ، وعلمهما أمر دينهما .

((من عال جاريتيتن حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ، وضم أصابعه))

[مُسلم عن أنس بن مالك]

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عُقبة بن عامر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((من كان له ثلاث بناتٍ فصبر عليهن ، وسقاهن ، وكساهن من جيدَته – أي من ماله – كن له حجاباً من النار))

[أحمد عن عُقبة بن عامر]

وفي حديثٍ آخر :

((من كان له ثلاث بناتٍ أو ثلاث أخواتٍ – هذا الذي عنده أختٌ عانس لا يتبرم بها – أو بنتانِ أو أختان فأحسن صحبتهن ، وصبر عليهن ، واتقى الله فيهن دخل الجنة))

[أحمد عن ابن عبَّاس]



معنى ذلك أن البنت بابٌ من أبواب الجنة ، كيف أن برَّ الوالدين باب من أبواب الجنة ، كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام صَعَدَ المنبر فقال :

((رغم أنف رجلٍ أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة))

[الجامع لأحكام القرآن عن أبي هريرة]

معنى ذلك أن بر الوالدين بابٌ من أبواب الجنة ، وأن حسن تربية البنات بابٌ من أبواب الجنة . ورد في بعض الأحاديث أن البنت التي ربَّاها أبوها تربيةً حسنة ، يقال لها : ادخلي الجنة . تقول : لا أدخل الجنة حتى أدخل أبي معي ، فيقال : خذيه وادخلي الجنة ، أما البنت التي ربَّاها تربيةً سيئة وأهملها ؛ فشطت وشردت وانحرفت وفتنت الناس تقول : يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي ، لأنه كان سبباً لي في هذا الفسق والفجور .

بيت الحمد لمن فقد ابنه صغيراً وصبر واحتسب :

أيها الأخوة الأكارم ؛ بقي موضوعٌ أخير ، الولد غالٍ جداً ، ومع ذلك قد يُقَدِّر الله عز وجل موت أحد الصغار، ما موقف المسلم ؟ الإمام الترمذي وابن حبّان رويا عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((إذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون : نعم فيقول الله تعالى : فماذا قال عبدي ؟ فيقولون: حمدك واسترجع – أي قال الحمد لله أنا لله وإنا إليه راجعون – فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد))

[الترمذي وابن حبّان عن أبي موسى الأشعري]

بيت الحمد لمن فقد ابنه صغيراً وصبر واحتسب ، والقصة التي تعرفونها جميعاً ؛ قصة الصحابية الجليلة أم سليم ، التي كانت زوجة لأبي طلحة ، والتي رواها الإمام البخاري ومسلم : كان لهما ابنٌ مريض ، خرج أبو طلحة لحاجته وعاد ، فسأل امرأته : كيف حال فلان ابنه ؟ فقالت : يا أبا طلحة إنه في أهدأ حال ، هو قد مات ، ولكن أوهمته أنه مستريح ، صنعت له طعاماً فأكل ، وتزينت فأصاب منها . وفي الصباح قالت له : يا أبا طلحة لو أن الجيران أعطونا عاريةً مستردة ، ثم طلبوها منا ، أفي ذلك وجلٌ أو غضب ؟ قال : لا ، إنها حاجتهم ، قال : فكذلك الله عز وجل استرد عاريته ، ابننا فلان .

أبو طلحة غضب غضباً شديداً ؛ لماذا أخفت عنه زوجته هذا الخبر ؟ لماذا جعلته يأكل ويصيب منها وابنه ميّت ؟ فذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله فعلت زوجتي كذا وكذا ، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن قال له :

((بارك الله لك في ليلتك ، وأثنى على زوجتك))

وأنجب منها في هذه الليلة ولداً سماه عبد الله ، ولد له تسعة أولاد ممن حفظوا كتاب الله . هذا معنى إذا الإنسان حضر عقد قِران الدعاء النبوي :

((بارك الله لكما وعليكما وفيكما))

هذه البركة ، إذا أنعم الله عليك بولدٍ صالح ينفع الناس مِن بعدك فهو استمرارٌ لك ، فهو ذخيرةٌ لك ، فهو العمل الذي لا ينقطع بالموت .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

حنان الأم و حليبها :

أيها الأخوة الأكارم ؛ إتماماً لهذا البحث : الحليب ؛ حليب الأم الذي جعله الله عزَّ وجل هبةً ، ومنحةً لهذا الطفل الصغير . وهب الله سبحانه وتعالى الصغار رحمةً أودعها في قلوب أمهاتهم ، وفضلاً عن رحمة الأمهات بأبنائهن ، التي هي في الحقيقة رحمة الله بهم، جعل المرأة يسيل ثدياها حليباً من نوعٍ خاص . فلبن المرأة – كما يقول العلماء – مبهرٌ ، ومدهش ، تعجز عن تركيبه بخصائصه قِوى البشر ولو اجتمعت ، وتعجز عن صنعه أضخم المعامل ولو تظاهَرَت . تركيبه . . دقفوا . . تركيبه في تبدلٍ مستمر ، بحسب حاجات الرضيع، ومتطلباته بحسب احتمال أجهزته ، وأعضائه ، وهو أكثر ملاءمةً ، وأكثر تركيزاً ، وأكثر احتمالاً، وأقلُّ ضرراً ، وهو آمن طرق التغذية ، من حيث الطهارة والتعقيم ، إذ يؤخذ من الحُلمة مباشرةً ، من دون التعرُّض للتلوث الجرثومي ، وحرارته ثابتةٌ ، خلال الرضعة الواحدة ، ويصعب توافر هذا الشرط في الإرضاع الصناعي ، وفوق ذلك فهو لطيف الحرارة في الصيف ، دافئ في الشتاء ، وهو سهل الهضم ، لا تتجاوز فترة هضمه عن الساعة والنصف ، بينما تزيد فترة هضم حليب القوارير عن ثلاث ساعات ، والطفل الذي يرضع من ثدي أمه ، يكتسب مناعةً ضد كلّ الأمراض ، لأنَّ في حليب الأم موادَّ مضادَّة للالتهابات المعوية ، والتنفسية .

حالات الربو ، ربو الأطفال ، إنتان الأمعاء ، هذه الأمراض الشائعة في الإرضاع الطبيعي ينجو منها الصغير .



وفي حليب الأم مواد تمنع التصاق الجراثيم بجدار الأمعاء ، وفي حليب الأم مواد حامضيّة لقتل الجراثيم ، والإرضاع الوالدي يقي من أمراض الكوليرا ، والزحار ، ومن أمراض شلل الأطفال ، والكزاز ، لأن مناعة الأم كلها في حليبها ، وهو يقي المرضع من أورام الثدي الخبيثة ، هذه الظاهرة المنتشرة في معظم أنحاء العالم ، سرطان الثدي ، وإرضاع الطفل من ثدي أمه يقي الأم من أورام الثدي الخبيثة ، ويقي الرضيع من الآفات القلبية ، والوعائية ، وأمراض التغذية ، والاستقلاب ، بل إن الفطام السريع يحدث رضًّا نفسياً ، وانحرافاتٍ سلوكية . وحليب الأم سهل التحضير ؛ ليلاً ، ونهاراً ، في السفر ، وفي الحضر ، لأنه جاهزٌ دائماً ، بالحرارة المطلوبة ، وبالتعقيم المثالي ، وبالسهولة في الهضم ، ولأن فيه المناعة التي تقي معظم الأمراض ، قال الله تعالى :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

[سورة البلد : 4-10]

هدية من الله . .

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

قال عكرمة وابن المسيّب : " النجدان هما الثديان " ما الذي يمنعه من أن يطيع الله عزَّ وجل ؟ ما الذي يمنعه من أن يكون مؤمناً ؟ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ، لذلك قال بعض العارفين :

تداركتنا باللطف في ظلمة الحشـا و خير كفيلٍ في الحشا قد كفلتنـا

وأسكنت قلب الأمهات تعطفـاً علينا وفي الثديين أجريـت قوتنا

***

وهذا موضوع الخطبة كلها ، أسكن في قلب الأمهات رحمةً ، وأجرى في صدورهن حليباً ، رحمةً معنويةً ، وغذاءً طبيعياً .

وأنشأتنا طفلاً وأطلقت ألسناً تترجم بالإقرار أنك ربنـا

وعرفتنا إياك فالحمد دائمـاً لوجهك إذ ألهمتنا منك رشدنا

***

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولَّنا فيمن تولَّيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك

أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : أسباب انحراف الأولاد

الدرس : (2–1) : خروج الطفل من البيت

الدرس : (2–2) : الطلاق

الدرس : (1-2) : خروج الطفل من البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم، رسول الله سيّد الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر، اللهمَّ صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم... لا زلنا في البيت المسلم، والإسلام أولى جُلّ عنايته للبيت المسلم، لأن البيت خليّة المجتمع، فإذا صلح صلحَ المجتمع.

شقاء الأب بشقاء الابن:

ويا أيها الإخوة المؤمنون... ما من شيءٍ يُشقي الآباء كانحراف الأولاد، وانحراف الأولاد ظاهرةٌ تعاظمت في الزمن الأخير.

أيها الإخوة الأكارم... لو ملكت أكبر الثروات، ولو حققت أقصى الغايات، ولو ارتفعت إلى أعلى المَقامات، ولم يكن أولادك كما تريد، فربما شقيت بشقائهم، فلذلك الإسلام حرص حرصاً لا حدود له على صيانة البيت المسلم من الانحراف، ما الوسائل التي اتخذها ؟ وما الأهداف التي رسمها ؟ وما الاحتياطات التي أخذ بها ؟

أسباب انحراف الأولاد:

بادئ ذي بدء، لو سألت العلماء عن أسباب الانحراف، لكانت كلمتهم مُجْمِعَةً على أن خروج الطفل من البيت، واقترانه بقُرناء السوء سببٌ كبيرٌ جداً للانحراف، ولكن السؤال الآن لِمَ يخرج الطفل من البيت؟ لِمَ لا يكون البيت سَكَناً له ؟ لِمَ لا يجد الطفل في بيته مأوىً له ؟ لِمَ يخرج منه حيث الفساد والانحراف وحيث التحلل والشذوذ ؟

يا أيها الإخوة الأكارم... انحراف الأولاد ظاهرةٌ معقدةٌ أشد التعقيد، وحينما نُرجعها إلى أسبابها، إنما نفعل ذلك تبسيطاً للبحث، وتيسيراً للدراسة.

السبب الأول: خروج الطفل من البيت:

أول سببٍ لخروج الطفل من البيت: إذا لم يجد الطفل في البيت ما يكفيه من طعامٍ ومن كساء، لذلك حينما يسعى الأب لكسب رزقٍ حلال يكفي أهله، فهذا أحد أنواع العبادة، إنك أيها الأب الكريم لست مسؤولاً عن نفسك وحدك بعد أن تزوَّجت، ولكنك مسؤولٌ عن هؤلاء الصغار الذين أَوْكَلَ الله إليك تربيتهم



الأب الكسول الذي لا يعمل، الأب الذي لا يحب عمله، الأب الذي يؤثر الراحة على بذل الجهد ليس أبًا حقيقيا، في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة سمعتموها، وتسمعونها دائماً، كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما سأله بعض أصحابه عن شابٍ خرج من بيته يسعى لرزق عياله، فتمنى أصحابُه لو أن هذا السعي كان في سبيل الله، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ومن أدراكم أنه في سبيل الله ؟ من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفوراً له))

(من الجامع الصغير عن أنس)

من خرج ليسعى على أطفالٍ صغار وزوجةٍ فإنما يسعى في سبيل الله، الإسلام قدَّس العمل، لأن العمل طريقٌ إلى كسب الرزق الشريف، وكسب الرزق الشريف وسيلةٌ لحماية الابن من الشذوذ والانحراف. قد يقول أحدكم: فما بال أولاد الأغنياء ينحرفون ؟ هناك انحرافٌ آخر بسببٍ آخر، ولكن ربما عُزِيَ انحراف الطفل إلى خروجه من البيت، والتجائه إلى رفقاء السوء، وما خرج من البيت إلا حينما فقد ما يشتهيه، وفقد ما يطمح إليه، فإذا سعى الأب عن طريق الكسب المشروع وعن طريق العمل الصادق، لتأمين حاجات أولاده الأساسية، فقد سعى في سبيل الله.

كلكم يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

(من الجامع الصغير: عن " جبير بن مطعم ")

النبي عليه الصلاة والسلام نفى عن هذا الإنسان أن يكون منتمياً إلى هذا الدين العظيم،

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

(من الجامع الصغير عن جبير بن مطعم)

وكلكم يعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((درهمٌ تنفقه في سبيل الله، ودرهمٌ تنفقه على مسكين، ودرهمٌ على فقير، ودرهمٌ تنفقه على أهلك، الدرهم الذي تنفقه على أهلك أفضل هذه الدراهم كلها))

لماذا ؟ لأن أهلك ليس لهم إلا سواك، ليس لهم إلا أنت، فإذا ضيعتهم، وأهملتهم ألجأتهم إلى غيرك، ومع غيرك الانحراف والشذوذ.

السبب الثاني: منع الأغنياء للزكاة:

فيا أيها الإخوة المؤمنون... الآن يأتي دور الأغنياء، هؤلاء الذين إذا قصَّروا في دفع زكاة أموالهم، فجهد الفقراء، وحينما جهد الفقراء انحرف أبناؤهم، لو أن الله سبحانه وتعالى أطلع هذا الغنيّ الذي يمنع زكاة ماله، أطلعه على النتائج الخطيرة التي تترتّب على حبس زكاة ماله، وكيف أن الفقير خرج ابنه من البيت، والتجأ إلى جهاتٍ أخرى، وكيف أن ابنه انحرف، وكان الانحراف سبباً لشقاء هذه الأسرة، وكان شقاء هذا الأسرة يتلافى فيما لو دفع الغني زكاة ماله، فاطمأن بها الفقير وربى أولاده، لأراه الله سبحانه وتعالى الآثار الخطيرة التي تترتب على عمله.

أيها الإخوة المؤمنون... يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ ﴾

(سورة يس: من آية " 12 ")

أي من الآثار البعيدة المترتبة على تقصير الإنسان في دفع زكاة ماله، الإمام عليّ كرم الله وجه يقول: **<< قوام الدين والدنيا أربعة رجال ؛ عالمٌ مستعملٌ علمه، وجاهلٌ لا يستنكف أن يتعلم، وغنيٌّ لا يبخل بماله، وفقيرٌ لا يبيع آخرته بدنياه، إذا ضيَّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله . هنا موطن الشاهد . باع الفقير آخرته بدنيا غيره >>**، أي باع نفسه للشيطان، من أجل تأمين حاجاته، ففي أموال الأغنياء حقٌ معلوم للسائل والمحروم.

أيها الإخوة المؤمنون... سيدنا عمر رضي الله عن عمر، حينما سأل والياً وقال له:

. ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارقٍ أو ناهب ؟

. فقال هذا الوالي: أقطع يده، عندئذٍ ماذا قال عمر لهذا الوالي ؟

. إذاً فإن جاءني من رعيَّتك من هو جائعٌ أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورَتهم، ونوفِّر لهم حرفتهم، فإذا وفَّينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خُلِقَت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.



الرجل الراشد المؤمن قد يصبر، قد يصبر، وهو يعلم أن ما عند الله خيرٌ وأبقى، ولكن الطفل الصغير لا يصبر، كلكم يذكر أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا قُدِّمَت له فاكهةٌ أول مرة لم يكن يأكلها، بل يُقَبِّلها ويعطيها أصغر طفلٍ في المجلس، لماذا ؟ لأن الطفل لم يبلغ بعدُ مرتبة القيَم التي تحجزه عن الحرام.

فالأب الذي لا يعمل ويصبر على الجوع والفقر، لا يجب أن يقيس ابنه عليه، الابن قد لا يصبر، لذلك سيدنا عمر كان يقول: << إني أرى الرجل لا عمل له فيسقط من عيني >>.

العمل له أهدافٌ بعيدة، حينما تعمل، وحينما تتقن عملك، وحينما تكسب رزقاً حلالاً، عندئذٍ قد تكفي أهلك، فإذا كفيتهم أمكنك أن تُرشدهم، وأن توجِّهَهُم، لذلك يعد خروج الطفل من البيت والتجاؤه إلى رفقاء السوء، بحثاً عن شيءٍ أو آخر، أول سبب من أسباب انحراف الأولاد.

أيها الإخوة المؤمنون... ألا تذكرون أن سيدنا عمر حينما رأى عبد الرحمن بن عوف وقال له: تعالَ نحرس هذه القافلة . قافلة جاءت من أقاصي البلاد وأقامت في أطراف المدينة . فلما توجه سيدنا عمر إلى هذه القافلة رأى طفلاً يبكي فقال لأمه:

. أرضعيه، بكى مرةً ثانية، فقال: أرضعيه، بكى مرةً ثالثة: فتوجه إليها غاضباً، وقال: يا أمة السوء أرضعيه.

. فقالت: دعك عنا يا رجل، وما شأنك بنا إنني أفطمه.

. قال: ولِمَ تفطمينه.

. قالت: لأن عمر لا يعطينا العطاء إلا بعد الفِطام.

تروي السيرة: أن هذا الخليفة العظيم صاح صيحةً تقطع لها نياط قلبه قال: ويحك يا ابن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين ؟ وتوجه في صلاة الفجر ليصلي بأصحابه، فقال أصحابه: والله ما فهمنا ما قرأ من شدة بكائه، وكان يقول: << يا رب، هل قبلت توبتي فأهنِّئ نفسي، أم رددتها فأعزيها ؟ >>.

حينما يجوع الطفل الصغير قد ينحرف، وحينما ينحرف يفسد المجتمع بأكمله .

فيا أيها الإخوة الأكارم... كما قال الفقهاء: حينما تخرج من بيتك لتؤدي عملاً ترتزق منه، إذا نَوَيت بهذا العمل أن تكفي نفسك، وزوجتك، وأولادك، وأن تكفَّها عن الحرام، وحينما تنوي بهذا العمل أن تخدم المسلمين في قضاء حاجاتهم، وحينما يكون أصل العمل شريفاً، وحينما تمارس هذا العمل وفق الشريعة الإسلامية ؛ من دون غشٍ، ولا تدليسٍ، ولا كذبٍ، ولا رباً، هذا العمل الذي ترتزق منه ينقلب إلى عبادة، ويمكن أن تلقى الله به يوم القيامة.

الأعمال الصالحة يا أيها الإخوة لا تعدُّ ولا تحصى، من أبرزها عملك الذي ترتزق منه، فاحرَص على أن يكون شريفاً، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إنَّ رُوح القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي، وقال: إنَّ نَفْساً لن تموت حتى تَسْتَوْفيَ رِزْقَها، فاتَّقُوا الله، وأَجْمِلُوا في الطلَب))

(ابن ماجه عن جابر)

لا ترضَ بمهنةٍ فيها معصيةٌ لله، لا ترضَ بالاتجار ببضاعةٍ لا ترضي الله، لا ترضَ بالتعامل في بيعك وشرائك بطريقة فيها معصية لله عز وجل، لأن:

((رُوحَ القدُسِ نَفثَ في رُوعي، وقال: إنَّ نَفْساً لن تموت حتى تَسْتَوْفيَ رِزْقَها، فاتَّقُوا الله وأَجْمِلُوا في الطلَبِ))

ابحث عن حرفةٍ شريفة، ابحث عن عملٍ طيب نظيف، إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك. النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ما جهد الفقراء إلا بما ضيع الأغنياء))

[الترغيب والترهيب عن علي]

السبب الثالث: الخصومة في البيت:

أيها الإخوة الأكارم... شيءٌ آخر: يخرج الطفل من البيت إن لم يجد في البيت الطعام الذي يُشْبِعُه، أو الكساء الذي يكسوه، وقد يخرج من البيت أيضاً إذا كان في البيت الخصام، والمشاحنة والبغضاء بين الأب والأم، البيت المَشحون بالبغضاء، البيت المشحون بالعَداوة، البيت المشحون بالمُشاحنة، هذا بيتٌ ليس جواً يسكُن إليه الطفل، لو سألت الأطفال الصغار الذين يرون في آبائهم وأمّهاتهم أعداء، هؤلاء الصغار ينفرون من البيت، ويلتجئون إلى جوٍ مريح، وقد يأتي رفقاء السوء يوفرون لهم هذا الجو المريح، ولكن ينحرفون بهم إلى أسفل سافلين، فالبغضاء والشحناء ليست من صفات البيوت المسلمة.

طرق العلاج والوقاية الشحناء والبغضاء في السنة:

1 – اختيار الزوجة ذات الدين:



فيا أيها الإخوة المؤمنون... النبي عليه الصلاة والسلام كيف عالج هذا الموضوع ؛ الشحناء والبغضاء ؟ عالجه علاجاً وقائياً قبل أن تتزوَّج، فاظفر بذات الدين تربت يداك، من تزوج المرأة لجمالها أذله الله، ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً، فاظفر، ما أروع هذه العبارة: فاظفر، أي إذا تزوجت امرأةً صالحةً فقد ظفرت بشيءٍ ثمين، لم يقل لك: فاختر، أو عليك، بل فاظفر، إن وفقت إلى زوجةٍ صالحة، فقد ظفرت بجوهرةٍ ثمينة، إن كنت قد أحسنت الاختيار من قَبْلُ، قطفت ثماره في بيتك المسلم، أما إذا رَغِبْتَ الجمال وحده، أو السمعة وحدها، أو النسب وحده، أو المال وحده، صار البيت مكاناً للنزاع والشقاء، وحينما يُشْحَنُ البيت بالنزاع والشقاق خرج الطفل منه إلى رفقاء السوء.

السبب الرابع لانحراف الأولاد: الطلاق:

أيها الإخوة المؤمنون... شيءٌ آخر، النبي عليه الصلاة والسلام كيف وقانا من هذه المنازعات التي تفضي إلى الطلاق ؟ وإذا حدَّثتكم عن الطلاق وما يجر من ويلاتٍ على الصغار، وكيف أن هذا الطفل الذي طُلِّقت أمه، أو افترقت أمه عن أبيه يدمِّر، عندئذٍ يعد الزوج للمليون . كما يقولون . قبل أن يفكر بالطلاق.



روى البزار والطبراني أن نسوةً اجتمعن مرةً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسلن إحداهن إلى النبي عليه الصلاة والسلام لتقول له: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك . أنا مندوبةٌ عن النساء . هذا الجهاد الذي كتبه على الرجال، فإن يصيبوا يثابوا، وإن يقتلوا كانوا أحياءَ عند ربهم يرزقون، ونحن مَعاشر النساء نقوم عليهم . نعتني بهم، نطبخ لهم طعامهم، نقضي لهم حوائجهم، نربي لهم أولادهم، إذا قتلوا فهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإذا انتصروا نالوا الأجر والثواب . ونحن مالنا ؟ . ما دورنا ؟ ما محلنا ؟ . فأجابها عليه الصلاة والسلام إجابةً بليغة، لو تعرف المرأة عمق هذه الإجابة، وأبعاد هذه الإجابة ما قعدت عن خدمة زوجها وأولادها، قال عليه الصلاة والسلام:

((أبلغي من لقيتِ من الناس أن طاعة المرأة للزوج، وإعترافها بحقه يعدل ذلك . الجهاد في سبيل الله . وقليل منكن من تفعل ذلك))

(البزار والطبراني عن ابن عباس)

فالمرأة إذا قامت بحق زوجها حق القيام، فهي كالمُجاهدة في سبيل الله، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((وذروة سنامه الجهاد))

(الترمذي عن معاذ)

أي أعلى درجة في البذل هو الجهاد، وبذل النفس كما يقولون أقصى غاية الجود، ذروة الإسلام هو الجهاد، وأن تقوم المرأة بحق زوجها وأولادها فقد جاهدت في سبيل الله.

والقصة التي ذكرتها كثيرا، أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما ترويه كتب الحديث قال:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأةٌ تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي قلت: من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأةٌ مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم))

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

(من الجامع الصغير عن أنس)

2 – توفير الزوجة الجو المريح في البيت:

أيما امرأة قعدت على بيت أولادها ؛ رعتهم حق الرعاية، وفَّرت لهم حاجاتهم، وفَّرت لهم الجوَّ المريح، الجوَّ المناسب، جعلت بيتها سكناً لأولادها ولزوجها، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم: من آية 21)

فالمرأة التي تطمح أن تكون عند الله في أعلى مقام، يجب أن توفِّر لزوجها وأولادها السَكَنَ الذي ورد في الآية الكريمة، والذي هو عِلَّة الزواج، لماذا أمرنا الله بالزواج ؟ ليكون الزواج سكناً لنا، وليكون منطلقاً للأعمال الصالحة.

أيها الإخوة المؤمنون... لو أن المرأة أدَّت هذا الحق لما كان النزاع والخصام في البيت.

3 – حفظ المرأة زوجها في ماله ونفسها:

حقٌ آخر، على المرأة أن تحفظ الزوج في ماله ونفسها، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

[ابن ماجه عن أبي أمامة]

إذا حفظت المرأة زوجها بماله ونفسها فقد أدَّت ما عليها، إذاً قطع دابر الشقاق، والخصومات، والعداوة والبغضاء، وسد طريق الطلاق.

4 – عدم امتناعها عن زوجها:

شيءٌ آخر من واجبات المرأة التي تسد طريق الطلاق الذي يدمِّر الأسرة والذي يشتت الأطفال، عدم امتناعها عن زوجها، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أيما امرأة دعاها زوجها إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح))

(من الجامع لأحكام القرآن)

كي يبقى طموحه في البيت.

5 – إنفاق الزوج المعتدل:


على الزوج أن ينفق من ماله الحلال على أهله

شيءٌ آخر، أما الزوج فعليه أن ينفق من ماله الحلال على أهله وعلى أولاده، سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: **<< حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي >>.**

قال الله عز وجل:

﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة البقرة: من آية " 233 ")

بالوضع المُعْتَدِل من دون إسرافٍ ولا تبذير، من دون أن تَبْسُط يدك، ومن دون أن تردّها مغلولةً إلى عنقك.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (29)﴾

(سورة الإسراء)

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (67) ﴾

(سورة الفرقان)

هذا من واجبات الزوج، من أجل أن يسُدَّ طريق المُشاحنة والبغضاء وطريق الطلاق، فكم من طلاقٍ، وكم من مُخالعةٍ أساسها بُخل الزوج.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(سورة الحشر)

6 – استشارة الزوجة:

شيءٌ آخر، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((آمروا النساء في بناتهن))

(من الجامع الصغير عن ابن عمر)

فالزوج الذي لا يعبأ بزوجته، ولا يقيم لها وزناً، ولا يطلعها على شيء، إنه يجعلها إنساناً ليس شريكاً لحياة الزوج، هذا الأمر يؤدّي إلى الشقاق، ففي موضوع البنات قال عليه الصلاة والسلام:

((آمروا النساء في بناتهن))

فاستشارة الزوجة يرفع من قيمتها ومن مكانتها، وتشعر بأهميتها عند زوجها.

7 – غض الطرف عن الهفوات:

يا أيها الإخوة الأكارم... شيءٌ آخر، غَضّ النظر عن هفوات الزوجة، هذا الزوج الذي يحاسب زوجته عن كل غلطٍ مهما دَق ليس زوجاً ناجحاً، لأنه لم يجد هذه المرأة الكاملة، سيقضي حياته في العيب .كما يقولون . في الأخذ والرد، في المعاتبة، في الشطط، يصبح البيت مشحوناً بالبغضاء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

(مسلم)

يجب أن تغض الطرف عن تسعة أغلاط لتحاسب عن الغلط العاشر، يجب أن تكون في البيت واحداً من أهل البيت، أما أن تُنَصِّبَ نفسك للمحاسبة الدقيقة، فهذا مما يُتعب الحياة الزوجية.

8 – المعاشرة بالمعروف:

أيها الإخوة المؤمنون... بقي شيءٌ آخر من أجل أن نتلافى المشاحنة والبغضاء، وأن نتلافى الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق قال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء: من آية " 19 ")

الآن غير الطعام والشراب، غير أداء الحقوق، يجب أن تكون في البيت مَقْبولاً، يجب أن تكون مُحَبَّباً، يجب أن يفتقدك أهلك، يجب أن يكون وجودك في البيت مُسْعِداً، هذا يحتاج إلى خبرةٍ، وإلى خُلُقٍ عالٍ، وإلى وداعةٍ، وإلى لطفٍ، وإلى نفسيةٍ رضيةٍ، لذلك قال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

(سورة النساء: من آية " 19 ")

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

(الترمذي)

الحديث الآخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا))

(الترمذي)

والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا دخل بيته بسَّاماً ضحَّاكاً، كان مؤنساً، كان يسابق زوجته السيدة عائشة، يسابقها، هو في هذا المقام العظيم، هو سيد الخلق، الرسول الأول، إمام الرُسُل، قائد الأمة، وفي البيت كان يسابق زوجته عائشة، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ:

((فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ))

(الترمذي)

أي تعادل، هذه نفسية النبي في البيت، تقول له:

. كيف حبك لي ؟

. يقول لها: كعقدة الحبل.

. تقول له من حين لآخر: كيف العقدة ؟

. يقول: على حالها.

جوٌ من المَرح البريء، من المداعبة اللطيفة، بسَّاماً ضحَّاكاً مؤْنِساً، حتى إن سيدنا عمر كان يقول: **<< ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالطفل، أي في الإنس والسهولة، فإذا كان مع القوم كان رجلاً >>**، أيْ الرجولة خارج البيت، لا كما يفعل معظم الرجال ؛ كل رجولتهم، وقوتهم، وعنفهم في البيت، فإذا خرج من البيت صار طفلاً وديعاً، ليس هذا هو المطلوب العكس هو المطلوب، أن تكون في البيت وديعاً مؤْنساً.

9 – مساعدة الزوج زوجتَه:

شيءٌ آخر يَلفت النظر، السيدة عائشة سُئلت: ماذا كان يفعل الرسول في البيت ؟ سؤال غريب... فقالت: كان يقيم على خدمته ؛ كان يرفو ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويعجن عجينه، وكان في مهنة أهله.



هذا كان النبي، لذلك إذا صلح البيت صلح المجتمع، إذا كان الود والمحبة بين الزوجين، وبين الزوجين وأولادهما كان هذا البيت قطعةٌ من الجنة ؛ ولو كان بيتاً صغيراً، ولو كان أثاثه خَشِناً، ولو كان الطعام يسيراً، الإنسان يحيا بالود، أكثر مما يحيا بالطعام والشراب، كم من بيتٍ فخمٍ واسعة أرجاؤه، نفيسةٍ أثاثاته، ومع ذلك هذا البيت مشحونٌ بالبغضاء والخصومات لأن الزوجين ما أقاما فيه حقَّ الله، إذا أطاع الزوج والزوجة ربَّهما، تولى ربهما عنهما التوفيق بينهما، فإذا بُني هذا الزواج على معصية، تولى الشيطان التفريق بين الزوجين.

أيها الإخوة الأكارم... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن مَلَك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

إصلاح ذات البين:

أيها الإخوة المؤمنون... تطبيقاً لموضوع هذه الخطبة: على كلٍ منا أن يحرص على إصلاح ذات البين، على أن تكون العلاقة الزوجية وعلاقته بأولاده في أعلى مستوى، وهذا يحتاج إلى مُراجعةٍ للسُنَّة، أيْ أنك حينما تنفذ أمر الله عز وجل، أو تنفذ أمر النبي عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بالبيت، ما تفعل أكثر من الذي يطبق تعليمات الصانع في آلةٍ غالية جداً، فأنت تلك الآلة الغالية، والأهل تلك الآلة الغالية، والأولاد تلك الآلة الغالية، فطبِّق تعليمات الصانع تقطف الثمار، وتؤتي أكلها مرتين.

اللهمَّ اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارِك اللهمَّ لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك.

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا.

اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا بها جنَّتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبْلغ علمنا، ولا تسلِّط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم هَب لنا من أزواجنا وذرِّياتنا قرَّة أعين، واجعلنا للمتقين إماما.

اللهمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك مولانا رب العالمين.

اللهم استر عيوبنا، واغفر ذنوبنا، واقبل توبتنا، وفكَّ أسرنا، وأحسن خلاصنا، وبلِّغنا مما يرضيك آمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا، مولانا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ من الفقر إلا إليك، ومن الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء مولانا رب العالمين.

اللهمَّ بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعزَّ المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنه على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

استقرار الحياة الزوجية أحد عوامل صلاح الأولاد :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في البيت المسلم ، وانطلاقاً من أن الأسرة لبنة المجتمع الأولى ، فإذا صلحت صلح المجتمع ، وإذا فسدت فسد المجتمع ، وانطلاقاً من أن شقاء الزوجين يَنْبُع من شقاء أبنائهما ، لذلك كانت تربية الأولاد في الإسلام تحتل المكانة الأولى في التوجيهات الدينية .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ يشقى المرء بشقاء أولاده ويسعد بسعادتهم ، فلذلك يجب أن نُعنى بهذا الجانب من الإسلام .



أيها الأخوة المؤمنون ؛ في الخطبة السابقة كان موضوعها ، بل في القسم الأخير أن حسن اختيار الزوجة أحد عوامل استقرار الحياة الزوجية ، وأن قيام كل من الزوجين بواجبه تجاه الآخر أحد عوامل استقرار الحياة الزوجية ، واستقرار الحياة الزوجية أحد عوامل صلاح الأولاد ، فالطفل والولد من شأنه أن ينفر من بيتٍ مشحونٍ بالخصومات ، والمنافسات ، مشحونٍ بالكآبة ، مشحونٍ بالمُهاترات .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ولكن واقع المسلمين يُنْبِئ بأن هناك جهلاً فاضحاً في موضوع الطلاق ، الزوج ما إن يستفز لأدنى سبب حتى يحلف بالطلاق ، فإذا امرأته مشَرَّدة ، وإذا أولاده مشردون .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

[سورة الإسراء : 9]

ما لم نتَّبع الهدى الذي جاء به القرآن فلن تستقيم حياتنا .

المراحل التي يجب على الزوج أن يسلكها قبل أن يطلق زوجته :

1 . الوعظ و التبيين و التوضيح :

ماذا يقول الله سبحانه وتعالى فيما إذا نشِبَ خلافٌ بين الزوجين ؟ فيما إذا بدا للزوج أن زوجته بدأت تنحرف عن الصراط المستقيم ؟ ماذا يفعل الزوج لو أرادت زوجته أن تعصيه جهاراً ؟ ربنا سبحانه وتعالى يجيب عن هذا السؤال ، يقول الله عز وجل :

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾

[سورة النساء : 34]

انحرافهن ، خروجَهن عن طاعة الزوج .

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾

[سورة النساء : 34]

لابد من أن تعظها ، لابد من أن تبيّن لها ، لابد من أن توضّح لها ، لابد مِن أن تُذَكِّرها ، أما أن تطلقها من دون وعظٍ ، من دون إرشادٍ ، من دون توضيحٍ ، من دون بيانٍ ، من دون أن تبين لها حُكْم الله في هذا الموضوع فهذا من عوامل الجهل .

﴿ فَعِظُوهُنَّ﴾

[سورة النساء : 34]

ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الذاريات : 55]

وهذه مؤمنة ؛ ذَكّرها بأمر الله عز وجل ، ذكرها بسُنة النبي عليه الصلاة والسلام، ذكّرها بواجبها تجاه الزوج، ذكّرها بواجبها تجاه الأولاد ، ذكّرها بما ينبغي أن تعمل ، عندئذٍ حاسبها ، لا تحاسبها حساباً عنيفاً قبل أن تعظها ، وقبل أن تذكّرها ، وقبل أن توجهها . .

﴿ فَعِظُوهُنَّ﴾

[سورة النساء : 34]

هذا أمر الله عز وجل ، هذا توجيه القرآن الكريم :

﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ﴾

[سورة النساء : 34]

2 . الهجران في البيت :

المرحلة الثانية من المُعالجة الهِجران وهي في البيت ، لا أن ترسلها إلى بيت أهلها ، إذا أرسلتها إلى بيت أهلها ، فإن أدنى مشكلةٍ تنقلِب إلى أكبر مشكلة ، إن أطرافاً كثيرين يدْخُلون على الخَط ، ويباعدون بين الزوجين ، لذلك آيات القرآن الكريم فيها إعجازٌ في نظمها ، فإذا قرأت الآية في سياقها لها معنى ، وإذا أخرجتها من سياقها لها معنى ، ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾

[سورة الطلاق : 1]

مهما تكن القضية كبيرةً تصغر وتصغر إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها . .

﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾

[سورة النساء : 34]

أي عندكم . .

﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾

[سورة النساء : 34]



في حالاتٍ نادرةٍ بيّنها الفقهاء ، ولا مجال لذكرها من على المِنبر . .

﴿أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾

[سورة النساء : 34]

لِيَذْكُر الزوج أن الله سبحانه وتعالى أقدر عليه مِنه على زوجته ، يجب أن يخاف الزوج رَبَّه ، يجب أن يتقي الله في الضعيفين ؛ المرأة واليتيم ، يجب أن يشعر أن الله قادر عليه.

﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾

[سورة النساء : 34]

النبي عليه الصلاة والسلام رأى أحد أصحابه يضرب غلامه ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((اعلم يا أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام))

[من الجامع الصغير عن أبي مسعود]

ويا أيها الزوج إن الله أقدر عليك منك على زوجتك . .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾

[سورة النساء : 34]

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾

[سورة النساء : 35]

3 . الضرب في حالات نادرة :

المرحلة الثالثة : عظوهن أولاً ، اهجروهُن ثانياً ، والضرب في حالاتٍ نادرة جداً لها تفصيلاتٌ كثيرة .

4 . توكيل حكم من أهلها و حكم من أهله :

والرابعة :

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾

[سورة النساء : 35]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه المراحل لا بد من أن يسلكها الزوج قبل أن يطلِّق ، وإلا شرد أولاده ، وشقي أولاده ، وشقي هو بشقائهم ، قد يسأل سائل : وما علاقة الطلاق في موضوع الخطبة ؟ علاقة الطلاق إنه أحد أبواب تشرد الأولاد وضياعهم ، وإذا ضاع الأولاد شقي الأب وشقيت الأم .

يا أيها الأخوة المؤمنين ؛ حتى لو أن الزوج طَلَّق ، لا بد من أن يطلق طلاقاً سُنّياً لا أن يطلق طلاقاً بِدْعيّاً ، يجب أن يطلِّقها طلقةً واحدة وتبقى في البيت ، هذه المشكلة التي من أجلها طلقها لابد من أن تصغر مع مرور الأيام ، وله أن يراجعها من دون قيدٍ أو شرط، فإذا مضت العِدَّة ولم يراجعها ، مَلَكَت نفسها ، وله أن يعيد عقد القران عقداً جديداً ، ويتم الأمر هكذا مرتين ، وفي الثالثة تبينُ عنه بينونة كبرى .

تطليق المرأة سبب تشرُّد الأولاد وضياعهم :



يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ آيةٌ جعلتها فيما مضى موضوعاً لخطبةٍ بأكملها .

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾

[سورة الطلاق : 2]

لكن هذه الآية جاءت في سورة الطلاق ، معناها السياقي : من يتق الله في تطليق زوجته ، يجعل الله له مخرجاً في العودة إليها وإرجاعها إليه ، ومن يطلق طلاقاً بِدْعِيّاً يصبح المخرج إلى العودة إليها مسدوداً .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ما أردت من هذا الموضوع ، ومن هذه المعالجة السريعة إلا أن أبين لكم أن تطليق المرأة أبغض الحلال إلى الله ؛ لأنه سببٌ لتشرُّد الأولاد وضياعهم ، وبضياع الأولاد يشقى الأب وتشقى الأم .

رعاية الطفل و توجيهه :

سببٌ آخر يا أيها الأخوة في انحراف الصغار : النبي عليه الصلاة والسلام بيّن في أحاديث كثيرة أن الطفل يجب أن ترعاه ، وقد قال في بعض الأحاديث :

((لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدَّق بصاعٍ))

[الجامع الصغير عن جابر بن سمرة]

الطفل كما تعلمون مفطورٌ على طاقةٍ يجب أن تُفَجَّر ، هذه الطاقات التي أودعها الله فيه إن لم تفجَّر في طريقٍ مشروع ، وفي أجواء نظيفة ، وفي أساليب صحيحة ، لابد من أن تفجر في بيئةٍ قذرة ، وفي أجواء سيئة ، وفي طريقٍ منحرف ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع))

[الجامع الصغير عن عمرو بن شعيب]

فالصلاة بما فيها من حركات ، وما فيها من قراءات ، وما فيها من ذهابٍ وعودةٍ من المسجد وإليه ، وما فيها من تنظيم للوقت ؛ إنها تملأ فراغ الصغير .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ وسيدنا عمر رضي الله عنه قال :

((علّموا أولادكم الرماية ، والسباحة ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً))

[الإصابة عن عمر ، وانظر فتح الباري]

أيْ أن هذه الطاقة يجب أن تفجَّر في الطريق الصحيح . والإمام الطبراني يروي في كتابه الكبير أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((كل شيءٍ ليس من ذكر الله فهو لهوٌ و سهوٌ إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغَرَضين – الهدفين – في الرمي ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعلمه السباحة))

[الطبراني عن عطاء بن أبي رباح]

كأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يوجهنا إلى أن هذا الطفل طاقة لابد من أن توجَّه توجيهاً صحيحاً ، ونحن على مشارف الصيف ، وفي الصيف فراغٌ كبير .

فيا أيها الأب الكريم ، يا أيها الزوج ، يا أيها المسلم ، يا أيها المؤمن ، لابد من أن تملأ فراغ أولادك ، إن لم تملأه بالخير مُلئ بالشر . النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة وجلداً))

[من المبسوط للإمام السرخسي]

إذاً القوة البدنية مطلوبةٌ في الإسلام ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللَّهِ تَعالى مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ ، واسْتَعِنْ باللَّهِ ولا تَعْجِزَنَّ ، وإنْ أصابكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ : لَوْ أَنّي فَعَلْتُ كَذَا كانَ كَذَا وَكَذَا ، وَ لَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَما شاء فَعَلَ ، فإنَّ "لَوْ" تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ))

[مسلم و ابن ماجه و أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

أسباب انحراف الشباب و الأطفال :

1 . الفراغ :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من بديهيات التربية ، من مسلمات التربية أن الفراغ خطرٌ، ولا سيما على الشباب ، ولا سيما على الشابّات ، ولا سيما على إنسان في مقتبل الحياة ، ولا سيما على طفلٍ لم يقو إيمانه بعد ، فلابد من أن تملأ هذا الفراغ وإلا يكون الانحراف ، وفي الانحراف شقاءٌ للأبوين .

2 . الخلطة الفاسدة و رفقاء السوء :


أخطر مفسد للأولاد رفقاء السوء

شيءٌ آخر في أسباب انحراف الأطفال أيها الأخوة المؤمنون : الخُلطة الفاسدة ورفقاء السوء ، ولا أعتقد أن شيئاً أخطر على أولادك من رفقاء السوء – هذا الكلام ينصرف إلى الصغار وإلى الكبار ، إلى كل إنسان – يقول الله عز وجل :

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾

[سورة الفرقان : 27-29]

ما قولكم أن رفيقاً واحداً من رُفقاء السوء قد يصل بالإنسان إلى جهنَّم ؟ إلى جهنم وإلى الأبد . .

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾

[سورة الفرقان : 27-29]

الحكمة من تقديم الله تعالى شياطين الإنس على شياطين الجن :

لماذا ربنا سبحانه وتعالى في قوله تعالى قدَّم شياطين الإنس على شياطين الجِن؟ هذا تقديم أهمية ، تقديم خُطورة ، تقديم أَوْلَوِيَّة ، إن شياطين الإنسان أخطر على الإنسان من شياطين الجن ، وما شياطين الإنس إلا رُفقاء السوء ، يأخذونك خطوةً فخطوة ، مرحلةً فمرحلة ، كلمةً فكلمة ، من معصيةٍ إلى أكبر منها ، من

انحرافٍ إلى أخطر منه ، من مجلسٍ فيه معصيةٌ إلى مجلسٍ فيه معاصٍ ، من فكرةٍ ضالة إلى أفكارٍ ضالة ، من عقيدةٍ زائغة إلى عقيدةٍ منحرفة ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

[سورة الزخرف : 67]



لذلك ربنا سبحانه وتعالى يأمرك أيها المؤمن :

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف : 28]

تكفي هذه الآية ، الأمور في حياة هذا الرفيق السوء غير منضبطة . .

﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف : 28]

ليس هناك انضباطٌ في أخلاقه ، ولا في كلامه ، وليس هناك انضباطٌ عند زوجته وأولاده ، ولا في عمله ، ولا في تعامله ، إن أمره كما قال الله عز وجل :

﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف : 28]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام الترمذي يقول :

((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل))

[أحمد عن أبي هريرة]

إنك على دينه شئت أم أبَيْت ، مسموحٌ لك في علاقات العمل أن تحدِّث إنساناً أو أن تكلِّمه ، أما أن تنشئ علاقاتٍ حميمة لإنسانٍ بعيد عن الله عز وجل ، بعيدٍ عن ذِكْرِ الله ، بعيدٍ عن قيَم الإسلام ، بعيد عن التذكير بالآخرة ، من هنا قال ابن عطاء الله السكندري : " لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله ، ولا يدلك على الله مقاله " ، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

[سورة المائدة : 51]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[سورة التوبة : 23]

وهناك آية أخرى :

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾

[سورة آل عمران : 28]

كأن الله بريء منه ، برئَت منه ذمَّة الله .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما ، يقول :

((مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كمثل حامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك و إما أن تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرقك ثيابك أو تجد منه ريحاً منتنة))

[متفق عليه عن أبي موسى الأشعري]

قل لي من تصاحب أقل لك من أنت ، الصاحب كما يقول بعض الصوفيين : ساحب ، الصاحب ساحب ، ومن جالس جانس ، لذلك ما من شيءٍ أخطر على أولادك من رُفقاء السوء . النبي عليه الصلاة والسلام يقول في حديثٍ ثالث في هذا الموضوع :

((المرء مع من أحب وله ما اكتسب))

[الجامع الصغير عن أنس]

قل لي من تحب أقل لك من أنت ، المؤمن يحب المؤمنين :

((المؤمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَصَحَةٌ مُتَوَادُّونَ، وَإِنِ افْتَرَقَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، وَالْفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَاذِلُونَ، وَإِنِ اجْتَمَعَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ))

[الترغيب والترهيب للمنذري، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ يقول عليه الصلاة والسلام أيضاً :

((إياك وقرين السوء فإنك به تُعْرف))

[الجامع الصغير عن أنس]

الأشياء التي تجرح العدالة :

وتعلمون أن من الأشياء التي تجرح العدالة صحبة الأراذل ، الإنسان له صفتان؛ الضبط والعدالة ، الضبط صفةٌ عقلية ، والعدالة صفة خُلُقِيَّة ، فإذا جُرِحَت عدالته بطلَت شهادته، أي يجرد الإنسان من حقوقه ، مما يجرح العدالة صحبة الأراذل ، مما يجرح العدالة التنزّه في الطرقات ، الحديث عن النساء ، تطفيفٌ بتمرة ، أكل لقمةٍ من حرام ، مما يجرح العدالة التبول في الطريق ، المشي حافياً ، مما يجرح العدالة من علا صياحه في البيت حتى سمعه من في الطريق . أشياء كثيرة تجرح العدالة ، الحديث عن النساء يجرح العدالة ، مما يجرح العدالة صحبة الأراذل ، مما يجرح العدالة التنزُّه في الطُرقات ، أن تقود برذوناً ، أي بغلاً ، أن تطلق لفرسك العِنان ، أن تسرع في قيادة مركبتك ، هذا كلّه مما يجرح العدالة .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ من أسباب انحراف الصغار الخلطة الفاسدة وقُرَناء السوء .

3 . سوء معاملة الوالدين :

شيءٌ آخر : إن سوء معاملة الأبوين ؛ فالطفل إذا عومل معاملة قاسية ، وأُدِّبَ بالضرب الشديد ، والتوبيخ القارع ، والتحقير ، والازدراء ، والتشهير ، والسخرية فإنه ينحرف ، إنه يحقِد على والديه ، فالقسوةَ التي ليست في مكانها الصحيح إنها إساءةٌ بالغة إلى الطفل .

الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه ولا ينزع من شيءٍ إلا شانه :

النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((الراحمون يرحمهم الله...))

[الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((الراحمون يرحمهم الرحمن))

[الدر المنثور عن عبد الله بن عمر]

((..ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء))

[الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

النبي عليه الصلاة والسلام يقول :



((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

[الجامع الصغير عن علي]

أي عامله معاملةً لطيفة ؛ جذب قلبه إليه ، أكرمه ، لان له ، عنَّفه بطريقةٍ معقولة ، بل علَّمه فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف))

[الجامع الصغير عن أبي هريرة]

يقول عليه الصلاة والسلام :

((إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيراً أدخل عليهم الرِفق))

[شعب الإيمان عن عائشة]

((إن الرفق لو كان خَلْقَاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه ، وإن العنف لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أقبح منه ، إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه ، ولا ينزع من شيءٍ إلا شانه))

[من زيادة الجامع الصغير عن جابر]

إن الله رفيقٌ يحب كل رفيق ، إن الله يُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

الإمام البخاري يروي عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله :

((إن الله يحب الرفق في الأمر كله))

[متفق عليه عن عائشة]

كاد الحليم أن يكون نبياً ، الحلم سيِّدُ الأخلاق ، الله سبحانه وتعالى يخاطب النبي يقول له :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران : 159]

الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾

[سورة البقرة : 83]

فأهلك وأولادك أجدر الناس أن تخاطبهم بالحُسنى ، إن الله عز وجل :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾

[سورة النحل : 90]

هذا الموضوع إن لم يسعه العدل يسعه الإحسان ، هذه القضية إن لم يسعها العدل يسعها الإحسان .

وصف المتقين :

شيءٌ آخر : ربنا سبحانه وتعالى يصف المتقين يقول :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة آل عمران : 133-134]

قد يغلي الإنسان ، قد يتأجَّج ، قد يشعر أن بركاناً يغلي في جوفه .

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾

[سورة آل عمران : 134]

هذه مرتبة :

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾

[سورة آل عمران : 134]

هذه مرتبة أرقى ، والمرتبة الثالثة :

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة آل عمران : 134]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ سوء معاملة الوالدين سببٌ في انحراف الأطفال ، وقرناء السوء سببٌ آخر ، والخصام والشقاق والطلاق سببٌ أوّل في انحراف الأولاد .

4 . الإساءة إلى الولد و عدم إعانته على برّ والديه :

بقي شيءٌ آخر هو أن سيدنا عمر – رضي الله عن عمر– جاءه رجلٌ يشكو عقوق ولده ، فماذا فعل سيدنا عمر ؟ أحضر الولد ، وأنَّبه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه ، فقال الوَلَد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقٌ على أبيه ؟ قال : بلى . قال : فما هي هذه الحقوق يا أمير المؤمنين ؟ فقال سيدنا عمر : إنه على

الأب أن يحسن انتقاء أمه – هذا أول حق – وأن يحسن اسمه ، وأن يعلمه الكتاب – أي القرآن – فقال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجيةٌ كانت لمجوسي ، وقد سمَّاني جعلاً – أي خنفساء – ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً . فالتفت عمر إلى الرجل وعنفه قائلاً : يا هذا لقد جئتني تشكو عقوق ابنك ، وقد عققته قبل أن يَعُقَّك ، وأسأت إليه قبل أن يُسيء إليك .

معاوية بن أبي سفيان غضب مرةً على ابنه يزيد ، فأرسل إلى الأحنف بن قيس يسأله عن رأيه في البنين ؟ والأحنف بن قيس من التابعين الذي إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه ، كان إذا غضب غضب لغضبته مئة ألف سيف ، لا يسألونه فيما غضب ، كان من كبار التابعين قال الأحنف : " يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا – تذكروا هذا القول : هم –الأولاد – ثمار قلوبنا – وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرضٌ ذليلة ، وسماءٌ ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فإنهم يمنحونَك ودَّهم ، ويحبونك جُهدهم – أي إذا أثمرت معاملة الأب لأولاده محبةً في قلوبهم له ، وخدمةً في عضلاتهم له ، فقد نجح في تربيته إياهم– ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملّوا حياتك ويتمنّوا وفاتك " .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في البيت المسلم ، لأن البيت المسلم هو عماد المجتمع المسلم ، الأسرة لبنةٌ أولى في المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع ، وإذا فسدت فسد المجتمع .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن مَلَك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : مسؤولية الآباء في تربية أولادهم

الدرس (3-1) : الأبوة مسؤوليةٌ تجاه الله

الدرس (3-2) : ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في أبنائنا

الدرس (3-3) : ترسيخ القيم الأخلاقية

الدرس (3-4) : ظاهرة السباب والميوعة

الدرس (3-5) : التربية النفسية

الدرس (3-6) : التربية الاجتماعية

الدرس (3-7) : حقوق الوالدين

الدرس (3-1) : الأبوة مسؤوليةٌ تجاه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الأبوة مسؤولية كبيرة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في البيت المسلم ، منطلقين مما قلته في الأسبوع الماضي من أن سعادة المُسلم في سعادة أولاده ، وأن شقاءه في شقائهم ، وأن الأبوّة مسؤوليةٌ كبيرة ، وأن الأب إذا أهمل تربية أولاده، وشَبّوا على معصية الله عز وجل ندم ، ولات ساعة مَنْدَم .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ في القرآن الكريم توجيهاتٌ كثيرة توجّه الآباء إلى تربية الأبناء ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾

[سورة التحريم : 6]

الأمر موَجّهٌ إلى أنفسِكم أولاً ، وإلى أهليكم ثانياً ، بل إن حِكمة تقديم النفسِ على الأهل ، أن الإنسان لا يستطيع أن يوجّه أهله إلا إذا وجَّه نَفسه ، ولا يستطيع أن يُصلح أهله إلا إذا أصلح نفسه ، ولا يستطيع أن يُقنع الآخرين بشيء إن لم يكن قانعاً به ، ولا يستطيع أن يحملهم على تطبيقه إن لم يكن مطبقاً له ، من هنا جاء قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾

[سورة التحريم : 6]

هذا الأب الذي يتمنَّى من أهله أن يكونوا في أحسن حال ، وفي أفضل طريقة ، وفي أحسن حالة ، من دون أن يُعْنَى بآخرتهم ، من دون أن يعنى بدينهم ، من دون أن يعنى بمستقبل حياتهم ، من دون أن يُعْنَى بسعادتهم ، هذا الأب الذي يفعل هذا يخون أهله ، لأنه يوردهم موارد الهَلَكة .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه الآية يجب أن تكون شعار كل مؤمن :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾

[سورة التحريم : 6]

والأهل الزوجة ، والأهل الأولاد ؛ شباباً وشاباتٍ ، والأهل كل من تمونه ، أو تلي عليه ، أو جعله الله تحت وِصايتك .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[سورة التحريم : 6]

ضرورة معرفة الله و الإيمان به و بكتابه القويم :



شيءٌ آخر في توجيهات القرآن الكريم هو أن الله سبحانه وتعالى يقول مخاطباً المؤمنين - وأنتم تعلمون أن الناس يخاطبون بأصول الشريعة ، بينما المؤمنون يخاطبون بفروعِها ، بعد أن عرفت الله عز وجل وآمنت به ، وآمنت بكتابه القَويم ، إن كتابه يأمرك أن تأمر أهلك بالصلاة - قال تعالى :

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

[سورة طه : 132]

في الآية لقطةٌ دقيقة ؛ لم يأمرك الله أن تصطبر عليهم ؛ بل أن تصطبر على الصلاة نفسها ، فربما أدَّوها أداءً شكلياً ، اقبلها منهم بادئ ذي بَدء ، دعهم يصلّوا قبل كل شيء، إذا صلّوا وجههم إلى الخشوع في الصلاة ، إذا خشعوا وجههم إلى ثِمار الصلاة ، أيْ نَقِّلْهُم من مرحلةٍ إلى مرحلة ، ومن طَوْرٍ إلى طور ، ومن حالة إلى حالة ، اصطبر على صلاتهم كيْ تُصبح صلاةً مقبولة ، اصطبر على صلاتهم حتى تكون كما أراد الله عز وجل ، اصطبر على صلاتهم حتى تؤتي أُكُلَها ، اصطبر على صلاتهم حتى تقطف منها ثمارها .

الأبوة ليست وجاهةً و مكانةً إنما هي مسؤوليةٌ تجاه الله أولاً :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر : 92-93]



يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ليست الأبوة وجاهةً ، وليست الأبوة مكانةً ، وليست الأبوة ميزةً يمتاز بها الأب ، وليست الأبوة مُتعةً ، إنما الأبوة مسؤوليةٌ تجاه الله أولاً ، لذلك هذه الآية عامَّة ويمكن أن تنسحب على موضوع خطبتنا اليوم :

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر : 92-93]

في بيوتهم ، في معاملتهم لأهليهم ، في تربيتهم لأولادهم ، في أخذ أهلهم بشرع الله عز وجل . .

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر : 92-93]

آيةٌ أخرى تؤكِّد هذا المعنى ، يقول الله عز وجل :

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾

[سورة الصافات: 24]

لذلك قد يقول الابن : يا رب لا أدخل النار حتى أُدْخِل أبي قبلي ، لأنه لم يعلمني ، لأنه لم يوجِّهني ، لأنه ما حملني على طاعتك ، لأنه لم يضيِّق عليّ إذ رآني في معصية ، لا أدخل النار حتى أُدخل أبي قبلي ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾

[سورة الصافات: 24]

والله سبحانه وتعالى يوصيكم في أولادكم ، هكذا يقول القرآن الكريم :

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾

[سورة النساء : 11]

ومن إعجاز القرآن أن الآية إذا نزعتها من السياق لها معنى شمولي ، فإذا وضعتها في السياق فلها معنى آخر ، هذه الآية مُطلقةٌ والمُطلق على إطلاقه . .

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾

[سورة النساء : 11]

أن تربّوهم ، أن تعتنوا بهم ، أن ترشدوهم ، أن تعلموهم كتاب الله ، أن تحملوهم على الخُلُق الكريم ، ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً .

والله سبحانه وتعالى يوصي النساء فيقول :

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة : 233]

وقد كشف العلماء عن آثار إرضاع الأمّهات أولادهن ؛ عن الآثار النفسية ، والآثار الاجتماعية ، والآثار الجسمية ، إن إرضاع الأم ابنها له أثرٌ كبيرٌ في أخلاقه ، في نمو عواطفه الإنسانية ، في نمو شعوره الأُسَرِيّ ، هذا كله من جرّاء إرضاع الأم ابنها . .

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة : 233]

ما ورد في القرآن الكريم من توجيهات حول العناية بالأهل :

توجيهات القرآن كثيرة . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾

[سورة التحريم : 6]

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

[سورة طه : 132]

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر : 92-93]

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾

[سورة الصافات :24]

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾

[سورة النساء : 11]

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة : 233]

توجيهات في السنة الشريفة وجّهنا بها النبي عليه الصلاة والسلام :

ماذا في السنة النبوية الشريفة ؟ يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري ، في كتاب الأدب المُفْرَد:

((الرجل راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

أَحَفِظَ أم ضيَّع ؟ أنصح أم غَش ؟ اعتنى أم أهمل ؟ أوجّه أن لم يوجّه ؟ أدقق أم لم يدقق ؟ أحاسب أم لم يحاسب ؟

((الرجل راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

وفي الحديث :

((أيما امرأةٍ قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[من كنز العمال عن أنس]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ كما أن بر المسلم بوالديه عملٌ يكفي لدخول الجنة ، استنباطاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة))

[من مختصر تفسير ابن كثير]

كذلك أن تربي أولادك ؛ شباباً وشاباتٍ تربيةً دينيةً حسنةً ، تربيةً أخلاقيةً قويمة ، تربيةً جسميةً صالحة ، تربيةً اجتماعيةً ، تربيةً علميةً ، إذا ربَّيت أولادك تربيةً صحيحة ، ربما كان هذا العمل كافياً لدخول الجنة ، فأبواب الجنة مفتحةٌ أمامك ، أبواب الجنة تبدأ من بيتك ، أبواب الجنة تبدأ من تربية أولادك .

مسؤولية المسلم تجاه أولاده :

الإمام الترمذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً يقول فيه :

((لأن يؤدّب الرجل ولده خيرٌ له من أن يتصدَّق بصاعٍ من بر كل يوم))

[الترمذي عن جابر بن سمرة]



صاع البر شيءٌ ثمين ، في البيئة التي قيل فيها هذا الحديث .

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :

((علّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم))

[من الدر المنثور عن أبي طالب]

وأمر النبي عليه الصلاة والسلام هو أمر الله عز وجل ، لقول الله عز وجل :

﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر : 7]

إن طاعة رسول الله – كما يقول علماء الأصول – هي عين طاعة الله ، وطاعة الله عز وجل هي عين طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي حديثٍ آخر رواه الإمام الطبراني ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم . . .))

[رواه الطبراني عن علي]

لماذا ؟ الطفل ، والفتى ، والشاب ، لابد له من قدوة يقتدي بها ، لابد له من مثلٍ أعلى يتمثّل به ، لابد له من شخصيةٍ فذة يرنو إليها ، لابد له من إنسانٍ عظيم يتأمَّل عظمته ، فإذا كانت القدوة والأسوة والمثل شخصاً تافهاً مِن الطبقة الدُنيا مِن المجتمع ، كما هي الحال في أزمنة التخلّف ، حينما يكون فلانٌ الممثل مثلاً قدوةً لشبابٍ وشابّات ، عندئذٍ اقرأ على أخلاق هذه الأمّة السلام ، لماذا ؟ النبي عليه الصلاة والسلام يأمرنا أن نؤدِّب أولادنا على ثلاث خصال حب نبينا ، لأنه القدوة التي اختارها الله لنا ؛ زوجٌ ناجح ، أبٌ ناجح ، فتىً ناجح ، نبيٌ مرسل ، كل صفات الكمال متمثلةٌ فيه ، فإذا ربَّيت ابنك على خُلُق النبي عليه

الصلاة والسلام ، على حُب النبي ، على التمسّك بسُنَّته ، على التعلّق بصفاته ، على ترسُّم منهجه ، على اقتفاء أثره ، فقد نجحت وأفلحت وبررت :

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال ؛ حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن))

[رواه الطبراني عن علي]

القرآن كما يقولون كونٌ ناطق ، والكون قرآنٌ صامت ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآنٌ يمشي على قدمين ، كما قالت السيدة عائشة :

((كان خلقه القرآن))

[مسلم عن عائشة]

هذا بعض ما في السنة النبوية من توجيهاتٍ وجّهنا بها النبي عليه الصلاة والسلام .

وعن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شَبَبَة– أي شبيبة ، أي شباب – متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلةً ، فظن أننا اشتهينا أهلينا، فسألنا عمّن تركنا في أهلينا ، فأخبرناه ، وكان رقيقاً رحيماً ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((ارجعوا إلى أهليكم فعلّموهم ، ومروهم ، وصلوا كما رأيتموني أصلي ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم))

[البخاري عن أبي سليمان مالك بن الحويرث]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ حديثٌ أخير يحدد مسؤولية المسلم تجاه أولاده ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه – ليس السؤال ماذا تعلم ؟ لا ، السؤال :– وعن علمه ماذا عمل به ؟))

[من زيادة الجامع الصغير عن ابن مسعود]

مسؤولية كل إنسان عن علمه يوم القيامة :

كل من يحضر خطبة جمعة ، ويستمع إلى توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام، أو إلى توجيهات القرآن الكريم ، أو إلى توجيهات السَلَف الصالح ، إنه بهذا الحضور ، وبهذا الاستماع أصبح مسؤولاً أمام الله أولاً عن هذا العلم ماذا عمل به ؟ ماذا ينفع أحدنا أن يقول عقب الخطبة : والله خطبةٌ رائعة ، استمتعنا بها ، فمتى تترجم هذه الخطبة إلى سلوك ؟ إلى واقع ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛

((لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل به ؟))

[من زيادة الجامع الصغير عن ابن مسعود]

هناك ملاحظة : العبد يُسأل يوم القيامة عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ ولكن عن ماله يُسأل سؤالين ؛ من أين اكتسبه ؟ و فيم أنفقه ؟ هؤلاء الذين جمعوا المال من حرامٍ وأنفقوه في حرامٍ ، يقال لهم : خذوهم إلى النار ، حسابهم سريع ، وهؤلاء الذين جمعوا المال من حلالٍ وأنفقوه في حرامٍ يقال : خذوهم إلى النار ، وهؤلاء الذين جمعوا المال من حرامٍ وأنفقوه في حلالٍ ، يقال : خذوهم إلى النار ، المال خطير ، يجب أن تكسبه حلالاً وأن تنفقه حلالاً ، وعن علمه ماذا عمل به . .

وعالمٍ بعلمه لم يعملن معذبٌ من قَبْل عباد الوثن

* * *

فأيَّة خطبةٍ ، أيُّ درسٍ ينتهي إلى سمعك ، وضعك أمام مسؤولياتك تجاه الله عز وجل .

توجيهات وردت من بعض الأمراء حول تربية الأولاد :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ روى الجاحظ أن عُقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى مؤدبه – إلى أستاذه – أنتم أيها الأخوة تنتمون إلى أمةٍ عريقة ، في تراثها التربوي الشيءٌ الكبير، استمعوا معي إلى بعض التوجيهات التي وردت من بعض المؤدّبين ، ومن بعض الأمراء، يقول عقبة بن أبي سفيان لمؤدب ابنه – لمعلم ابنه :" ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح ابني إصلاح نفسك ، لأن عيونهم معقودةٌ بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيحُ عندهم ما استقبحت – أيْ أخطر ما في التعليم المُعَلِّم ، إذا استحسن شيئاً غير حسن استحسنه طلابه وهم لا يشعرون ، وإذا استقبح شيئاً حسناً استقبحه طلابه وهم لا يشعرون – ليكن أول إصلاحك لابني إصلاحك لنفسك ، لأن عينه معقودةٌ بعينك ، فالحسن عنده ما فعلت، والقبيح عنده ما تركت – يتابع هذا الأمير توجيهه لمؤدب ابنه – علِّمهم سيَر الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، تهددهم بي ، أدبهم دوني، كن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء – المعلم طبيب ، إذا صَلَحَ المُعَلِّم صلح الطلاب ، إذا صلح المؤدِّب صلح الطلاب – ولا تتكلن على عذرٍ مني فإني قد اتكلت على كفايةٍ منك " توجيهٌ سديد منطلقٌ من حقيقةٍ رشيدة .

ليكن أول ما تبدأ به إصلاح بنيَّ إصلاح نفسك ، فإن عينه معقودةٌ بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، علمهم سير العلماء ؛ الأبطال ، الصناديد ، الصادقين ، الأُمناء ، الشجعان ، الأوفياء ، الكُرماء ، حتى يكون هؤلاء قدوة ، علمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، تهددهم بي ، أدبهم دوني ، كن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولا تتكلن على عذرٍ مني ، فإني قد اتكلت على كفايةٍ منك .

هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى مؤدِّبه قال له : " يا أحمر – كان اسمه أحمر – إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصيَّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعَرِّفه الأخبار ، وروِّهِ الأشعار ، وعَلِّمه السُنَّة ، بصِّره بمواقع الكلام ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، ولا تُمِعَنَّن في مسامحته، ولا تمُرَّن بك ساعة إلا وأنت مغتنمٌ فائدةٌ تفيده إيّاها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تُمْعِن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوِّمه – أي أصلحه – ما استطعت إلى ذلك سبيلاً بالقرب والمُلاينة ، فإن أباهُما فبالشدة والغلظة " . توجيهٌ سديد . . امنعه من الضحك إلا في أوقاته ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنمٌ فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه – أن تيئِسه، أن تجعله في نفسه صغيراً ، أن تجعل الطريق أمامه طويلاً ، أن تعطيه ما لا يطيق – من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، قوِّمه بالقرب والمُلاينة ، فإن أباهما فبالشدة والغلظة ، هذه بعض توجيهات المُرَبِّين .

عبد الملك بن مروان قال لمؤدِّب ولده : " علمه الصدق كما تعلمه القرآن ، واحمله على الأخلاق الحميدة ، روِّهِ الشعر – شعر البطولة فيشجع وينجد ، يصبح شجاعاً وذا نجدة – جالس به أشراف الرجال وأهل العلم ، جنِّبه السفلة والجُهَّال ، فإنهم أسوأ الناس أدباً ، وقِّره في العلانية ، وأنبه في السر– لو اطلعت على نفس الصغير لا يؤلمه شيء إلا أن تؤنبه أمام الناس ، إلا أن تؤنبه أمام أصدقائه ، إلا أن تؤنّبه أمام إخوته ، أمام أهله – أنبه في السر، ووقره في العلانية . واضربه على الكذب ، لأن الكذب يدعو إلى الفجور ، وإن الفجور يدعو إلى النار " ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة))

[من كنز العمال عن أبي أمامة]

أحد الحكماء وجَّه مؤدِّب ابنه ، قال له : " لا تخرجن به من علمٍ إلى علمٍ حتى يُحْكِمَهُ ، فإن اصطكاك العلم في السمع ، وازدحامه في الوهم مضلةٌ للفهم " . أيْ كثرة المواد من دون فهمٍ لها ، مادةٌ فوق مادة ، ومادةٌ فوق مادة ، وليس هناك عمقٌ في التدريس ولا تأنٍ في التلقين ، إذاً هذا مضلةٌ للفهم وسُقمٌ في التفكير .

ابن سينا العالم قال : " أن يكون مع الصبي في مكتبه صبيةٌ حسنةٌ آدابهم ، مَرْضيةٌ عاداتهم – وهذه الحقيقة هي الآن من الحقائق المُسَلَّم بها في علم النفس – لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس " أحدث إحصاءٍ قرأته : إن ستين بالمئة مما يتعلمه الطفل من قُرنائه ، والباقي موزعٌ بين أساتذته وأمه وأبيه ، ستون بالمئة ، ماذا يقول ابن سينا : " أن يكون مع الصبي في مكتبه صبيةٌ حسنةٌ آدابهم ، مرضيةٌ عاداتهم، لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ وبه آنس " .

هشام بن عبد الملك ، وجه مؤدب ابنه فقال : " إن ابني هذا جلدة ما بين عيني، وقد وليتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله ، وأد الأمانة ، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روِّهِ من الشعر أحسنه ، ثم تخلل به أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم ، وبَصِّره طرفاً من الحلال والحرام ، والخُطب والمواعظ " .

تربية الأولاد سبب كاف لدخول الجنة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ من خلال الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وتوصيات السلف الصالح ، يتضح أن الأبوة ليست وجاهةً ، وليست ميزةً ، وليست مكانةً ، إنما هي مسؤوليةٌ تجاه الله أولاً ، لأن الابن قد يقول يوم القيامة : يا رب لا أدخل جهنم حتى أُدخل أبي قبلي ، وكما أن الابن يقول هذا ، تقول بنتٌ : يا رب لا أدخل الجنة حتى أدخل أبي قبلي .



هكذا ورد في بعض الأحاديث ، إن تربية الأولاد قد تكون سبباً كافياً لدخول الجنة .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً .

* * *

سعادة المسلم في سعادة أولاده وشقاؤه في شقائهم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ قد يقول أحدكم : هذا الكلام الذي قلته في الخطبة الأولى كلامٌ جيدٌ وصحيح ، ولكن الواقع الذي نحن فيه لا يمكننا من تربية أولادنا هذه التربية ، فهناك أسباب كثيرة تدعو إلى فساد تربية الأولاد.

أيها الأخوة الأكارم ؛ لا شك أننا في زمنٍ صعب ، ولا شك أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال :

((يأتي على أمتي زمانٌ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر))

[من الجامع الصغير عن أنس]

وقال أيضاً :

((أجرِه كأجر سبعين . قالوا : منا أم منهم ؟ قال : بل منكم . قالوا : ولِمَ ؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون))

[من الجامع لأحكام القرآن]



صاحب الابن قد يهدم كل ما قاله الأب ، رفيق السوء قد يهدمه ، مجلةٌ خليعة قد تهدم كل هذا ، ولكن إذا صدق الرجل في تربية أولاده ، وبذل جهده الذي يستطيع ، لعل الله سبحانه وتعالى يُعينه على هدفه النبيل ، لعل الله عز وجل يحفظ ابنه برعايته ، لعل الله سبحانه وتعالى يلقي في قلب الابن هذا التوجيه السديد ، أنت عليك أن تفعل ، عليك أن تسعى ، وليس عليك إدراك النجاح ، قد يقول قائل : أنا لا أستطيع أن أربي ابني ، إن ابني له أفكاره الخاصّة ، وله عاداته السيئة ، ولا أستطيع أن أسيطر عليه ؟ هذا كلامٌ فيه شيءٌ من الواقعية ، ولكن الشيء الذي أريد أن أنوّه به أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((استعن بالله ولا تعجز ، ولا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان))

[من مختصر تفسير ابن كثير عن الوليد بن عبادة]

شيءٌ آخر : لا تقل فات الأوان ، لا ، لا تقل فات الأوان لو كان هناك إهمالٌ سابق شَمِّر عن ساعد الجِد ، وقل : يا رب ألهمني السداد والرشاد في تربية أولادي ، فلعل الله سبحانه وتعالى يكتب على يديك هدايتهم ، إن أسعد شعورٌ يشعره الأب أن يرى ابنه كما يُحب ، أن يرى ابنه كما يريد ، ألم تقرؤوا قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾

[سورة الفرقان : 74]

بإمكانك أيها الأخ الكريم ، بقدر الإمكان أن تسد كل نافذةٍ فيها توجيهٌ سيئ لابنك، أيّة نافذة ؛ قد تكون بعض أجهزة اللهو نافذة لهذا الفَساد ، قد يكون بعض الرُفقاء ، قد يكون بعض المُطالعات ، بعض الأمكنة ، أي مكانٍ ، أي زمانٍ ، أي بيئةٍ ، أي صديقٍ ، أي جهازٍ ، أي عملٍ فنيٍ قد يؤدي إلى إفساد أخلاق ابنك .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ دقق ما المصادر التي تؤذي أخلاق ابني ؟ ما النوافذ الخطرة على أخلاق ابني ؟

لابد من أن تسدها واحدةً واحدة ، وبعد ذلك الله سبحانه وتعالى يتولّى ابنك بالحفظ والرعاية .

أيها الأخوة الأكارم ؛ لَقْطةٌ من بعض الأحاديث القدسية ، هذا الذي سأله الله عز وجل قال :

((أعطيتك مالاً فماذا فعلت فيه ؟ قال : يا ربي أنفقته على كل محتاجٍ ومسكين لثقتي بأنك خيرٌ حافظاً وأنت أرحم الراحمين ، فقال الله عز وجل : عبدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك))

[ورد في الأثر]

كما أن الله عز وجل يحفظ أولادك من بعدك يمكن أن يحفظهم في حياتك ، فوجِّههم ، علِّمهم ، جالس بهم العلماء ، خُذْهُم إلى مجالس العِلم ، اصحبهم معك في كل مناسبةٍ تظنّ أنها طيبة ، لعل الله سبحانه وتعالى يهديهم إلى سواء السبيل .

أعود وأكرر ، أنطلق في كل هذه الخطب من أن سعادة المسلم في سعادة أولاده، وشقاءه في شقائهم .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولَنا فيمن تولَيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا

تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-2) : ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في أبنائنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيِّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

وجوب تعليم الأبناء مبادئ الدين القويم :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ عودةٌ إلى الموضوع المُتَسَلْسِل ، بدأنا قبل عدة أسابيع في موضوعٍ خطيرٍ ، ودقيقٍ ، ومهم ، إنه : " البيت المسلم " ، فالإنسان إذا سعد في بيته سعد في عمله ، إذا اطمأن في بيته أنتج في عمله ، والبيتُ قِوام المجتمع ، إنه اللبنة الأولى ، فإذا صلح البيت صلح المجتمع .


حين يبدأ ابنك بالتمييز يجب أن تعلمه الشريعة الغراء

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ مسؤولية الآباء تجاه أسرهم، وتجاه أهليهم مسؤولية ثابتة في نَصِّ القرآن الكريم ، لقوله تعالى :

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾

[سورة التحريم : 6]

ومسؤولية الآباء تجاه الأهل والأبناء مسؤوليةٌ كبيرةٌ، ومتعددةٌ ، ومتنوّعة ، في رأسها ، وفي قمتها ، ومن أبرزها مسؤولية التربية الإيمانية ، لابدَّ من أن تربّي بيتك بما فيه من أهلك ، وأولادك ، وبناتك تربيةً وفق ما جاء به المنهج الإسلامي ، ووفق ما جاءت به السُّنة النبوية .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ينبغي أن تعلّم ابنك منذ بدأ يعقل أصول الإيمان ، ويجب أن تعلمه منذ بدأ يفهم أركان الإسلام ، ويجب أن تعلمه حين بدأ يميّز مبادئ الشريعة الغرَّاء ، فأصول الإيمان ؛ الإيمان بالله عزَّ وجل ، الإيمان بالله خالقاً ، ومربياً ، ومسيراً ، الإيمان بأسمائه الحسنى ، وصفاته الفُضلى ، الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالرُسل ، الإيمان بالكُتُب ، الإيمان بالملائِكة ، الإيمان بالقدر خيره وشره ، هذه أركان الإيمان . ويجب أن تعلمه أركان الإسلام ؛ من صلاةٍ ، وصيامٍ ، وحجٍ ، وزكاة . يجب أن تعلمه مبادئ هذا الدين القويم ، من عقيدةٍ ، ومن شريعةٍ ، من عباداتٍ ، ومعاملاتٍ ، وأخلاق .

التّوحيد أساس الدين :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه مسؤولية الآباء ، ماذا جاء في النصوص القطعية الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام ؟ روى الحاكم عن ابن عباس أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((افتحوا على صبيانكم أول كلمةٍ بلا إله إلا الله))

[الحاكم عن ابن عباس]

لأن التوحيد أساس الدين ، وما مِن معصيةٍ ، أو انحرافٍ ، أو بَغْيٍ إلا بسبب الشِرك ، فلو أيقنَ الإنسان أنه لا إله إلا الله ، وأنه هو إلهٌ واحد ، وأن الله في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ ، وأن الأمر كلَّه بيده . .

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

[سورة هود : 123]

وأنه لا رافع ولا خافض ، ولا مُعز ولا مُذل ، ولا مُعطي ولا مانع ، ولا قابض ولا باسط إلا الله عزَّ وجل ، وأن كلمة التوحيد – كما قال علماء التوحيد – نهاية العِلم ، وأن التوحيد مع العبادة جَوْهَر الدين ، أنْ . .

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

[سورة الأعراف : 59]

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[سورة الأنبياء : 108]

ملخَّص هذا القرآن كله هو أنه لا إله إلا الله ، ولا إله إلا الله كلمة ولكن شرحها يطول ، تحتاج إلى قصص كي تؤكِّدها ، وما قِصَّةُ سيدنا يوسف في مُجْمَلها ، وفي مغزاها إلا كي تؤمن بأنه لا إله إلا الله ، وقد ورد مغزاها في بعض الآيات . .

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة يوسف : 21]

وما قصة موسى في مغزاها ، إلا أن الأمر كله بيد الله . .

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي﴾

[سورة القصص : 7]

لِمَ لا تخافي ؟ لأننا معه . .

﴿وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

وما قصة سيدنا يونس حينما التقمه الحوت . .

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء : 87-88]

هذه كلمة ، ولكن شرحها يطول ؛ تُشْرح من خلال آيات الكون ، وتشرح من خلال قِصَص الأنبياء ، وتُشرح من خلال قصص الصحابة الكرام ، وتشرح من خلال الأحداث اليومية ، وتشرح من خلال الآيات القُرآنية . لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((افتحوا على صبيانكم أول كلمةٍ بلا إله إلا الله))

[الحاكم عن ابن عباس]

الكلمة إذا كَثُرَ استعمالها قد تفقد بعض معناها ، يقول الناس جميعاً : لا إله إلا الله ، وقد يقولونها في ساعة غَضَبِهِم ، ولكن هل ندري ما معنى هذه الكلمة ؟ إنها الدين كله ، هذا الذي تخاف منه وتعصي الله خوفاً منه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ؛ لا أن ينفعك ، ولا أن يضرَّك ، ولا أن يقدِّم ، ولا أن يؤخِّر ، إذا آمنت بأنه لا إله إلا الله زال شبح هذا الخوف . ماذا قال سيدنا هود؟ . .

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة هود : 55-56]



أيها الأخوة المؤمنون ؛ ويستحب مَنْ رُزِقَ مولوداً أن يفعل أول شيء أن يؤذِّن في أذنه اليُمنى ، وأن يُقيم في أذنه اليُسرى ، لأن هذا الطفل حديث العهد بالحياة ، أول شيءٍ يطرق سمعه كلمة التوحيد ، هكذا علَّمنا النبي عليه الصلاة والسلام ، وفعل هذا.

وهناك شيءٌ آخر : عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال عليه الصلاة والسلام :

((اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وِقايةٌ لهم ولكم من النار))

[ابن جرير و ابن المنذر عن ابن عباسٍ]

هذا حديثٌ رواه ابن عباسٍ عن النبي عليه الصلاة والسلام :

((اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وِقايةٌ لهم ولكم من النار))

[ابن جرير و ابن المنذر عن ابن عباسٍ]

تأديب الأطفال على حبّ الصلاة و القرآن و حبّ النبي و آل بيته :

أما العبادات ؛ فقد وجَّهنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نأمر بها أولادنا في سِن السابعة ، وأن نضربهم على تركها في سن العاشرة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع))

[أحمد و البيهقي و الدار قطني عن عمرو بن شعيب]

وقد روى الطبراني عن سيدنا علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أنه قال :

((أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال ؛ حُبِّ نبيِّكم . . .))

[الطبراني عن علي بن أبي طالب]

لا لأن هذا الطفل في مُقْتَبَل العُمر من شأنه ، ومن طبيعته ، ومن خصائصه النفسية التعلُّق بشخصيةٍ مِثالية، فإن لم تربِّ ابنك على حبّ النبي عليه الصلاة والسلام ، وحبّ آل بيته ، وحبِّ المؤمنين نشأ على حب أُناسٍ آخرين ؛ تشمئزُّ من أخلاقهم ، ومن عاداتهم ، ومن سلوكهم ، ومن مُعتقداتهم ، ومن أنماط حياتهم ، ومن تفكيرهم ، كأن نفسَ الطفل وعاءٌ إن لم يُملأ بشخصيّاتٍ مثاليةٍ ، متمسكةٍ بأهداف الفضيلة ، امتلأت هذه النَفْسُ بشخصياتٍ تافهةٍ ، ساقطةٍ تخطف أبصار الأطفال بشكلٍ أو بآخر ، بسببٍ لا يَمُتُّ إلى الدين بصلةٍ إطلاقاً .


تعليم الأطفال القرآن الكريم يقوم ألسنتهم وينمي إيمانهم

أيها الأخوة المؤمنون ؛ هكذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام :

((أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال ؛ حبِّ نبيُّكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن))

[الطبراني عن علي بن أبي طالب]

السَلف الصالح في أطراف العالم الإسلامي ، في أيّام ازدهار العالم الإسلامي، كان منهج التربية تعليم الأطفال القرآن الكريم ؛ فمن خلاله تقوُّم ألسنتهم ، ومن خلاله ينمو إيمانهم ، ومن خلاله تتهذَّب أخلاقهم ، ومن خلاله تنمو شخصيَّتهم ، إن مناهج التربية الإسلامية قائمةٌ على تعليم الصغار القرآن الكريم، وبفضل الله عزَّ وجل إن في بلدتنا هذه معاهد كثيرةٌ جداً لتحفيظ القرآن الكريم ، ولتعليم علومه وآدابه ، فعلى كل أب أن ينتبه لهذه الناحية . .

((أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال ؛ حبِّ نبيُّكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن الكريم ، فإن حملة القرآن في ظلِّ عَرْشِ الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه))

[الطبراني عن علي بن أبي طالب]

ضرورة تعليم الأطفال سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ يتفرَّع عن تأديب الأطفال على حبّ النبي وحب آل بيته أن تُعَلِّم ابنك سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فضلاً عن تعليمه القرآن ، وعن تعليمه أحكام الصلاة ، وعن تعليمه أركان الإيمان، وأركان الإسلام ، وعن بيان آيات الله العظيمة الدَّالة عليه ، فضلاً عن كل ذلك يجب أن تعلمه سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، لماذا ؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قُرْآنٌ يمشي ، لأن النبي عليه الصلاة

والسلام هو المثل الأعلى، والقدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة ، لأن أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام تمثَّلت فيها أخلاق الإسلام ، أخلاق القرآن ، كيف كان يعيش ؟ كيف يُعامل أهله ؟ كان إذا دخل بيته بسَّاماً ضحَّاكاً ، كان إذا دخل بيته لفَّ ثوبه ، كان يتصابى للصِبيان ، كان يسلِّم عليهم ، كان يحمل حاجته بيده ، كان لا يأنف من قضاء حاجة ضعيفٍ أو مسكين ، كان مع إخوانه وأصحابه ، وقد توزَّعوا بعض الأعمال .. . قال : عليَّ سلخها . وقال آخر : وعليَّ ذبحها . وقال ثالث : وعليَّ طبخها . فقال عليه الصلاة والسلام : وعليَّ جمع الحطب . فقالوا : نكفيك ذلك ؟ قال : أعلم أنكم تكفونني ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه .

هذا درسٌ بليغ . قلت لكم في الأسبوع الماضي كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما دخل عليه أميرٌ من أمراء العرب ؛ خلع ثوبه وقذفه إليه وقال : " اجلس عليه " فما كان من هذا الرجل – الذي له مكانةٌ في قومه – إلا أن أخذ ثوب النبي ، ووضعه على وجهه ، وقبَّله وبكى ، وقال : أكرمك الله كما أكرمتني ، وما كان لي أن أجلس على ثوبك يا رسول الله ، ثم ردَّه إلى النبي عليه الصلاة والسلام . فقال عليه الصلاة والسلام :

((إذا جاءكم كريم قومٍ فأكرموه))

[أحاديث الإحياء عن ابن عمر]

لو قرأتم سيرة النبي عليه الصلاة والسلام قراءةً متأنِّيةً ، متمعِّنةً ، هادفةً ، دقيقةً ، متفحصةً ، لوجدتم أن في سيرته من الدروس والعِبَر ، ومن الإرشادات والتعاليم ما لا يستطيع بشرٌ على الإطلاق أن تكون حياته كُلها حقائق ، ومواقف ، وعِبَراً ، ودروساً ، لذلك عندما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال ؛ حبِّ نبيُّكم . . .))

[الطبراني عن علي بن أبي طالب]

أي علِّموهم سيرة النبي ، كيف يحبون النبي ؟ هل تقول له : أحبّ نبيَّك ؟ هذا كلامٌ لا معنى له ، قل لابنك آلاف المرات : أحبّ النبي يا بني . يقول لك : أحبه . ليس هذا هو المقصود ، بل المقصود أن تريه كمال النبي ، رحمة النبي ، تواضع النبي ، عَدْلَ النبي :

((. . . ويم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))

[رياض الصالحين عن عائشة]

هذا العدل ، والرحمة . سمع أهل المدينة أصواتاً مرعبةً ، فخرجوا من بيوتهم ذات ليلة ، فإذا بالنبي قد سبقهم إلى ذلك الصوت ، وعاد يقول لهم :

((لن تُراعوا لن تراعوا))

[من اللباب في شرح الكتاب عن صفوان بن أمية]

ما هذه الشجاعة ؟ . في معركة حنين قال :

((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . . .))

[الجامع لأحكام القرآن]

كان أقرب الصحابة إلى العدو ، كيف يحب ابنك النبي ؟ قل له : أحب النبي يا بني . هذه تربيةٌ عَقيمة ، هذه تربيةٌ غير مُجْديةٍ ، إذا بيَّنت له مواقف النبي ، تواضع النبي ، زهد النبي ، حرص النبي ، عطف النبي، رحمة النبي ، إذا بيَّنت له هذه الصفات والشمائل أحبَّه ، لماذا أحبَّه ؟ لأن الإنسان فُطِرَ على حُبِّ الكمال ، هذا من فطرته ، هذا جزءٌ من طبيعته ومن فطرته :

((يا داود ذكّر عبادي بإنعامي عليهم ، فإن النفوس جُبِلت - أي يا داود هكذا خلقتها- على حب من أحسن إليها ، وبُغض من أساء إليها))

[ورد في الأثر]

أبو جهل ، ماذا فعل ؟ من أعدى أعداء النبي ، من ألدِّ خصوم النبي ، ما ترك وسيلةً ، ولا موقفاً ، ولا كلمةً إلا وآذى بها النبي ، وهو من أعدى أعداء النبي ، جاء ابنه عكرمة مسلماً ، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه :

((يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجرا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت))

[الحاكم عن عبد الله بن زبير]

أبعد هذه الأخلاق من أخلاق ؟ ماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟

((فلا تسبوا أباه ، فإن سبَّ الميت يؤذي الحيّ))

مراعاةً لمشاعر ابنه عكرمة ، مراعاةً لأحاسيسه ، مراعاةً لبنوَّته .

تربية الجيل الصاعد على القيم الصحيحة و الخُلُق القويم و الانضباط :

أيها الأخوة الأكارم ؛ حين قال عليه الصلاة والسلام :

((أدبوا أولادكم على حبّ النبي . . .))

[الطبراني عن علي بن أبي طالب]

أي يجب أن تعلّمِ أولادك سيرة النبي ، اجلس معهم واقرأ عليهم طرفاً من سيرة النبي ، من مواقفه ، من شمائله ، البيت الذي ليس فيه كتابٌ عن سيرةِ النبي ، وعن مواقفه ، وعن شمائله بيتٌ مُقْفِر ، أنت مسلم ، وهذا نبيُّك ، هذا هو المثل الأعلى ، هذا المُصطفى حبيب الحق ، وسيد الخلق ، سيد ولد آدم ، الذي أدَّى الأمانة ، وبلَّغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمَّة ، وجاهد في الله حقَّ الجهاد ؛ ألا ينبغي أن تعرف مواقفه ؟ مغازيه ؟ صفاته ؟ أخلاقه الشخصية ؟ فضائله ؟ كمالاته ؟ لا تحب النبي إلا إذا عرفته ، وفي القرآن ما يدل على ذلك . .

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾

[سورة المؤمنون : 69]

ماذا تفعل ؟ اعرف رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم عَرِّف ابنك به .



إذاً يتفرع عن حبّ النبي ، وعلى تأديب الأطفال على حبّ النبي أن تقرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن تقرأ سِيَرَ الصحابة ، وأن تقرأ عن الشخصيات الإسلامية المرموقة ؛ كيف كان زهدهم، وكيف كانت غيرتهم ، وكيف كان حرصهم ، وكيف كان تواضعهم ، وكيف كانت بطولاتهم . لأن الشاب إن لم تملأ نفسه هذه الشخصيّات الفَذَّة فسوف تملؤها شخصياتٌ أخرى ممن يتقنون بعض المهارات ، ولا خَلاق لهم ، شخصيةٌ لامعة تتقن بعض المهارات الحركية ، ولا تنطوي على مُثُلٍ ولا على قيَم ، إذا بالأبناء جميعاً يتعلقون بهؤلاء .

أيها الأخوة الأكارم ؛ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، ماذا كان يقول ؟ كان يقول : كنا نُعَلِّم أولادنا مغازي النبي عليه الصلاة والسلام كما نعلمهم السورةَ من القرآن .

الإمام الغزالي – حجة الإسلام – ماذا قال ؟ نصح الآباء أن يعلّموا أبناءهم القرآن الكريم ، وأحاديث النبي عليه الصلاة والتَّسْليم ، وحِكايات الأبرار ، ثم بعض الأحكام الدينية ، كلامٌ دقيق ، منهج القرآن ، سيرة النبي، سيرة أصحابه والتابعين ، بعض الأحكام الفِقهية ، أحكام الصلاة في الدرجة الأولى ، هذا منهج كل أب .

ابن خلدون ؛ مؤسس علم الاجتماع بيَّن أهمية تعليم القرآن الكريم وتحفيظه للصغار .

ابن سينا ؛ العالِم والفيلسوف بيَّن أثر تعليم الطفل القرآن الكريم ، وبيَّن أثر هذا التعليم في تنمية لُغته ، وفي ترسيخ الإيمان في قلبه .

رجلٌ اسمه الفضل بن زيد ؛ رأى شاباً وسيماً ، فارساً شجاعاً ، عليه مخايل الذكاء ، فسأل أمه : كيف رَبَّيْته؟ فقالت : حينما أتمَّ خمس سنوات أسلمته إلى المؤدِّب فحفظ القرآن وتلاه ، ثم رغَّبته في مفاخر قومه ، ولقَّنته مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحُلُم حملته على أعناق الخيل ، فتمرَّس وتفرَّس ، وصار يمشي بين البيوت يُصغِ إلى كل صرخة مظلوم . إذا كان آباؤنا بخير فنحن بخير ، إذا كان الجيل الصاعد جيلاً تربَّى على قيمٍ صحيحة ، وعلى خُلُقٍ قويم ، وعلى انضباطٍ ، وعلى إنتاجٍ فنحن بخير ، لأن الأطفال مَعْقِدُ آمال الأمة .

صيانة الطفل تكون بتأديبه و تهذيبه و تعليمه محاسن الأخلاق :

أيها الأخوة الأكارم ؛ حقيقةٌ في التربية خطيرة ، هي أن الطفل الصغير يولد صفحةً بيضاء تماماً ، هذا عبَّر عنه النبي عليه الصلاة والسلام بحديثٍ شهير ، قال عليه الصلاة والسلام :

((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم فقال الله عزَّ وجل :

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾

[سورة الروم : 30]



أي أنَّ الله عزَّ وجل أعطاك ابنك صفحةً بيضاء ، أعطاك ابنك ذا فطرةٍ عالية، فطرةٍ رائعة ، عليك أن تَكْتُب على هذه الصفحة البيضاء الكلام الطيّب ، الخُلُقَ الحَسَن ، إذا اجتمع بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ؛ إيمانٌ راسخ ، وأخلاقٌ فاضلة ، وتربيةٌ صالحة كان الجيل بخَيْر ، لذلك حينما تهمل ابنك تتلوَّث فطرته ، تُطْمَسُ معالم فطرته النقية ، الأصل أن الطفل يولد على الفطرة السليمة ، ما عليك إلا أن تُغَذِّي هذه الفطرة بالتربية الصحيحة ، والتوجيه القويم ، والتلقين الصحيح .

أيها الأخوة ؛ الإمام الغزالي ، رحمه الله تعالى ، وهو في علم التربية من كبار المربين في العالم الإسلامي ، له كتبٌ كثيرة في التربية الإسلامية ، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : " الصبيُّ أمانةٌ في عُنق والديه ، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسة ، فإذا عوّدَ الخير وعَلِمَهُ ، نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وإن عوِّد الشر وأُهْمِلَ إهمال البهائم شَقِيَ وأشقَى ، وهَلَك وأَهْلَك ، وصيانة هذا الطفل بأن يؤدبه ، ويهذبه ، ويعلّمه محاسن الأخلاق " .

كيفية ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في أبنائنا :

1 . لفت نظرهم إلى الآيات الكونيّة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ كيف نرسّخ في أبنائنا الإيمان بالله عزَّ وجل ؟ القرآن علّمنا، القرآن فيه كل شيء ، قال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾

[سورة النحل : 10]

أي إذا نزل المطر ؛ ليكن لك مع ابنك وقفةٌ ، هذا المطر يا بني من فِعْل الله عزَّ وجل ، إنه رحمة ، سمَّاه الأجداد الغَيْث ، إنه يُنْبِت الكلأ ، ينبت العشب ، ينبت الزرع والزيتون . .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة النحل : 10-11]

هكذا علّم ابنك . .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

[سورة النحل : 11-17]

هذه الآيات كل كلمة تحتاج إلى موضوع طويل ، إذا عرف ابنك أن هذه الجبال مِن خَلْقِ الله ، وأن وظائفها كذا وكذا ، وأن هذه الأمطار ، وأن هذه البحار ؛ وما فيها من أسماك ، وما في الجو من أطيار ، إذا ملأت نفسه بهذه الآيات عرف أن وراء هذا الكون خالقاً عظيماً ، ومُربياً رحيماً ، ومسيّراً حكيماً .

أيها الأخوة المؤمنين ؛ لابدَّ من أن تلفت نظر ابنك إلى هذه الآيات الكونية التي بثَّها الله في السموات والأرض .

2 . تعليمهم الخشوع :

شيءٌ آخر : علِّمه الخشوع ، ربنا عزَّ وجل يقول :

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾

[سورة الزمر : 23]

هل يقشعر جلدك إذا قرأت القرآن الكريم ؟ . .

﴿الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

[سورة الأنفال : 2]

هذه علامة ثانية ، و . .

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾

[سورة مريم : 58]

علِّمه أن يعرف الله عزَّ وجل من خلال الكون ، وعلِّمه أن يخشع قلبه ، وأن يقشعر جلده ، وأن تَنْهَمِرَ عيناه بالدموع إذا تلا آيات الله عزَّ وجل .

3 . تعليمهم مراقبة الله عز وجل :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ روى الإمام البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((يا عبد الله اقرأ عليَّ القرآن . فقال عبد الله بن مسعود : كيف أقرأ القرآن عليك و عليك أنزل ؟! قال عليه الصلاة والسلام : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء ، حتى إذا وصلت إلى هذه الآية :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾

قال عليه الصلاة والسلام : حَسْبُكَ – أي اكتفِ– ، فالتفت إليه فإذا عيناه تزرفان بالدموع))

[متفق عليه عن عبد الله بن مسعود]



أيها الأخوة المؤمنون ؛ طريقةٌ أخرى في تعليم مراقبة الله عزَّ وجل ، لابدَّ من يؤمن ابنك بالله ، وأن يخشع قلبه لذِكْرِهِ ، وأن يشعر بمراقبته .

عالمٌ جليل ، عارفٌ بالله كبير ، اسمه سهل بن عبد الله التَسْتُرِيّ ، عَلَمٌ من أعلام الإسلام ، كان طفلاً صغيراً في الخامسة من عمره قال : كنت أنا في سن خمس سنين ، أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار ، فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك يا بني؟ – عمره خمس سنوات – فقلت : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تَقَلُّبك في فراشك ثلاث مرّات من غير أن تحرِّك لسانك : الله معي، الله ناظري ، الله شاهدي . فقلت ذلك ، فلما أعلمته قال: قل في كل ليلةٍ سبع مرات . فقلت ذلك فلما أعلمته قال : قل في كل ليلةٍ إحدى عشرة مرة، ثم قال : احفظ ما علَّمتك ، ودُم عليه ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

قال : فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت ذلك حلاوةً في سِرّي ، ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل ، من كان الله معه ، وناظرٌ إليه ومشاهده أيعصيه ؟ قلت : لا . قال : إياك أن تعصيه .

درسٌ بليغ ، طريقةٌ لطيفة في تعليم الصغار ، أي يجب أن تهتم في تعليم أبنائك، يجب أن يأخذ أولادك من ساحة نفسك ، من اهتمامك حَيّزاً كبيراً ، حتى يكون أولادك من بعدك ذُخراً لك ، وأن يكونوا صدقةً جاريةً تأتيك الخيرات من قِبَلِهم بعد انقطاع الحياة .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ فيلسوفٌ غربي له كلمة ، قال : " لا وجود للأخلاق من دون ثلاثة اعتقادات ؛ أن تعتقد بوجود الله ، وأن تعتقد بخلود الروح ، وأن تعتقد بالحساب بعد الموت . إن لم يعتقد الإنسان بوجود الله ، وبأن بعد هذه الحياة حساباً دقيقاً ، وبأن النَفْس خالدةٌ إلى الأبد ، إن لم يعتقد بهذه الاعتقادات الثلاثة ، فلا يمكن أن يكون أخلاقياً .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا ، وسيتخطَّى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولّنا فيمن تولّيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-3) : ترسيخ القيم الأخلاقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الفلاح و النجاح و الفوز و النجاة في تزكية النفس :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ نعود إلى الموضوع المُتَسَلْسِل إنه موضوع البيت المسلم ، ففي الخطبة السابقة في هذه الموضوعات كان الحديث عن قواعد الإسلام في ترسيخ الإيمان في نفوس الصغار ، واليوم ننتقل إلى قواعد الإسلام في ترسيخ القيم الأخلاقية ، وقد يكون الدرس الذي نستفيد منه مِن هذه القواعد موجهاً للصغار والكبار .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ألا يكفينا قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس: 9-10]

الفلاحُ ، والنجاحُ ، والفوز ، والتفوق ، والنجاة في تزكية النفس ، وهل تزكية النفس إلا أن تحليها أيها الأخ بمكارم الأخلاق ؟ ومن أين نأتي بمكارم الأخلاق ؟ ما منبع مكارم الأخلاق ؟ شيءٌ يلفت النظر ، قد تجد الإنسان بِخُلُقٍ ترضاه منه ، إذاً هو فجأةً ينقلب رأساً على عقب ، إذا هو فجأةً يقلب لك ظهرَ المِجَن ، هل هذه الأخلاق هي التي أرادها الله عز وجل حينما قال الله عز وجل :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾

[سورة الشمس: 9]

هل هي أخلاق أهل الدنيا التي تتخذ وسيلةً لكسب المال ؟ هل هي أخلاق أهل الغَرْب التي تُعَدُّ من رأسمالهم في كسب الأموال ؟ أم هي الأخلاق الأصيلة التي لا تتأثر لا بمصلحةٍ ، ولا بمكانٍ ، ولا بزمانٍ ، ولا برقابةٍ، ولا بغفلةٍ ؟

جوهر الدين مكارم الأخلاق :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ في خطبٍ كثيرة تحدَّثت عن أن هذا الدين في جوهره مكارم أخلاق ، لقول النبي عليه الصلاة والسلام :



((وإنما بعثت معلماً))

[ابن ماجه عن ابن عمرو]

((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))

[أحمد عن أبي هريرة]

وتعلمون أيها الأخوة أن العبادات الشعائرية ؛ من صيامٍ ، وصلاةٍ ، وحجٍ ، هذه عباداتٌ شأنها في الحياة كشأن ساعات الامتحان ، ما قيمة هذه الساعات الثلاث ، التي يجلس فيها الطالب على مِقْعد الامتحان ، وأمامه ورقٌ أبيض ، وبيده قلمٌ سيّال ، ما قيمة هذه الساعات الثلاث ، إن لم تسبقها دراسةٌ مضنية و تحصيل من مستوىً رفيع ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ في الإسلام عبادات شعائرية ، وفي الإسلام عبادات تعامُلية ، ما لم يُتقن المسلم عباداته التعاملية فلا جدوى من عباداته الشعائرية . .

((قم فصلِّ إنك لم تصلِّ))

[الترمذي عن رفاعة بن رافع]

((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً))

[الجامع لأحكام القرآن عن ابن مسعود وابن عباس]

((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمَلَ بِهِ، فَليسَ للهِ حاجة فِي أَن يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ))

[البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

((حجوا قبل ألا تحجوا))

[من الجامع الصغير عن أبي هريرة

فأحاديث كثيرة تبين أن هذه العبادات لا جدوى منها إلا إذا استندت إلى مكارم الأخلاق ، وما فتح أجدادنا الكرام أقطار الدنيا إلا بمكارم أخلاقهم ، وما جوْهر الدين إلا مكارم الأخلاق ، ماذا قال سيدنا جعفر للنجاشي؟ قال له :

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء))

[أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

أفضل ثروةٍ تقدِّمها لابنك أن تُخَلِّقَهُ بالأخلاق الحسنة :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ حقيقةٌ دقيقةٌ جداً هي أن الأخلاق الصحيحة الأصيلة التي تسمو بصاحبها لا تكون إلا مِن طريق الدين ، لأن الله سبحانه وتعالى عنده مكارم الأخلاق، فإذا أحبَّ الله عبداً مَنحه خُلُقاً حسناً كما ورد في بعض الأحاديث ، إن مكارم الأخلاق مخزونةٌ عند الله تعالى ، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً .

عض المفكرين الذين يعتدُّ بنظرياتهم الفلسفية يقول : الأخلاق من غير دينٍ عَبَث .

بعضهم الآخر يقول : إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيءٌ واحد لا يقبل أحدهما الانفصال عن الآخر .

مفكر آخر يقول : من دون دين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق .

مفكر رابع يقول : لا يمكن أن تكون هناك أخلاقٌ إلا عن طريق الإيمان بالله أولاً، والإيمان بخلود النفس ثانياً، والإيمان بالحساب بعد البعث ثالثاً .

توجيهات النبي في ترسيخ مكارم الأخلاق عند الصغار :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة والسلام في توجيهاته السامية ، في حديثٍ شريف صحيح رواه الإمام الترمذي :

((ما نحل – أي ما أعطى – والدٌ ولداً مِن نُحْلٍ أفضل من أدبٍ حسن))

[الترمذي عن سعيد بن العاص]



أي أفضل ثروةٍ تقدِّمها لابنك أن تُخَلِّقَهُ بالأخلاق الحسنة . وفي حديثٍ آخر رواه ابن ماجه عن ابن عباس ، أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم))

[ابن ماجه عن ابن عباس]

وفي حديثٍ مَرْوِيٍ عن سيدنا علي بن أبي طالب يقول عليه الصلاة والسلام :

((علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم))

وكلكم يعلم أنه يجب على الوالد أن يحسن أدب ابنه ، وأن يحسن اسمه .

وروى ابن حبانٍ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((الغلام يعقُّ عند يومه السابع - أي تذبح له العقيقة - ويسمى ، ويماط عنه الأذى ، فإذا بلغ ستَ سنين أُدِّب ، فإذا بلـغ تسع سنين عُزل عن فراشه - مع أخوته - فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب على الصلاة والصـوم ، فإذا بلغ مبلغ الرجال زوّجه أبوه ، ثم أخذه بيده وقال : يا بني قد أدبتك ، وعلمتك ، وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة))

[ابن حبان عن أنس بن مالك]

وقد جاء في الخبر :

((لاعب ولدك سبعاً ، وأدبه سبعاً ، وراقبه سبعاً ، ثم اترك حبله على غاربه))

[ورد في الأثر]

هذه بعض توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام في ترسيخ مكارم الأخلاق عند الصغار .

ظاهرة الكذب من أخطر الظواهر في المجتمعات :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ما الذي نجده في مجتمعاتنا اليوم ؟ نجد ظواهر صغيرة عند الصغار ، من هذه الظواهر ظاهرة الكذب ، فالصغار يكذبون كلما تنفّسوا . الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما رويا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلةٌ منهن كان فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها ؛ إذا اؤتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص]



فمن كان فيه خصلة الكذب كانت فيه خصلة النفاق، والآن في بعض العلوم الحديثة علمٌ جديد اسمه " عِلْم الطباع " ، وقد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذا العِلم إشارةً لطيفة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((يطبع المؤمن على الخلال كلها . . .))

[أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

قد تجد مؤمناً منفتحاً على المجتمع ، وقد تجد مؤمناً يحب الانطواء على نفسه ، وقد تجد مؤمناً كثير العناية بمظهره ، وقد تجد مؤمناً آخر أقل منه عنايةً ، إلى ما هنالك من طِباع ، ومن صفات ، ومن سِمات ، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

بمجرد أن يخون أو يكذب ، فقد انسلخ منه إيمانه ، أو انسلخ من إيمانه ، كان هو في واد ، وإيمانه في وادٍ آخر . .

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

ولو دققت ، وتأملت ، في أكثر ما يعاني منه المجتمع المسلم صغاراً وكباراً ، إنه الكذب ؛ كذبٌ في البيع والشراء ، كذبٌ في إلقاء الأفكار ، كذبٌ في مَدْح الآخرين ، ظاهرة الكذب ظاهرةٌ تُدَمِّر المجتمعات ، وما من فضيلةٍ ، وما من أساسٍ لبناء مجتمعٍ صحيح إلا أن يكون الصدق محور هذا المجتمع .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ يكفي أن يكذب الإنسان حتى ينسلخ من إيمانه ، ويكفي أن يكذب حتى يُعَدَّ من المنافقين . وقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة قال عليه الصلاة والسلام :

((ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم ؛ شيخٌ زانٍ ، ورجلٌ كذَّاب ، وعائلٌ مُستكبر))

[مسلم عن أبي هريرة]

تعرفون جميعاً الحديث القدسي :

((أحب ثلاثاً وحبي لثلاثٍ أشد ؛ أحب الطائعين ، وحبي للشاب الطائع أشد، أحب المتواضعين ، وحبي للغني المتواضع أشد ، أحب الكرماء ، وحبي للفقير الكريم أشد ، وأبغض ثلاثاً وبغضي لثلاثٍ أشد ؛ أبغض العصاة ، وبغضي للشيخ العاصي أشد ، أبغض المتكبرين ، وبغضي للفقير المتكبر أشد ، أبغض البخلاء ، وبغضي للغني البخيل أشد))

[ورد في الأثر]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الشيخان البخاري ومسلم رويا عن ابن مسعودٍ أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار))

[متفق عليه عن ابن مسعودٍ]

أي أن الكذب طريقٌ إلى النار ، لا تكذب ، إن لم تكذب تشعر بإحساس لا يعرفه إلا من فقده ، احترامك لذاتك ، تقدير الإنسان لذاته ، أحد أركان سعادته النفسية ، فإذا كذبت ؛ وفرضاً لم تُكشف هذه الكذبة ، احتقرت ذاتك ، وانهارت ثقتك بنفسك .

الكذب من أكبر أنواع الخيانة :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((إياكم الكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ، ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً))

[متفق عليه عن ابن مسعودٍ]

أما ما يقوله عامة الناس ، جهلة الناس : من أنك إن لم تكذب لا تربح ، إن لم تكذب لا تُفْلِح ، إن لم تكذب لن تستطيع أن تقف على قدميك . هذا كلامٌ باطل ، هذا كلام الشيطان ، النجاةُ في الصدق ، قد يتراءى لك أن الكذب يريحك من أعباء كثيرة ، قد تتوهَّم أنك إذا كذبت أنفقت هذه السلعة ، اليمين الفاجرة منفقةٌ للسلعة ممحقةٌ للبركة ، لا تكذب ؛ لا في تجارتك ، ولا في صناعتك ، ولا في وظيفتك ، ولا في مهنتك ، ولا في بَيعك ، ولا في شرائك ، ولا في أهلك ، ولا مع أولادك ، ولا مع أصدقائك ، كن صادقاً .

النبي عليه الصلاة والسلام يعد الكذب من أكبر أنواع الخيانة ، لم يقل : هو خيانة بل قال :

((كبرتٌ خيانةً أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق ، وأنت به كاذب))

[أحمد وابن عدي والبيهقي عن النواس بن سمعان]

خيانةٌ وأية خيانة أن تحدث أخاك المسلم بحديث في البيع والشراء ، في كل شيء، في أي موضوع ، أن تحدثه بحديث هو لك به مصدق وأنت له به كاذب .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ألف محاضرةٍ في الصِدق يُسقطها كذبةً واحدة ، ألف توجيهٍ لأولادك في الصدق يسقطها ويلغيها أن يضبطك ابنك وأنت تكذب ، فلذلك قبل أن تُعَلِّم الناس الصدق كن صادقاً ، التعليم بالقدوة من أجدى أنواع التعليم .



كان النبي عليه الصلاة والسلام في بيت أحد أصحابه ، قالت امرأةٌ لابنها : تعال أعطك ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمراً ، قال : أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتب عليكِ كذبة))

[من تخريج أحاديث الإحياء]

فهذه المرأة التي تريد أن تجلب ابنها الصغير ، في عمرٍ صغير ، إن قالت له : تعال أعطك من أجل أن تجلبه إليها . النبي عليه الصلاة والسلام عَدَّ هذا كذباً . بل إن علماء الحديث يعدّون إذا كذبت على حيوان فهذا يسقط العدالة . على حيوان ، كلكم يعلم قصة عالم الحديث الذي جاء من المدينة إلى البصرة ، ليتلقى حديثاً عن أحد الرجال ، فإذا بهذا الرجل يجمع ثوبه ليوهم فرسه أن في هذا الثوب شعيراً ، كي تُقبل عليه ، فلما اقترب منه لم يجد في ثوبه شيئاً ، فعاد أدراجه إلى المدينة ، ولم يكلمه كلمةً واحدة ، فهذا الذي يكذب على حيوان ، ليس أهلاً أن يَحمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الإمام الشهير ، الإمام عبد القادر الجيلاني ، من كبار العلماء ، ومن العارفين بالله ، حينما كان طفلاً صغيراً ، أرسلته أمه إلى البصرة ليَطْلُب العِلم ، مع قافلةً من قوافل المسافرين ، وأعطته أربعين ديناراً ، وأخذت منه عهداً مُغَلَّظَاً على ألا يكذب، وكان طفلاً صغيراً حديث السِن ، إذا بالطريق لصوصٌ يسلبون المسافرين ، فسأله أحد قطاع الطريق ، وقد احتجزوا القافلة : ما معك يا غلام ؟

قال : معي أربعون ديناراً ، فظن هذا اللص أن هذا الغلام يسخر منه ، تركه وشأنه ، سأله لصٌ آخر : ما معك يا غلام ؟

فقال : معي أربعون ديناراً . فأخذه إلى كبير اللصوص ، وقال : ما معك يا غلام ؟ قال : معي أربعون ديناراً. قال : أين هي ؟ أخرجها له . فقال : يا غلام ما حملك على أن تَصْدُق ؟ قال : والله عاهدت أمي على ألا أكذب ، فإني أكره أن أخون عهدها ، فأطرق كبير اللصوص ملياً ، وقال : يا غلام تخاف أن تخون عهد أمك ولا أخاف أنا أخون عهد الله ؟! وانهمرت الدموع من عيونه وقال : يا أيها الغلام أشهدك أني تبت على يديك ، ورد الأموال كلها إلى القافلة ، وجمع جماعته اللصوص ، وقال : إني أشهدكم أنني تبت على يد هذا الغلام ، فقال أحدهم : أنت كبيرنا في قَطْع الطريق ، وسوف تكون كبيرنا في سلوك الطريق إلى الله ، وتاب جماعته معه بفضل الصدق .

مراقبة الابن و متابعته و توجيهه يحتاج إلى جهد كبير :

مهما تراءى لك أن الكذب ينجي فالصدق أنجى ، مهما بدا لك في بيعك وشرائك أنك إذا كذبت تبيع هذه السلعة ، لا ، كن صادقاً ؛ في نوعها ، وجنسها ، وتاريخ صنعها ، ومواصفاتها ، ووزنها ، ونوع خيوطها ، وكل ما فيها ، كن صادقاً ولا تكذب ، يبدو لك من قواعد خاطئة مُستنبطة من تعامل الناس مع بعضهم بعضاً أن الكذب طريقٌ سهلٌ . لكن الإنسان إذا كشف كذبه يسقط من عين الناس ، بل هو يسقط من عين الله ، ولأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فتَتَحَطِم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله . لا تقبل كل كلامٍ يقوله لك ابنك ، دقق ، حقق ، طالبه بالدليل ، اذهب معه إلى المكان ، تحقق ، إلى أن يشعر الابن أن كل كِذبةٍ لابد مِن أن تُكشف ، أما إذا روى لك روايةً ، وقبلتها واسترحت ، وهي رواية كاذبة ، ورأى هذا الطفل الصغير أن الكذب قد مشى عليك ، وانطلى عليك ، يتَّخذ الكذب وسيلةً مُريحةً سريعةً لحل مشكلاته معك .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ التدقيق ، والتحقيق ، والمُتابعة ، والزجر ، والمُراقبة، والتوجيه يحتاج إلى جهد كبير، أما أن تكتفي بأن يقول لك : وجدت هذه في الطريق فأخذتها، أو : هذا القلم أعارني إياه صديقي ، وقد يكون هذا الصديق موهوماً .

عدم التساهل مع الطفل الذي يأخذ ما ليس له :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هكذا قال عليه الصلاة والسلام . شيءٌ آخر ، ظاهرةٌ أخرى من الظواهر التي تلفت النظر ، وهي ظاهرةٌ تتصل بالأولى : أن يأخذ الطفل ما ليس له ، لم أسمها سرقةً ، لأن هذا الطفل أصغر من أن يعي حدود السرقة ، ولكن أن يأخذ الطفل ما ليس له ، وأن يرى تساهلاً من أهله وذويه ، وأن يروي روايةً كاذبة ، وأن يُصَدَّق بهذه الرواية ، عندئذٍ تتفاقم الأمور ، قد يأخذ قلماً صغيراً ، وقد يأخذ مِمْحَاةً ، ثم يأخذ المبالغ الكبيرة .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ يروى أن طفلاً شبَّ على السرقة ، إلى أن ارتكب مع السرقة جريمةً استحق عليها القتل ، قبل تنفيذ حكم الإعدام قال : ائتوا لي بأمي ، أريد أن أشاهدها . فلما جيء له بأمه ، قال : يا أمي مدي لسانكِ كيّ أقبله ، فلما مدَّت لسانها قضمه بأسنانه وقطعه ، وقال : لو لم يكن هذا اللسان مُشَجِّعاً لي في الجرائم ما فقدت حياتي .

فخطرٌ كبير أن ترى حاجةً مع ابنك ليست له ، ثم تسكت ، ثم تنطلي عليه ، ثم تقبل رواية ليست صحيحة ، الأمر بعدئذٍ يتفاقم .

جوهر الدين أن ترى أن الله معك و يراقبك :



أيها الأخوة المؤمنون ؛ كلكم يعلم أن المرأة التي كانت تمزج الحليب باللبن في عهد عمر ، قالت لها ابنتها : يا أمي إن عمر نهانا عن ذلك . فقالت الأم الكبيرة في السن : وهل يرانا عمر الآن ؟ فماذا قالت البنت ؟ قالت : يا أمي إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا . إذا نَمَّيْتَ في ابنك حس مراقبة الله عز وجل ، هذا البدوي الذي قال له سيدنا عبد الله بن عمر : بعني هذه الشاة وخذ ثمنها . فقال : ليست لي . قال : قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب .

قال : والله لو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادقٌ أمين ، ولكن أين الله ؟ هذا هو الدين كله ؟ إذا قلت أين الله ؟ فقد وضعت يدك على جَوْهَر الدين ، هذا جوهر الدين ؛ أن تشعر أن الله معك ، يراقبك ، في كل أقوالك ، حينما كان الراعي يقول : أين الله ؟ رفرفت رايات المُسلمين في مشارق

الأرض ومغاربها ، وحينما تظن أن الله لا يراك ، وأن الذكاء والحنكة في كسب المال الحرام ، وأن تجميع المال من أي طريقٍ يُعَدُّ مفخرةً وذكاءً هذا هو طريق الهلاك وطريق الهاوية . .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

* * *

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ شيءٌ آخر أُرجئه إلى خطبةٍ أخرى إن شاء الله تعالى، هناك ظواهر كثيرة متفشية بين أبناء المسلمين ، ظاهرة الكذب ، وظاهرة أن يأخذ هذا الطفل ما ليس له ، ومن لهذا الطفل غير أبيه وأمه ؟ إذا فَقَدَ الطفل التوجيه الصحيح في البيت ، وقع في شَرِّ أعماله ، ونشأ على الانحراف . أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن مَلَكَ الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنَّى على الله الأماني .

العمل الصالح جوهر الحياة الدنيا :

وبعد ؛ فيا أيها الأخوة ؛ الحقيقة أن العمل الصالح هو جوهر الحياة الدنيا ، والدليل : حينما يأتي مَلَك الموت ماذا يقول هذا الإنسان ؟

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون : 99-100]

العمل الصالح جوهر الحياة الدنيا . .

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

[سورة الكهف : 110]

حجمك عند الله بحجم عملك الصالح . .

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الأنعام : 132]

الإيمان في القرآن الكريم كُلِّه مقترنٌ بالعمل الصالح . .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾

[سورة البينة : 7]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أين هو العمل الصالح ؟ تعقيباً على موضوع الخطبة الأولى : بيتك ، زوجتك ، أولادك ، بناتك ، حقلٌ كبيرٌ جداً خصْبٌ للعمل الصالح ، لأنك إذا رَبَّيْتَ ابنك كما يرضي الله عز وجل ، فقد قدَّمت للمجتمع عُنصراً صالحاً ، طرحت للمجتمع عنصراً صالحاً ، فكل خيرٍ يصدر منه ، كل معروفٍ ، كل استقامةٍ ، كل ورعٍ ، كل إحسانٍ ، كل خدمةٍ ، في صحيفة الأب ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام عَدَّ الولدَ الصالح صدقةً جارية:

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية ، أو علم يُنْتَفَعُ به ، أو ولد صالح يدعو له))

[مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]



فالأعمال إذا كانت مشروعةً في الأصل ، وإذا مارستها بطريقة مشروعة ؛ لم تكذب فيها ، لم تُدَلِّس ، لم تَغُش ، لم تبع بسعرين ، لم تقبل الربا في البيع والشراء ، الآن إذا ابتغيت منها أن تكفي نفسك وأهلك وأولادك ، إذا ابتغيت منها أن تكسب مالاً تنفع به المسلمين، إذا ابتغيت منها نفع المسلمين ، إذا لم تُلْهِكَ عن صلاةٍ أو ذِكرٍ أو مجلس علم ، حرفتك ، مهنتك ، دكانك ، تجارتك ، وظيفتك ، حقلٌ خصيبٌ آخر للعمل الصالح ، من أنت بلا عمل صالح ؟ عندما سقى سيدنا موسى للمرأتين قال :

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[سورة القصص : 24]

استنبط العلماء أن الغنى هو غنى العمل الصالح ، وأن الفقر هو فقر العمل الصالح ، قال سيدنا علي :

"الغنى والفقر بعد العرض على الله" .

قبل أن تنام ، بعد أن تستيقظ اسأل نفسك : ماذا فعلت في اليوم الماضي ؟ يومٌ يمضي بلا عملٍ صالح خسارةٌ كبيرة ، مهما استمتعت فيه ، لأن الآخرة لا تقبل في نقدها إلا العمل الصالح .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ تعقيبٌ على موضوع الخطبة الأولى : بيتك وحرفتك ، بيتك وعملك ، حقلٌ خصيبٌ خصيب للعمل الصالح ، يمكن أن تَرقى إلى الله بتربيتك لأولادك ، يكفي أن تلقى الله بهذا العمل ، يكفي أن تكون مع المسلمين صادقاً في بيعك وشرائك ، مُخلصاً لهم ، يكفي أن تُتْقِن صنعتك ، وأن تبع سلعتك بسعرٍ معقول ، وأن تَجْتَنِب كل ما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عنه ، حتى تكون حرفتك ؛ عملك الصالح الذي يصلح للعرض على الله عز وجل .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولَنا فيمن تولَيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : ظاهرة السباب والميوعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيِّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

مسؤولية الآباء عن تربية أولادهما الخلقية :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لازلنا في الموضوع المُتسلسل ؛ موضوع " البيت المسلم " انطلاقاً مِن أن الإنسان إذا سعد في أهله وأولاده سعد في كل نشاطات حياته ، وإذا شقي بأهله فقد شقي ولو حقق نجاحاً كبيراً في مجالاتٍ أخرى .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ مرَّةً ثانيةً ، وثالثةً ، ورابعة النبي عليه الصلاة والسلام يَعُدُّ تربية الأولاد مِن الكسب فقد قال عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث الشريفة :

((أفضل كسب الرجل ولده))

[الجامع الصغير عن أبي برزة]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ بدأنا في موضوع مسؤولية الآباء عن تربية أولادهما الإيمانية ، عن دور الأب في غَرس قواعد الإيمان في أبنائه ، وانتقلنا إلى موضوعٍ آخر هو : مسؤولية الآباء عن تربية أولادهما الخلقية ، وقد تحدثنا في الخطبة السابقة عن ظاهرتين متَفَشِّيَتين خطيرتين ، هذه الظاهرة متفشيةٌ في أولاد المسلمين ، إنها الكذب ، وإنها– بالتسمية اللطيفة – أن يأخذ الطفل ما ليس له . وقد بيَّنت من خلال الكتاب والسُنَّة في الخطبة الماضية عن وسائل القرآن والسنة النبوية في علاج هاتين الظاهرتين .

أسباب تفشي ظاهرة السباب و الشتائم بين أولاد المسلمين :

1 . سوء تربية البيت :

والآن أيها الأخوة ننتقل إلى ظاهرةٍ ثالثةٍ متفشيةٍ في أولاد المسلمين ألا وهي : السباب والشتائم ، من أين تأتي هذه اللُّغة الرديئة ؟ من أين يأتي إلى لسان ابنك هذه الألفاظ الفاحشة ؟ من أين تأتي هذه العبارات البَذيئة ؟ من أين تأتي هذه التعليقات اللاذعة ؟ من أين تأتي هذه الطريقة التَهَكُّمِيَّة في الحديث ؟ كما أن هناك استقامة في القلب ، واستقامة في السلوك هناك استقامةٌ في اللسان ، والحديث الذي تعرفونه جميعاً :

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]



فيجب أن يوجه الأب جانباً كبيراً جداً من توجيهاته، وتعليقاته ، ونُصحه ، ومتابعته ، ومراقبته لعبارة أولاده . هذه العبارة أيها الأخوة تنحدر إلى الأطفال من طريقين اثنين : من البيت ، فإذا كان الأب ليس منضبطاً في تعليقاته ، في عباراته ، يكيلُ السُباب والشتائم للآخرين على مسمعٍ من أولاده ، تأخذ كلمةُ اللعن على لسانه مأخذاً كبيراً ، يُهاجم الناس في غَيبتهم بأقسى العبارات ، بأقذع الكلمات ، بأبذأ التراكيب ، هذا الطفل يرى أن أباه هو المثل الأعلى ، وأنه هو الذي لا يخطئ ، فمن الطبيعي والبديهي أن يتعلَّم الطفل من بيته تلك العبارات .

لو أن الأب أراد أن يمزح مُزاحاً لا يليق مع أصدقائه على مسمعٍ من أولاده– ولو أن أولاده يتنَصَّتون– إن هذا المزاح ، وتلك العبارات ، وهذه التعليقات ، وتلك الشتائم ، وهذا السُباب للآخرين في غيبتهم ، هذا يرضعه الطفل مع لبن أمه ، فلذلك تُعزا هذه الظاهرة الخطيرة في أولاد المسلمين إلى سوء تربية الآباء ، يكفي أن يكون الأب منضبطاً ، أن يعوّد أبناءه ؛ تحدث ، وناقش ، واسأل ، وأجب ، واعترض ، وانتقد ولكن ضِمن الأدب ، ضمن عبارات الاستفهام ، ضمن عبارات التأكيد ، ضمن عبارات الاعتراض ، أما أن يتهم الآخرين بأنهم لا يفهمون ، وبأنهم جَهَلَة ، ويشبّههم ببعض الحيوانات ، إذا جرى الأب على لسانه مثل هذه العبارات فإنه من باب أوْلى أن يتعلَّمها الصِغار .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ما رأيت ، ولا سمعت عن طريقة في التربية أجدى مِن أن تكون أنت القدوة ، هل تُصَدِّقون أن أكبر دولةٍ اليوم في العالم الإسلامي من حيث عدد السكان ، هي إندونيسيا ، تَعُدُّ مئة وخمسين مليوناً ، هذا المجتمع الكبير دخل إليه الإسلام لا عن طريق الحُجَّة والإقناع ، ولا عن طريق السيف والسِنان، ولكن عن طريق القدوة الصالحة ، لما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء))

[ابن ماجة عن ابن عمر]



كان عليه الصلاة والسلام يعني ما يقول ، يعني أن الإنسان إذا عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدَّثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، ووجبت أخوَّته، وحرمت غيبته ، وظهرت عدالته .

فيا أيها الأخ الكريم ؛ إن كنت أباً علِّم من حولك بالقدوة الصالحة ، كن صادقاً ولا تُلق محاضراتٍ في الصدق ، كن عفيفاً ، ولا تلق محاضراتٍ في العفَّة ، كن مستقيماً ولا تلق محاضراتٍ في الاستقامة ، لغة العمل أبلغ من لغة القول ، واعلم أن الناس – ولا سيما أولادك – لا يتعلَّمون بآذانهم بل يتعلمون بعيونهم ، فإذا أردت أن تجعل مِن حديث ابنك حديثاً منضبطاً مهذباً ، إذا أردت أن يستقيم لسان ابنك فاعمل على أن يستقيم لسانك أنت . .

عدو الإنسان الغضب ، حينما يغضب ترتفع الرقابة عن لسانه ، فيتكلَّم كلاماً غير صحيح ، قد يَنْهَش في أعراض الآخرين ، قد يتجاوز في سُبابهم ، قد يعتدي على سُمعتهم ، وعلى كرامتهم وهو لا يدري ، وأولاده أمامه ، وعلى مسمعٍ منه .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ تعزا هذه الظاهرة المتفشيَّة ، الخطيرة ، المؤلمة ، إلى سوء تربية البيت . لذلك حرصت على أن تكون مجموعة الخطب في هذه الأيام " البيت المسلم " إذا انضبط البيت انضبط المجتمع ، تفلَّت أفراد الأسرة تفلَّت المجتمع ، البيت هو اللبنة الأولى ، هو الخلية في الجسم .

2 . الخلطة الفاسدة :

شيءٌ آخر : تعزا هذه الظاهرة إلى شيءٍ آخر وهو : الخُلطة الفاسدة ، رفقاء السوء ، ما من جهةٍ تؤثّر على ابنك أشدّ التأثير كهذه الجهة ، بل إن علماء الاجتماع يرون أن هذا التأثير – تأثير رفقاء السوء – يزيد عن ستين بالمئة من مجموع التأثيرات التي يتلقّاها الابن عن الآخرين ، إن ستين بالمئة من تأثُّر ابنك إنما يكون من رفقاء السوء ، فإذا كان البيت منضبطاً ولسان الابن غير منضبط ، فهذا يُعزا إلى رفقاء السوء الذين تعلم منهم هذه الكلمات .

أركان علم التربية الإسلامي :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ استمعوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، مبعوث العناية الإلهية ، الذي أرسله الله رحمةً للعالمين ، الذي جعله الله هادياً وبشيراً ونذيراً ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر))

[البخاري ومسلم عن عبد الله]

لمجرد أن تسبَّ مسلماً فقد وقعت في الفسق وأنت لا تدري ، في نصّ هذا الحديث الصحيح ، الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ورواه الإمامان الشيخان ؛ البخاري ومسلم :

((سباب المسلم فسوق . . .))

هذا الذي يسُبُّه ابنك أليس مسلماً ؟ ألا يصلي ويصوم ؟ إذا اختلف معه في التعامل ، أو اختلف معه في وجهات النظر أيستحق أن تسبه ؟

وفي حديثٍ آخر يقول عليه الصلاة والسلام – وهذا الحديث مِن أحاديث تربية رسول الله صلى الله عليه وسلَّم – يمكن أن نقول – هناك عِلْم التربية الإسلامي – : هذا الحديث رُكْنٌ من أركان علم التربية الإسلامي ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، فقيل له : يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : يسب الرجل أبا الرجلِ فيسبُّ أباه ، ويسبّ أمه فيسب أمه))

[البخاري عن عبد الله بن عمرو]

أيْ يكفي أن يتطاول الابن على رفقائه ، أو يسب آباءهم فيكون الردُّ على ذلك أن يسب الرجل أبا هذا الذي سب ، إذاً . .

((إن من أكبر الكبائر . . .))

فكما أن الطفل يجب أن يحافظ على سمعته ، ينبغي أيضاً أن يحافظ على سُمعة أبيه من خلال تعامله مع الآخرين . النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى :

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[رَوَاهُ البُخَارِيُّ وأحمد عن أبي هريرة]

كلمة ؛ كلمةُ سوء ، غيبة ، نميمة ، فُحش ، بذاءة ، تُهمة باطلة . .

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[رَوَاهُ البُخَارِيُّ وأحمد عن أبي هريرة]

وروى أصحاب السُنَن والإمام أحمد في مسنده :

((وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟!))

[الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم عن معاذ بن جبل]



ما المشكلة أيها الأخوة ؟ المسلم الآن يصوم ويصلي ، وقد أدَّى الحَج كما أمره الله ، وزكَّى عن ماله ، ولكن هذا الإنسان في السهرات ، وفي الندوات ، وفي النُزهات ، يطلق لسانه بالغيبة والنميمة ، ونهش أعراض الناس ، والحديث عن قضاياهم ، ويخوض فيما لا يعنيه فإذا هو مقطوعٌ عن الله عزَّ وجل ، إذاً هذه التي ظنَّها صغائر هي كبائر ، لمَ هي كبائر ؟ لأنها فعلت فعل الكبائر ، الكبيرة قاطعة ، والصغيرة قاطعة ، إذاً لو أن عندك في البيت أجهزة كهربائية عديدة ، وقد قطعت التيار الكهربائي ، إذا كان القطع واسعاً أو ضيقاً ، كلاهما واحد ، انقطع التيار فتعطَّلت كل هذه الأجهزة ، لذلك :

((وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟!))

[الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم]

الحديث الذي يعدُّ فيصلاً في هذا الموضوع ، والذي رواه الإمام الترمذي ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ))

[الترمذي عن عبد الله]

فإذا اتصف الرجل بإحدى هذه الصفات ، فليعلم عِلم اليقين أنه ليس مؤمناً بتقييم النبي عليه الصلاة والسلام ، الإيمان سلوك ، الإيمان انضباط ، الإيمان ضبط الذات . .

((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ))

[الترمذي عن عبد الله]

الإيمان سلوك و انضباط و ضبط للذات :

سيدنا عمر رضي الله عنه ، كان يمشي في أسواق المدينة ، رأى أطفالاً صغاراً، وكان عظيم الهيبة ، فلما رأوه تفرَّقوا هاربين إلا واحداً بقي واقفاً ، لفت نظره ، قال: " يا غلام لِمَ لمْ تهرب مع من هرب ؟! " فقال هذا الغلام الصغير الذي لا تزيد سنه عن إحدى عشرة سنة ، خاطب أمير المؤمنين الذي كانت تَخِرُّ له وترتجف منه ملوك الشرق والغرب ، قال : " أيها الأمير ، لست ظالماً فأخشى ظلمك ، ولست مذنباً فأخشى عقابك ، والطريق يسعني ويسعك " ، الطريق واسع ، انظروا كيف تربَّى أبناء الصحابة الكرام على هذا المنطق السليم، وعلى هذه الفصاحة ، وعلى تلك الجُرأة ، وعلى هذا الأدب .

سيدنا عمر بن عبد العزيز ، دخل عليه وفد الحِجازيين ، يتقدَّمهم طفلٌ صغير لا تزيد سنه عن عشر سنين ، لمَّا رآه وقف ليتكلَّم انزعج الخليفة ، وقال : " أيها الغلام ، اجلس وليقم من هو أكبر منك سناً " ، فقال هذا الغلام الصغير : " أصلح الله الأمير ، المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام ، ولو أن الأمر كما تقول أيها الأمير ، لكان في الأمة من هو أحق منك بهذا المجلس " أعجب به .

يروى أن عبد المَلِك بن مروان دخل عليه وفدٌ يتقدَّمهم طفلٌ صغير ، فالتفت إلى حاجبه وأنَّبه وقال : " ما شاء أحدٌ أن يدخل علينا إلا دخل حتى الصبيان ؟! " هذا الطفل اسمه (دِرْواس) فقال : " أيها الأمير إن دخولي عليك لم ينقص مِن قَدْرِك ولكنه شرَّفني ، أصابتنا سنةٌ أذابت الشحم ، وسنةٌ أكلت اللحم ، وسنةٌ دقَّت العظم – سنةٌ أذابت الشحم ، وسنةٌ قاحلةٌ ثانية أكلت اللحم ، وسنةٌ قاحلةٌ ثالثة دقَّت العظم – وعندكم فضول مالٍ ، فإن كانت هذه الأموال لله ، فعلامَ تحبسونها عن عباده ونحن عباده ؟ وإن كانت لكم فتصدَّقوا بها علينا فإن الله يجزي المتصدِّقين ، وإن كانت لنا فعلامَ تمنعوها منا ؟ " ، فقال عبد الملك : " والله ما ترك هذا الغلام لنا في واحدةٍ عذراً " .

هؤلاء أطفال صغار هكذا كانت لُغَتهم ، وتلك كانت فصاحتهم ، وهكذا كان أدبهم ، وهذه هي جُرْأَتهم . فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ يجب أن يوفِّر الأب جانباً كبيراً من اهتمامه لتربية ابنه تربيةً متعلِّقةً باللسان .

علامات الميوعة و الانحلال بين المسلمين :

1 . تَشَبُّه العرب المسلمين بالأعاجم :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ظاهرةٌ ثانيةٌ خطيرةٌ من الظواهر المتفشية في مجتمع المسلمين ، ولاسيما في أولادهم – الميوعة والانحلال – يقول عليه الصلاة والسلام :

((ليس منا من تشبَّه بغيرنا))

[رواه الإمام الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

وفي حديثٍ آخر رواه أبو داود :

((من تشبَّه بقومٍ فهو منهم))

[أبو داود عن ابن عمر]

فظاهرة الميوعة والانحلال في أصلها تَشَبُّه العرب المسلمين بالأعاجم ، بالأجانب.

يتفشى بين أولاد المسلمين التشبه بالأعاجم

وفي حديثٍ ثالث يقول عليه الصلاة والسلام :

((لا يكن أحدكم إمعة – مقلِّداً – يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس ، وإن أساؤوا أسأت ، ولكن وطِّنوا أنفسكم على أن تحسنوا إن أحسن الناس ، وعلى أن تحسنوا إن أساء الناس))

[من زيادة الجامع الصغير عن حذيفة]

ماذا نأخذ وماذا ندع من حضارة الغربيين ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ سؤالٌ يطرح نفسه علينا الآن : ماذا نأخذ وماذا ندع من حضارة الغربيين ؟ أجاب أحد المفكرين قال : " نأخذ ما في رؤوسهم وندعُ ما في نفوسهم " ، في حضارة الغربيين علمٌ مادي ، وفي حضارتهم عاداتٌ ، وتقاليد ، ونماذج اجتماعية ، وأنماط من السلوك كلها مخالفةٌ للشرع ، فأن نأخذ كل شيء خطأٌ كبير ، خطأٌ كبيرٌ جداً ، ولكن أن نأخذ ما في رؤوسهم وأن ندع ما في نفوسهم ، إحساسنا ملكنا ، وإحساسهم ملكهم ، هذا التقليد الأعمى في الأزياء ، في أنماط السلوك ، في العَلاقات الاجتماعية ، في الاختلاط ، في التَهَتُّك ، في التَعَرِّي ، في هذه الأساليب التي تُظَن حديثةً جداً ، هذا تقليدٌ أعمى ، أيّة حركةٍ وسكنة ، أي نمطٍ من أنماط السلوك يجب أن تقيسه بالشرع ، فإذا وافق الشرع نأخذ به ، وإن خالفه يجب أن نلفظه ، يجب أن نركله .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم))

[من الجامع الصغير عن أنس]

ويقول :

((الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها جذبها))

[كنز العمال عن أبي هريرة]

ويقول تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال : 60]

في الآية إعجاز (من قوة) مطلق القوة ، فإذا كانت قوة العصر في العِلم فيجب أن نعد لهم العلم ، قوة العصر يجب أن نستخدمها في الحفاظ على إيماننا ، وعلى وجودنا ، وعلى حظوظنا ، وأن نَرُدَّ كيد الأعداء بقوّة العصر ، إذاً يجب أن نأخذ ما عند الإنسان الآخر من قوةٍ في علمه ، أو في جسمه ، أو في سلاحه ، ولكن أن نَمْتَنِعَ امتناعاً حازماً عن أن نأخذ العادات، والتقاليد ، والتميُّع ، والانحلال الخلقي ، وتفكك الأسرة ، والتطاول على الآباء ، والعادات السيئة التي تتناقض مع مبادئ الدين الحنيف .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لذلك حرَّم العُلماء التَّقْليد الأعمى ، قال عليه الصلاة والسلام يتحدَّث عن آخر الزمان:

((حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه))

[أخرجه الحاكم عن أبي هريرة]

2 . الاستغراق في النَعيم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ شيءٌ آخر من لوازم الميوعة والانحلال ؛ الاستغراق في النَعيم ، حينما يجعل الإنسان النعيم هدفاً كبيراً من أهدافه ، هو لا يعرف الله أبداً ، لا يعرف لماذا هو في الدنيا ؟ لا يعرف الآخرة ، لا يعرف أن هذه الدنيا دار عمل ، دار ابتلاء ، دار كَسْب .


السلوك الغربي في التمتع بالدنيا ينبع من أنه لا يوجد آخرة

إذا ظن أن الحياة للنعيم– هكذا عقلية الغربي – أنماط السلوك الغَرْبيّ نابعةٌ من تصوّراتهم ، مِن بُعْدِهم عن ربهم ، من رؤيتهم أن الدنيا هي كل شيء ، ولا شيء بعد الموت ، ينطلق العالم الغربي من أن الدنيا هي كل شيء ولا شيء بعد الموت ، فحينما يتجهون إلى التنعُّم ، وإلى المبالغة في التنعُّم، فهذا شيءٌ طبيعيٌ بالنسبة إلى اعتقادهم ، وتصورهم ، أما إذا رأيت أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وهي مَطيةٌ ، وأن الدنيا كما وصفها النبي عليه الصلاة والسلام :

((دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترحٍ لا منزل فرحٍ ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي))

[كنز العمال عن ابن عمر]

إذا انطلقنا من فهم الدنيا أنها مرحلةٌ عابرةٌ في حياة الإنسان الأبدية ، وأنها مرحلةٌ يترتَّب عليها سعادةٌ أبدية أو شقاءٌ أبدي ، صحا الإنسان لمعرفة مهمته في الدنيا ، إذا عرف مهمَّته في الدنيا لا يمكن أن يتَّجه إلى النعيم ، وإلى التَرَف ، وإلى الاستغراق في النعيم ، من هنا جاء توجيه النبي عليه الصلاة والسلام :

((إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ))

[أحمد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

((إيّاكم والتنعم وزي أهل الشرك))

[صحيح عن عمر بن الخطاب]

وكان يكتب عمر إلى عماله : " إياكم و التنعم وزي أهل العجم " .

كما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال :

((إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ))

[أحمد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

مثل صغير مضحك : لو أن طالباً في إحدى المدارس أراد أن يجلس على مقعدٍ مريحٍ جداً يصبح سريراً ، وأن يضع أمامه ما لذَّ وطاب من الفواكه ، والشطائر ، والمَشروبات الطيّبة ، والمُسَلِّيات ، وبعض المجلات ، أهذا طالب ؟ أهذا مكان في صَف ؟ أيمكن أن ينتبه للمُحاضر ؟ أيمكن أن يتعلَّم شيئاً ؟ هذه المبالغة في التنعُّم ليس مكانها في قاعة التدريس ، هذه مكانها في البيت ، فإذا أراد الإنسان التنعم في الدنيا هذا يعني أنه لا يعرف مهمته في الحياة ، لذلك :

((إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ ...))

[أحمد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

الله سبحانه وتعالى قد يضمن لك صحةً طيبة ، قد يُنْعِم عليك بزوجةٍ صالحة ، قد يكرمك بأولادٍ أبرار ، قد يهيئ لك منزلاً مريحاً ، هذا ليس مقصوداً من طرفك ، هذا إكرامٌ إلهي ، أما أن تسعى إليه ، وأن تدع كل شيء ، فليس هذا من الدين في شيء .

3 . الاستماع إلى القيْنَات :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ من علامات الميوعة والانحلال الاستماع إلى القيْنَات قال عليه الصلاة والسلام :

((إن الله بعثني رحمةً وهدىً للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير والمعازف والخمور والأوثان التي تُعبد في الجاهلية))

[مجمع الزوائد عن أبي أمامة]

وفي حديثٍ آخر :

((ليكونن من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِرَّى والحرير والخمر والمعازف))

[أحاديث الإحياء عن أبي مالك الأشعري]

الحِرَّى أي الزنا ، والحرير ، والخمر ، والمعازف . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام :

((من قعد إلى قينةٍ يستمع منها صبَّ الله في أذنيه الآنك يوم القيامة))

[ابن عساكر عن أنس]

((من استمع إلى صوت غناءٍ لم يؤذن له أن يستمع إلى صوت الروحانيين في الجنة))

[الجامع لأحكام القرآن عن أبي موسى الأشعري]

أيها الأخوة الأكارم ؛ ملاحظةٌ عابرة أرجو أن تدققوا النظر فيها؛ هذا الذي يخشى الله عزَّ وجل ويكفُّ عن سماع الغناء ، والله الذي لا إله إلا هو يقدِّر الله له طرباً بالقرآن الكريم، لو اجتمع ذوَّاقو الغناء في العالم لا يعدل طربهم بغنائهم طرب المؤمن بكتاب الله ، إذا كان في الإنسان ميلٌ فطريٌّ للطرب ، فالمؤمن يتغنَّى بكتاب الله ، ويَطْرَب به ، وتكاد نفسه تذوب حين سماعه ، هذا إذا كان مؤمناً حقاً ، يقشعر منه جلده ، تنهمر عينيه ، يجل قلبه ، فحينما يتجه الإنسان إلى الله عزَّ وجل لا يُحرم شيئاً ، يحرم الشيء الناقص ، الشيء الساقط ، الشيء الدنيء ، الشيء القَذِر ، ولكن هذا المَيْلَ الفطري للطَرَب يروى عن طريق القرآن ، عن طريق مَدْح النبي العدنان ، عن طريق سماع الحق .

4 . التخنُّث والتشبه بالنساء :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ شيءٌ رابعٌ في الظواهر المرضية المتفشية بين أبناء المسلمين التخنُّث والتشبه بالنساء ، قال عليه الصلاة والسلام :

((لعن الله المخنَّثين من الرجال ، والمُترجلات من النساء))

[الجامع الصغير عن ابن عباس]

هذا الحديث رواه الإمام البخاري . ومعنى (لعن الله) أي أبعده عنه ، هذا بعيد، مقطوع . وقد روى الإمام أحمد أيضاً في مسنده :

((لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء))

[أحمد عن ابن عباس]

والإمام عليّ رضي الله عنه روى عن رسول الله حديثاً ، فقد قال عليه الصلاة والسلام بعد أن أخذ حريراً جعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله :

((إن هذين حرامٌ على ذكور أمتي))

[صحيح عن علي]

هذه توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام لنا ولأولادنا ، كباراً وصغاراً ، يجب أن نستوعبها نحن أولاً حتى نعطيها لأبنائنا توجيهاً ، وقدوةً ، وسلوكاً .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في خطبةٍ قادمةٍ إن شاء الله تعالى ننتقل إلى مسؤولية الآباء في مجالاتٍ أخرى عن تربية أبنائهم .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

الحبة السوداء :

وبعد ، فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ الحبة السوداء ، حبة البركة ، الشَوْنيز ، كما سمَّاها النبي عليه الصلاة والسلام ، هذه الحبة ، الحبة السوداء ، أو حبة البركة ، كما نسمّيها نحن في بلدنا ، أو كما سماها النبي عليه الصلاة والسلام الشونيز ، من خلال بعض الأحاديث الشريفة ، هذه الحبة تمتلك خواصَّ علاجية .

أولاً : يجب أن تعتقد أن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى .

كما قال سيدنا سعد : "ثلاثة أنا فيهن رجل ، وفيما سوى ذلك فأنا واحدٌ من الناس ، ما سمعت حديثاً من رسول الله عليه صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حقٌ من الله تعالى" من عند الصانع ، من عند الخالق ، هذه توجيهات الصانع ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

عليكم ، اسم فعل أمر بمعنى افعلوا ، أي كلوها :

((عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ – وهي الشونيز – فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً))

[الترمذي عن أبي هريرة]

هذا كلام النبي ، ولا نملك شيئاً آخر ، أحاديث كثيرة حول الحبة السوداء ، ولكن ماذا درس العلماء اليوم من أجل أن يتبين أن النبي لا ينطق عن الهوى ؟

في بعض المؤتمرات الصيدلانية العالمية ، وهو المؤتمر الثالث والعشرون ، قُدِّم بحث لهذا المؤتمر مفاده : أن الشونيز ، أو الحبة السوداء ، تُسهم في خفض الضغط الدموي . ولا تنسوا أن ارتفاع الضغط مرضٌ خطير ، وأنه حتى الآن لا يعرف الأطباء على وجه التحديد أسباب هذا المرض ، ولكن هذا المؤتمر الثالث والعشرين ، الصيدلاني العالمي ، قُدّم فيه بحثٌ دقيقٌ جداً ، ملخصه ، مفاده ، محوره : أن الحبة السوداء تسهم في خفض الضغط الدموي . في مصر قُدِّمَ بحث للجامعة عن الحبة السوداء ، بعد التجارب الدقيقة ، عن طريق زرع الجراثيم في بيئاتٍ فيها من هذه الحبة السوداء ، من محلولها ، أو مسحوقها ، أو ما شاكل ذلك، إن هذه الحبة السوداء توقف نمو الجراثيم ، في الوسط الذي توجد فيه .

قدِّم بحث ثالث عن الحبة السوداء مفاده : أنها دواءٌ فعالٌ للربو ، والربو حتى الآن مرضٌ منتشر ، ولم يعرف الأطباء على وجه التحديد مبعثه ، وعلاجه .

أما السلف الصالح ، الذين كتبوا في الطب ، كابن سيناء في كتابه القانون ، وهو من أشهر كُتب الطب ، فيرى هذا المؤلف الطبيب أن الحبة السوداء مضادةٌ للزكام ، مدرةٌ للبول، مفتتةٌ للحصى في المثانة والكلى ، وهي مدرة لحليب الأم ، مسكنةٌ للصداع ، تزيل الثآليل ، هذا ما ورد في كتاب ابن سيناء " القانون " .



والأبحاث الحديثة أثبتت أن هذه الحبة تمنع نمو الجراثيم ، وتخفض الضغط الدموي ، و هي دواء فعال للربو ، هذا ما عرفه العلماء حتى الآن . وقد يأتي زمانٌ آخر يكتشف فيه الناس شيئاً آخر عن هذه الحبة السوداء ، لذلك يجب أن نأخذ توجيهات النبي .

فصديق لي قرأ مقالةً مترجمة ، عن أن الإنسان لا ينبغي أن يأكل وينام ، لأن هذا الطعام إذا جاء قبل النوم ، له أثرٌ في ترسُّب المواد الدهنية في الشرايين ، أيْ الكوليسترول و ضيق الشرايين من أسبابهما : الأكل ، والنوم . مقالةٌ دقيقةٌ جداً ، وعميقة ، ومعها أدلة ، وتجارب ، ومقالة عميقة ، حدثني بها صديقي ، فإذا بالحديث الشريف يقول :

((أذيبوا طعامكم بذكر الله ، ولا تناموا عليه))

[الدر المنثور عن عائشة]

((لا تناموا عليه))

يجب على المسلم أن يرى أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما يعطينا توجيهاً دقيقاً يجب أن تأخذه بكلِّ قلبك، وعقلك ، واهتمامك ، لأنه من تعليمات الصانع .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولّنا فيمن تولّيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن

طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : التربية النفسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيِّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيءٍ قدير .

تربية الأولاد النّفسيّة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في الموضوع المُتَسلسل موضوع البيت المسلم.

من الثابت أن الإنسان أيها الأخوة هو المخلوق الأول ، والمخلوق المكرم ، بدليل أن الله سبحانه وتعالى سخر له ما في السموات والأرض ، وبدليل أن الله سبحانه وتعالى قال :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ﴾

[سورة الإسراء : 70]

ومِن كَرامة الإنسان على الله عز وجل أنه جعله مُرَبِّياً ، والله سبحانه وتعالى هو رب العالمين ، ومِن كرامته على الله أنه جعله مُريداً ، وجعله فَرْدَاً ، هذا من تكريم الله عز وجل، لذلك أناط بالآباء مهمة تربية الأبناء ، ليكون البيت حقلاً خصباً للعمل الصالح .

قد يقول قائل : أين الأعمال الصالحة ؟ بيتك وحده يمكن أن تصل به إلى الجنة، يمكن أن تلقى الله بتربيتك لأولادك ، واليوم الحديث عن تربية الأولاد النفسية .

تحدثنا عن تربيتهم الإيمانية في خطبٍ سابقة ، وفي الخطبة التي قبل هذه الخطبة ، والتي قبلها ، تحدثنا عن تربية الآباء لأولادهم التربية الخُلقية ، وها نحن أولاءِ اليوم بفضل الله تعالى وبتوفيقه نتحدث عن تربية الأولاد النفسية .



يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذا الأب الذي لا يسمح لابنه أن يتكلَّم أمامه ، ولا في مجلسٍ من الكبار ، يمنعه مِن حضور مجالسه ، يمنعه مِن حضور لقاءاته ، لا يصطحبه معه، دائماً لِصِغَرِ شأن ابنه عنده يغزله عن المجتمع ، عند هذا الطفل تنشأ ظاهرة مرضيةٌ خطيرة اسمها " ظاهرة الخجل " ، الخجل نقصٌ في بُنية الطفل النفسية ، بينما الحياءُ فضيلة ، أن يستحي الإنسان أن يعصي الله ، أن يمتنع عن اقتراف المنكر هذا حياء ، أن يمتنع عن معصية الله هذا حياء ، أن يمتنع عن أن يشتم الآخرين هذا حياء ، يمتنع عن أن يفعل عملاً لا يقرّه المجتمع هذا حياء ، والذي تعرفونه جميعاً أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : يا رسول الله كلنا يستحيي من الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : استحيوا من الله حق الحياء ، قيل : وما حق الحياء ؟ قال: أن تحفظ الرأس وما وعى – ضبط اللسان ، ضبط العينين ، ضبط الأذنين ، ضبط الفِكر ، أن تحفظ الرأس وما وعى ، و البطن وما حوى – ألا تطعمه مالاً حراماً ، ألا تقضي الشهوة إلا في القناة التي سمح الله لك بها – وأن تذكر الموت والبلى ، وأن تدع زينة الدنيا))

[أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن مسعود]

الحياء فضيلة والخَجَلُ نقصٌ في الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الحياء فضيلة ، والخَجَلُ نقصٌ في الإنسان ، إن إبعاد الطفل عن مجالِس الأب ، وعن مجالس العِلم ، وعن لقاءات الأب ، إن إبعاد الطفل عن كل نشاطٍ اجتماعي ، إسكاته كلما تكلَّم ، إشعاره بأنه لا قيمة له ، هذا يُظهر عنده مرضاً إن صح التعبير اسمه الخجل .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمر، وكان عبد الله بن عمر دون الحُلم – صغيراً– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها وإنها مثل المُسْلِم ، فحدثوني ما هي؟))

[البخاري عن عبد الله بن عمر]

أول استنباط أن النبي عليه الصلاة والسلام من أساليبه التربوية أنه كان يجري حواراً مع إخوانه ، حواراً مع أصحابه ، الحوار يُنَمّي الشخصية ، الحوار يُفَتّق الفِكر ، الحوار يعرف المُعَلِّم بمَن يُعَلِّم .

((. . . حدثوني ما هي ؟ قال : فوقع الناس في شجر البوادي . . .))

ظنوا أن النبي عليه الصلاة والسلام يقصد شجر البوادي . قال عبد الله :

((ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ثم قالوا : حدثنا يا رسول الله ما هي؟ فقال عليه الصلاة والسلام : هي النخلة))

قال عبد الله بن عمر في رواية : فأردت أن أقول هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، استحيا ، فرأيت أبا بكرٍ وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلَّم في حضرتهما ، فلما قمنا حدثت أبي -. عمر بن الخطاب - بما وقع في نفسي . فقال عمر :

((والله لأن تكون قلتها أحبَّ إليَّ من أن يكون لي حُمُر النَعَم))



ليتك قلتها ، لأن أجبت النبي عليه الصلاة والسلام في حضرة سيدنا أبي بكر ، وسيدنا عمر ، وفي حضرة كبار الصحابة ، لأن كنت قلت : النخلة يا رسول الله - وكانت هي الصواب - أحب إليَّ من أن يكون لي حمر النعم . فالأب المؤمن يشجع ابنه ، يبثُّ في نفسه الثقة ، يدفعه للقول ، كلما نَمَت الثقة في نفس هذا الطفل ، كلما شبَّ على صفاتٍ خلقيةٍ راقية .

قصةٌ أخرى . . روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيَ له بشرابٍ فشرب منه - والسنة كما تعلمون يقدَّم الشراب، والطعام ، والضيافة لكبير القوم سناً أو علماً أو مكانةً ، ثم مِن عن يمينه - فالنبي عليه الصلاة والسلام قدم له شرابٌ فشرب منه ، وعن يمينه غلامٌ صغير ، وعن يساره أشياخٌ فقال عليه الصلاة والسلام للغلام :

((يا غلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء الأشياخ ؟ فقال الغلام : لا والله ، لا أؤثر بنصيبي منك أحداً))

[مسلم عن سهل بن سعد]

أيْ أراد هذا الغلام أن يتشرَّف بأن يشرب بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، هكذا السنة ، وهكذا التقليد . انظروا إلى هذه الجُرأة ، إلى هذه الشخصية النامية ، يبدو أن أصحاب النبي عليهم رضوان الله كانوا يربون أولادهم هذه التربية .

وروى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس ، وكان دون الحُلُم – أي دون البلوغ –: كان عمر يدخلني في أيام خلافته مع أشياخ بدر في المشورة – هو طفلٌ دون الحُلم ، ومعه أشياخ بدرٍ ، وهم على ما هم من كبر السن ورجاحة العقل – فكأن بعضهم وجد في نفسه – تألم– فقال : لمَ يدخل معنا هذا الغلام ولنا أبناءٌ في مثل سنه ؟ سمع عمر هذا الكلام فقال عمر : إنه من حيث قد علمتم – إن هذا الغلام من حيث قد علمتم ، ما معنى هذا الكلام ؟ أي إنكم سمعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما دعا لهذا الغلام وقال :

((اللهم فقهه الدين وعلمه التأويل))

[البخاري عن ابن عباس]

كلام النبي لا ينطق عن الهوى ، وهذا مِن إيمانك بالله عز وجل إذا رأيت النبي يقول حديثاً ، هكذا قال سيدنا سعد : وما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حقٌ مِن الله تعالى – فقال : إنه من حيث قد علمتم . وقال ابن عباس : فدعاني ذات مرة فأدخلني معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم من أنا ، وقال لهؤلاء الأشياخ : ما تقولون في قوله تعالى :

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾

[سورة النصر : 1-3]

فقال أشياخ بدر : أمرنا الله عز وجل أن نحمده ، وأن نستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال عمر بن الخطاب لسيدنا ابن عباس الطفل الصغير: . يا ابن عباس أكذلك تقول ؟ . قال : لا . قال : ماذا تعني هذه الآية ؟

– فقال ابن عباس : هو أجل رسول الله أعلمه به ، فإذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فقد انتهى أجلك .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾

[سورة النصر : 3]

فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول . هكذا ، هذه الآية فيها إعلامٌ لطيفٌ جداً من حضرة الحق للنبي عليه الصلاة والسلام . سيدنا عمر بن عبد العزيز ، رأى ولده في يوم عيدٍ وعليه أثوابٌ بالية ، فدمعت عيناه ، فرآه ابنه الصغير يبكي وقد كان معه ، فقال :

يا أبتِ ما يبكيك ؟ قال عمر : أخشى يا بني أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذه الأثواب الخلقة – أي إذا كنت بهذا الثوب الخَلِق ، أخاف أن ينكسر قلبك – فقال هذا الغلام الذكي : يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه ، أو عق أمّه وأباه ، وإني لأرجو أن يكون الله راضياً عني برضاك . فإذا بثثت في قلب ابنك الجرأة ؛ رفعت معنوياته ، سمحت له أن يتكلّم في حضرتك ، وفي حضرة مجلسك ، اصطحبته معك في مجالس العِلم ، اصطحبته معك في نُزهاتك ، هذا الحوار الذي يجري ، وهذا السؤال وذاك الجواب ، وهذه الثقة ترفع معنوياته ، فإذا هو طفلٌ صغير ذو عقلٍ كبير .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه الظاهرة ظاهرة " الخَجَل " ترى أن الطفل طليقٌ مع أصدقائه ، ومع أصدقائه لا ضابط له ، قد يتكلمون كلاماً سيئاً ، قد يتجاوزون الأصول ، ليس هناك ضوابط مع الأصدقاء ، أما إذا كان معك ، ومع أصدقائك ، ومع مجتمعٍ راقٍ ، وفي مجلس علمٍ ، وفي نزهةٍ بريئة ، عندئذٍ ربما تعلَّم مِنك الكثير، هذه ظاهرة من ظواهر التربية النفسية .

الشعور بالنقص :



أيها الأخوة المؤمنون ؛ هناك ظاهرةٌ خطيرةٌ جداً ، هي ظاهرة " الشعور بالنقص"، تأتي هذه الظاهرة من بعض الأسباب الخَلْقِيَّة ؛ طفلٌ فيه عاهةٌ ، فيه ضعفٌ ، فيه شيءٌ غير سَوِيّ ، فإذا سمح الأب للأولاد ، لإخوانه ، لأصدقائه ، لإخوته الصغار أن يلقبوه بلقبٍ متعلقٍ بهذه العاهة فقد أجرم بحقه .

هناك عوامل تربوية أخرى ، فإذا كذب الطفل مرةً ينادى باسم كذاب دائماً ، يُرَسَّخ فيه هذا الخُلُق ، إذا لطم أخاه مرةً يقال له : شرير ، إذا احتال مرةً يقال له : مُحتال ، إذا أخذ ما ليس له مرةً يقال له : سارق ، إذا توانى عن عملٍ مرةً يقال له : كسول . إن مناداة الطفل بهذه الألفاظ الكبيرة ، المؤلمة ، الجارحة تسبب في نفسه مرضاً اسمه الشعور بالنقص ، يشعر

بالنقص لذلك لا تُسَمِّ ابنك إلا باسمه ، ولا تحاول أن تؤنّبه في حضرة أخوته ، ولا في حضرة أقربائه ولا أصدقائه . فالتحقير والإهانة يسببان الشعور بالنقص ، الدلال المُفْرِط يسبب الشعور بالنقص ، المفاضلة بين الأولاد تسبب الشعور بالنقص .


التعنيف أمام الآخرين يولد عند الطفل شعوراً بالنقص

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ جاء رجلٌ إلى سيدنا عمر يشكو له عقوق ابنه ، فسيدنا عمر استدعى الابن ليؤنبه على عقوقه لأبيه ، فقال له هذا الابن كلمة قال : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقّ على أبيه ؟ قال : نعم . قال : ما هو هذا الحق ؟ قال : أن يحسن اسمه ، وأن يحسن اختيار أمه ، وأن يعلمه الكتاب . فقال : يا أمير المؤمنين ما فعل أبي شيئاً من ذلك ، أمي كانت زنجيةً عند مَجوسي تزوجها وسماني جُعْلاً – أي خنفساء – ولم يعلمني شيئاً من كتاب الله . فالتفت عمر غاضباً إلى الأب ، قال : يا هذا ، لقد عققته قبل أن يعقك ، ولقد أسأت إليه قبل أن يسيء إليك . لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((رحم الله والداً أعان ابنه على بره))

[الجامع الصغير عن علي]

فكلمةٌ جارحة أمام الأخوة الصغار ، كلمةٌ مؤلمةٌ أمام الضيوف ، كلمةٌ مُهينةٌ أمام الأصدقاء ، هذه تُكسبه مرضاً اسمه " الشعور بالنقص" .

التعليم لا التعنيف :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه قصة ، العلاج أيها الأخوة : إذا رأيت ابنك منحرفاً ، العلاج هو التعليم لا التعنيف، قال عليه الصلاة والسلام :

((علموا أولادك ولا تعنفوهم فإن المعلم خيرٌ من المعنف))

[الجامع الصغير عن أبي هريرة]

ما قولك أيها الأخ الكريم بشابٍ يدخل على النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو سيد الخَلق ، وحبيب الحق ، ويوحى إليه ، ويقول : يا رسول الله ائذن لي بالزنا – أمام أصحابه – قام له أصحابه ، فقال النبي :

((دعوه ، اقترب مني أيها الشاب ، قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا جعلت فداك ، قال عليه الصلاة والسلام : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لأختك ؟ قال : لا جعلني الله فداك ، ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، وما زال يقول له لابنتك ، وعمتك ، وخالتك ، حتى قال هذا الشاب : ادع لي يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فقال هذا الشاب : دخلت إلى رسول الله وما شيءٌ أحب إلي من الزنا ، وخرجت من عنده وما شيءٌ أبغض إلي من الزنا))

[أحمد عن أبي أمامة]

هكذا التعليم ، علمه ، أتحب أن يفعل فلان بأختك كذا وكذا ؟ لا والله ، ولا الناس يحبون ذلك لأخواتهم ، عَلِّم ، وجِّه ، بيّن ، وضِّح ، أقنع ، ائت بالدليل العقلي والنقلي والواقعي ، ولا تعنف لأن التعنيف لا يجدي . أحد الأعراب كان يصلي خلف النبي عليه الصلاة والسلام ، صحابيٌّ جليل إلى جانبه عطس ، فالتفت في الصلاة وقال له : يرحمك الله ، فإذا أصحاب النبي يضربون على أرجلهم ، يسكتونه ، قال : ماذا فعلت ؟ عندئذٍ شعر بالخوف الشديد ، فلما انتهت الصلاة قال له النبي عليه الصلاة والسلام :

((يا أخي إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس ، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن))

[من رياض الصالحين]

فقال هذا الأعرابي : " جعلت فداك يا رسول الله ، ثم قال : والله ما قهرني ولا ضربني ولا شتمني ، ولا رأيت معلماً خيراً منه ". هذا الذي دخل إلى المسجد وبال في المسجد في حضرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وقام إليه أصحابه ، قال عليه الصلاة والسلام :

((دعوه لا تزرموا عليه بوله ، صبوا عليه سجلاً من ماء))

[من كنز العمال]

ووجه هذا الأعرابي توجيهاً لطيفاً ، هو جاهل لا يعرف ، فقال هذا الأعرابي لشدة حبه للنبي ، وغيظه من أصحابه قال : " اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً " ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((لقد حجرت واسعاً))

[من الجامع لأحكام القرآن عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الأكارم ؛

((إن الله رفيقٌ يُحب الرِفق في الأمر كله))

[من زيادة الجامع الصغير عن عائشة]

ولا يكون الرفق في شيءٍ إلا زانه ، ولا ينزع من شيءٍ إلا شانه -. عابه – و..

((من يحرم الرفق يحرم الخير كله))

[أبو داود عن جرير]

هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام .

المساواة بين الأولاد وعدم المفاضلة بينهم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الذي يصيب الطفل بالشعور بالنقص المفاضلة بينه وبين إخوته ، قال عليه الصلاة والسلام :

((رحم الله والداً أعان ابنه على بره))

[الجامع الصغير عن علي]

وقل عليه الصلاة والسلام :

((ساووا بين أولادكم في العطية . . .))

[الجامع الصغير عن ابن عباس]



وهذا الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: إني نحلت ابني حديقةً فاشهد على ذلك يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

((أنحلت كل أولادك مثل ما نحلته ؟ - أي مثل ما أعطيته - قال : لا ، قال : أشهد غيري ، فإني لا أشهد على جور))

[من الجامع لأحكام القرآن]

أيْ إذا أردت أن يحبك أولادك ، وأن يكونوا كما تريد فساو بينهم في العَطِيَّة ، لا يأخذنك ذكاء بعضهم ، ومجاملة بعضهم على حرمان الآخرين ، فإن هذا يورث الأحقاد والضغائن ، وتكون بهذا قد خالفت قول النبي عليه الصلاة والسلام .

التخفيف من آلام الصغار :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ مرةً ثانية ، الشعور بالنقص أساسه ، قد يكون أساسه شيء خَلْقي ، لا ينبغي أن تشير به ، قد تأتي بنتٌ لها وضعٌ خاص ، لها لونٌ خاص ، لها قامةٌ خاصة ، في عينيها شيء ، إذا سَمَحَ الأب المؤمن لأمها ولأولاده أن يَنْعَتون هذه الطفلة بهذه الصفات ، فإنّه يورثها الشعور بالنقص ، وهذا

يحطمها ، كذلك الطفل ، فالشيء الذي يأتي من عند الله على العين والرأس . وهذا الأب يقمع ابنه ، لا يسمح له بالكلام ، يوبّخه ، يعَنِّفه ، يبعده عن مجالسه ، هذا ينشأ عنده أيضاً شعورٌ بالنقص ، ولابد لهذا الشعور من أن يعالج . إذا دللت ابنك فوق الحد المعقول ينشأ على الاتكالية ، وعلى أن الناس يقدِّمون له كل شيء ، حينما يكبر يرى الناس في واد وهو في واد ، الناس مُجِدّون وهو كسول ، الناس جريئون وهو خجول ، الناس متفوّقون وهو متخلِّف ، إكثار الدلال يورث في الطفل الشعور بالنقص ، وهذا الأب الذي يعفي ابنه من كل شيء ، لا يكلفه شيئاً ، يقدم له كل شيء ، إنه يورثه مرضاً خطيراً في نفسه.

أيها الأخوة المؤمنون ؛ كذلك الأب إذا أقنع ابنه أن الله سبحانه وتعالى حكيم ، وأن عطاءه ينطوي على حكمةٍ بالغة ، وأن هذا الذي حرمه الله إيّاه إنما هو ابتلاء ، و أن الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء ، ومنزل ترحٍ لا منزل فرح ، التوجيه المَبني على التوحيد وعلى حِكمة الله عز وجل ، وعلى أن الدنيا دار ابتلاء ، والآخرة دار جزاء ، على أن الدنيا دار تكليف ، والآخرة دار تشريف ، هذا التوجيه في التوحيد ، وفي بيان حِكمة الله ، يخفف من آلام الصغار .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن مَلَك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنَّى على الله الأماني .

تزكية الذبيحة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾

[سورة الأنعام : 145]

من إعجاز القرآن العلمي هذه الكلمة " دماً مسفوحاً " . . هذا الدم وهو يجري في العروق دمٌ طاهر ، لماذا ؟ لأن الكبد أول شيء يُعَدِّل من سمية الدم باستمرار .

والغُدَد العرقية تطرح الكثير من السموم عن طريق التعرُّق ، والرئتين تطرحان غاز الفحم ، والكليتين تطرحان البَوْلة ، وكل الأشياء الضارة . إذاً الكبد ، والتعرُّق ، والرئتان ، والكليتان ، تعملان باستمرار على تنقية الدم ، مما يؤذي صاحبه ، أما إذا سال الدم مسفوحاً ، فهو بؤرةٌ مناسبةٌ جداً لنمو الجراثيم ، لذلك الآن مخابر الجراثيم كيف تربي الجراثيم لتكتشف خواصّها ؟ عن طريق الدم ، أي الوسط الناجح ، المغذي ، المُفيد ، الملائم للجراثيم ، هو الدم ، فإذا سال الدم ، فهو مستنبتٌ للجراثيم .

والعرب قبل الإسلام أيها الأخوة ؛ كانت تضع الدم في الأمعاء ، وتشويه ، وتأكله ، هكذا . . واليوم البلاد التي لا تأتمر بأمر الله عزَّ وجل يحلو لها أن تأكل اللحم مع دمه، لذلك يُصعق الحيوان صعقاً ، ولا يذبح ، ويقطَّع ، وهذه اللترات الخَمْسة التي هي دم هذا الحيوان تبقى في لحمه ، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾

[سورة الأنعام : 145]



السمك أكله حلال لأنه عند الموت يندفع دمه للغلاصم

أيْ أن الدم وسط مُغَذٍّ ، وصالح جداً جداً جداً لنمو الجراثيم ، فالله سبحانه وتعالى حرم أكله . قد يسأل سائل : فما بال الشرع تجاوز في السمك ؟ السمك يصطاد ، ولا يذبح ، ويبقى دمه فيه . الشيء المعجز أن السمكة حينما تموت ، يندفع دمها كلّه إلى غلاصمها ، فإذا فتحت غلاصم السمكة ، تراها قانيةً حمراء ، دم السمكة كلُّه أصبح في الغَلاصم ، لذلك حينما جاء الشرع وسمح أن نأكل السمك من دون أن نذبحه ، ومن دون أن نخرج دمه ، زوده الله سبحانه وتعالى بهذه الخاصّة ، قبل أن تموت السمكة يدفع قلبها دمها كله إلى غلاصمها ، فإذا هي كما لو أنها ذُبِحَت .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ نحن إذا طبَّقنا أوامر الله عزَّ وجل نطبق أوامر الصانع، نطبق أوامر الخبير ، قال تعالى :

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر : 14]

فالذبيحة لا يجوز أكلها إذا كان دمها فيها .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-6) : التربية الاجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيِّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ ، أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

مسؤولية الآباء في تربية أولادهم التربية الاجتماعية :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في البيت المسلم ، وقد كان الموضوع في الخطب السابقة : مسؤولية الآباء في تربية أولادهم التربية الإيمانية الصحيحة ، وكذلك مسؤوليتهم في تربية أبنائهم التربية الخلقية ، وكذلك مسؤوليتهم في تربية أولادهم التربية النفسية ، وها نحن ننتقل في هذا اللقاء ، وهذه الخطبة ، إلى موضوعٍ رابع ألا وهو مسؤولية الآباء في تربية أولادهم التربية الاجتماعية . هناك علاقات اجتماعية ، وهناك صفاتٌ نفسية ، وهناك صفاتٌ خُلُقية ، وهناك صفاتٌ إيمانية .



يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أساس العلاقات الاجتماعية تقوى الله عز وجل ، فينبغي أن تقام هذه العلاقات كلها؛ علاقات الزواج ، علاقات البيع والشراء ، علاقات الجوار، علاقة القويّ بالضعيف ، علاقة الضعيف بالقوي ، علاقة الغنيّ بالفقير ، أيّة علاقةٍ اجتماعية ، أيّ علاقةٍ بين مسلمَين ، يجب أن تحكمها تقوى الله عز وجل . قد يكون الرجل قوياً ، والطرف الآخر ضعيفاً ، فبإمكانه أن يأخذ منه كل شيء ، ما الذي يحكم هذه العلاقة ؟ تقوى الله عز وجل ، قد يكون الزوج قوياً ، وزوجته مستضعفة ، ما الذي يحكم العلاقة بينهما ؟ تقوى الله عز وجل

، قد يكون الرجل غنياً ، والمال ينمو باطرادٍ سريع ، وقد يعطي الآخرين دون حقوقهم ، ما الذي يحكم هذه العلاقة بين المسلمين ؟ تقوى الله عز وجل .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ روى الإمام الغزاليّ في إحياء علوم الدين القصة التالية: يونس بن عُبَيد ، تاجرٌ يبيع الثياب الفاخرة ، كانت تسمى الحُلَل ، وهذه الحلل مختلفة الأثمان ، بعضها بمئتين ، وبعضها بأربعمئة ، ذهب إلى الصلاة وخلَّف ابن أخيه في الدكان ، فجاء أعرابي فاشترى حلة المئتين بأربعمئة ، وانصرف . لما خرج يونس بن عُبيد من المسجد رأى أعرابياً على يده حُلَّة المئتين ، فسأله :. يا هذا بكم اشتريتها ؟. قال : بأربعمئة . فقال له : إنها لا تساوي إلا مئتين ، فارجع إلى الدكان ، واسترد حقك الباقي . فقال : إنها في بلدنا تساوي خمسمئة ، وأنا قد رضيت بهذا الثمن . فقال له يونس : انصرف معي ، فإن النصح في الدين خيرٌ من الدنيا وما فيها – أي اذهب معي إلى الدكان ، فإن النصح في الدين خير من الدنيا وما فيها – ثم رد له المئتين ، وخاصم ابن أخيه ، وقال له : أما استحييت من الله عز وجل ؟ أما اتقيت الله عز وجل ؟

تربح مثل الثمن وتترك النُصح للمسلمين ؟! فقال ابن أخيه : والله ما أخذها إلا وهو راضٍ بها . فأجابه : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسه ؟

ينبغي أن تغرس في نفس الصغير أن أية علاقةٍ بين اثنين يجب أن تَمُرَّ عَبْرَ تقوى الله عز وجل ، تنشأ ظروف استثنائية يكون فيها أحد الطرفين قوياً ، والطرف الآخر لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا أن يستسلم ، ولكن أين تقوى الله عز وجل ؟ كلكم يعلم القصة الشهيرة؛ قصة سيدنا عمر مع الراعي قال : بعني هذه الشاة، قال : ليست لي ، قال : خذ ثمنها ، قال : ليست لي ، قل لصاحبها : ماتت أو أكلها الذئب ، إلى أن قال الراعي : والله لو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادقٌ أمين ، ولكن أين الله ؟

العلاقات الاجتماعية بين المسلمين يحكمها عدة أمور منها :

1 . تقوى الله عز وجل :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا تستقيم أمورنا ، لا تستقيم حياتنا ، لا نسعد في بيوتنا ، لا نسعد في أعمالنا ، لا نسعد مع أقاربنا ، ولا مع جيراننا ، ولا مع من حولنا ، إلا إذا بُنِيَت علاقتنا جميعاً على تقوى الله عز وجل ، وتقوى الله عز وجل يَحْكُمها حديثٌ للنبي عليه الصلاة والسلام ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك))

[ورد في الأثر]



هذه البنت التي في بيتك ؛ زوجة ابنك ، افرضها ابنتك ، كيف تعاملها ؟ أو كيف تحب أن تعامل لو أن ابنتك في بيت زوجها ؟ كيف تحب أن تعامل ابنتك عامل هذه زوجة ابنك التي في بيتك . إذا وقفت أمام موظف كيف تحب أن يعاملك ؟ باستعلاءٍ ومماطلةٍ وردٍ وتسويفٍ أم تحب أن يعاملك بالعدل والإنصاف وتيسير الأمور ؟ فإذا كنت موظفاً فعامل هؤلاء الذين أمام الطاولة كما تحب أن تعامَل كما لو كنت أمام طاولة أحدهم .

إذا كنت بائعاً ، إذا كنت شارياً ، يجب أن تغرس في نفوس المسلمين تقوى الله عز وجل ، فإذا نُزِعَت التقوى فقد فسدت حياتنا ، في بيوتنا ، وفي أعمالنا ، وفي تجارتنا ، وفي صناعتنا ، وفي زراعتنا ، إذا استعملت شيئاً يضرّ بالصحة من أجل أن تروج هذه السِلعة ، أنت لا تتقي الله عز وجل ، هؤلاء المسلمون سَلَّموك أجسامهم كي تطعمهم طعاماً أو غذاءً جيداً ، فإذا أضفت بعض المواد الرخيصة ، لتَجني أرباحاً طائلة ، ماذا فعلت ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ العلاقات الاجتماعيةُ أساسها تقوى الله عز وجل ، وتقوى الله عز وجل أساس تعريفها الدقيق : أن تتقي عذابه في الدنيا ، وأن تتقي عذابه في الآخرة بطاعته . تقوى الله تعني طاعة الله عز وجل .

2 . الأخوة :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ شيءٌ آخر يجب أن يحكم العلاقة بين المسلمين ، الخطبة اليوم عن العلاقات الاجتماعية ، أيّة علاقةٍ ؛ علاقة أجيرٍ بمستأجر ، علاقة رَبّ عملٍ بعامل ، علاقة موظفٍ بمراجع ، علاقة أبٍ بولد ، علاقة جارٍ بجاره ، علاقة زَوْجٍ بزوجته ، أيّة علاقةٍ بين اثنين يجب أن تحكمها أولاً : تقوى الله عز وجل ، ثانياً : هذا الذي أمامك أخوك، إنما المؤمنون أخوة ، أخوك وماله مالك . .

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة : 188]

لا تأكلوا ، لم يقل الله عز وجل : لا تأكلوا أموال إخوانكم بل قال :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم﴾

[سورة البقرة : 188]

إن هذا المال مال أخيك إنما هو في الحقيقة مالُك ، فأنت ملزمٌ أن تحافظ عليه، فإذا كنت مُلزماً أن تحافظ عليه ، فلأن تدع أكله بالباطل من باب أولى . لذلك يقول عليه الصلاة والسلام في حديثٍ صحيح رواه الإمام مسلم ، والإمام البخاري ، والإمام أحمد في مسنده واللفظ لمسلم :

((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا – تتبع الأخبار الطيّبة من دون فائدة فهو فضول – ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله))

[مسلم عن أبي هريرة]

((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يسلمه ، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))

[مسلم عن أبي هريرة]

((كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه))

[مسلم عن أبي هريرة]

((إنما التقوى هاهنا ، إنما التقوى ها هنا ، إنما التقوى هاهنا))

وأشار النبي الكريم إلى صدره الشريف ، ثم قال :

((إن الله لا ينظر إلى صوركم – إلى قاماتكم ، إلى وسامتكم ، إلى أناقتكم ، إلى ثيابكم ، إلى منطقكم ، إلى حُجَّتكم ، إلى براعاتكم ، إلى ذكائكم – و أموالكم – إلى بيتكم ، ما مساحته ؟ ما نوع أثاثه ؟ إلى مركبتكم ، إلى دكانكم – ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

[مسلم عن أبي هريرة]

كيف عملك ؟ ماذا قدَّمت للأمة ؟ ماذا قدَّمت لأخيك الإنسان ؟ ماذا فعلت في الدنيا ؟ دخلتها وخرجت منها، ماذا تركت فيها من بصمات ؟ ما العمل العظيم الذي خَلَّفْتَه ؟

((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

[مسلم عن أبي هريرة]

3 . الرحمة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ العلاقة بين المسلمين يجب أن تحكمها قاعدةٌ ثالثة .

القاعدة الأولى التقوى ، تقوى الله ، أن تخاف من الله ، ولو كان الذي أمامك ضعيفاً ، ولو كان جاهلاً ، قال عليه الصلاة والسلام :

((غبن المسترسل ربا))

[الجامع الصغير عن جابر]

هذا الذي يشتري منك بضاعةً وهو جاهلٌ بقيمتها ، ونوعها ، وتاريخ صنعها ، ومصدرها ، وصفاتها ، هذا جاهل ، بعض التُجَّار يرون في هذا الإنسان غنيمةً كبيرة ، لأنه جاهل ، ماذا قال عليه الصلاة والسلام :

((غبن المسترسل ربا))

[الجامع الصغير عن جابر]

((غبن المسترسل حرام))

[الجامع الصغير عن جابر]

تقوى الله عز وجل يجب أن تحكم كل علاقةٍ بين اثنين ، الشيء الثاني : الأخوة، هذا الذي تعامله أخوك في الدين ، أخوك في الإسلام ، له حقوقٌ عليك لا ينبغي أن تَغُشَّه ، ولا أن تُدَلِّس عليه ، ولا أن تكذبه ، ولا أن تخونه ، ولا أن تُسْلِمَه ، ولا أن تحتقره ، ولا أن تظلمه ، كل المسلم على المسلم حرام ؛ ماله ودمه وعرضه .



شيءٌ آخر . . يجب أن تحكم العلاقة بين المسلمين الرحمة :

((ارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو]

سيدنا الصديق رضي الله عنه ، حينما أرسل جيشاً أوصى قائد الجيش فقال رضي الله عنه : " لا تقتلوا امرأةً ، ولا شيخاً ، ولا طفلاً ، ولا تقطعوا نخلاً ، ولا تعقروا بعيراً إلا لمأكلةٍ " .

لذلك كان السلف الصالح أيها الأخوة من شدة رحمته يَقِفُ أمواله لإطعام الجائع، وكسوة العاري ، وسقاية الظمآن ، هذه السُبُل في المدينة التي ترونها عادة قديمة من عوائد هذه البلدة ، كان السلف الصالح يقف

ماله لإطعام الجائع ، وسقاية الظمآن ، وكسوة العريان ، وإيواء الغريب ، ومعالجة المريض ، وتعليم الجاهل، وكفالة اليتيم ، وإغاثة اللهفان ومواساة العاجز . ينطلقون من الرحمة ، حتى أن هذا السوق الذي في دمشق "سوق العصرونية " أساسه وقفٌ وقفه رجل اسمه " عصرون " ، ما نوع هذا الوقف ؟ أيّ غلامٍ ، أيما امرأةٍ ، أيّ أجيرٍ انكسرت معه آنيةٌ ، فخاف من ظلم سيده من أن يضربه ، يذهب إلى هذا المكان ويأخذ آنيةً جديدةً رحمةً بهذا الأجير ، ورحمةً بهذه المرأة ، ورحمةً بهذا الطفل .

أيها الأخوة المؤمنون :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[سورة النحل : 90]

إذا كانت هذه القضية لا يسَعها العدل ، يسعها الإحسان ، إن لم تأخذ حقك فأحسن .

4 . الإيثار :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قيمةٌ رابعة يجب أن تحكم العلاقة بين المسلمين ، إنها الإيثار .

أهدي إلى رجلٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعةٍ لحمٍ ، فقال : أخي أحوج مني إليها .

فانتقلت إلى أخيه ، أخوه قال مقالته ، قال : أخي فلان أحوج إليها مني، انتقلت إلى أخٍ ثالث ، قال الثالث : فلان أحوج إليها مني ، وما زالت تنتقل هذه القطعة من بيتٍ إلى بيت حتى انتقلت عبر سبعة بيوت ، ثم عادت إلى الأول ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

[سورة الحشر : 9]

من عجائب الإيثار التي لا تُصَدَّق ما رواه القرطبي في تفسيره ، أن رجلاً اسمه العدوي قال : " انطلقت يوم اليرموك – يوم وقعة اليرموك ، بعد أن انتهت هذه الوقعة – أطلب ابن عمٍ لي ، ومعي شيءٌ من الماء ، وأنا أقول : إن كان به رَمَقٌ سقيته ، فإذا أنا به فقلت : أأسقيك ماءً ؟ فهز برأسه أن نَعَم – والجريح يكون في أشدّ حالات العطش – وبينما أحاول أن أسقيه إذا رجلٌ يئن ، فإذا هو هشام بن العاص ، فأشار إلي أن أسقه – وهو على وشك الموت– وبينما أنا أحاول أن أسقي هشام بن العاص إذا رجلٌ ثالث يَئِن ، فأشار إليّ هشام أن أسقيه ، فذهبت إليه لأسقيه فإذا هو ميت ، عدت إلى هشام فإذا هو ميت ، عدت إلى ابن عمي فإذا هو ميت .

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

[سورة الحشر : 9]

فأين أخلاقنا من أخلاق أصحاب رسول الله ؟ أين أخلاقنا من أخلاق السَلف الصالح ؟ يجب أن تُبْنى العلاقة الاجتماعية على تقوى الله أولاً ، وعلى الأخوة ثانياً ، وعلى الرحمة ثالثاً ، وعلى الإيثار رابعاً . يا أيها الأخوة الأكارم ؛ رجلٌ استأذن على عمر بن الخطاب فلما دخل عليه قال: يا بن الخطاب . هكذا ، بلا توقيرٍ ولا تعظيم ، ولم يقل : يا أمير المؤمنين ، قال : يا بن الخطاب والله ما تعطينا الجذل ، ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر لأن هذا اجتراء على مقام الخلافة ، حتى همَّ أن يوقع به ، فقال أحد الجالسين : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول لنبيه الكريم :

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة الأعراف : 199]

فقال الجالس : فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها ، وكان وَقَّافاً عند كتاب الله .

من صفات عمر رضي الله عنه أنه كان وقَّافاً عند كتاب الله ، لو قال لك رجل :

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾

[سورة البقرة : 276]

هل تقف فجأةً ؟ لو قال لك رجل :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[سورة النور : 30]

هل تُقْلِع عن هذه العادة مباشرةً ؟ هكذا .

5 . الجرأة :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ومما يجب أن تحكم العلاقة بين المسلمين الجُرأة ، هذا الخجل من أن تأخذ حقك ، هذا الخَجَل من أن تنصح رجلاً قوياً ، هذا الخجل من أن تُنْكِر المُنْكَر ، من أن تأمر بالمعروف ، هذا الخجل من أن تفعل شيئاً ذا قيمة ، هذا ليس من أخلاق المُسلم . تروي السيدة عائشة ؛ أن المسلمين بعد وفاة رسول الله لشدة ما أصابهم من الوهن والجزع ، كالغنم في الليلة المطيرة ، وكلكم يعلم أنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت مُعظم القبائل عن الإسلام ، والنبي عليه الصلاة والسلام أمر ببعثِ أسامة ،

عُقَلاءُ أصحاب رسول الله رأوا أن في إنفاذ هذا البعث إضعافاً للخلافة ، يطمع الناس في الخلافة أكثر مما هم طامعون .



لذلك جاء بعض المسلمين مِن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبي بكرٍ خليفة رسول الله : يا خليفة رسول الله لا طاقة لك اليوم بحرب المُرتدين ، الزم بيتك، وأغلق بابك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

سيدنا الصديق ؛ هذا الرجل الخاشع ، البَكّاء ، الرقيق كَرِقَّة النَسيم ، اللَيّن كلين الحرير ، الرحيم كقلب الأم ، ينقلب في لحظةٍ واحدة إلى رجلٍ ثائرٍ كالبحر ، مضطربٍ كالليث ، يصيح في وجه عمر : ثكلتك أمك يا بن الخطاب أجبارٌ في الجاهلية خَوارٌ في الإسلام ، لقد تمَّ الوحي واكتمل ، أفينتقص دين الله عز وجل وأنا حي ؟ والله لو منعوني عقال بعيرٍ كانوا يؤدّونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .

لذلك قال بعض الأدباء : لي صديقٌ كان من أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عَظَّمَهُ في عيني صِغَر الدنيا في عينيه ، فكان خارجاً عن سُلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يُكثر إذا وَجَد ، وكان خارجاً عن سلطان الجهالة ؛ فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يماري فيما علم ، وكان أكثر دهره صامتاً ، فإذا تكلّم بَذَّ القائلين ، وكان يرى ضعيفاً مستضعفاً ، فإذا جَدَّ الجِدُّ فهو اللّيث عادياً .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ يجب أن تكون جريئاً في أخذ حقك ، يجب أن تكون جريئاً في قول الحق ، لأن كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرّب أجلاً .

6 . ألا نخاف في الله لومة لائم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ بقي شيء آخر يحكم العلاقة بين المسلمين ، يصف هذا أحد أصحاب رسول الله ، قال هذا الصحابي الجليل : بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، والعسر واليُسر ، وعلى أثرةٍ علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن نرى كفراً بواحاً عندنا من الله فيه بُرهان ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا ، وألا نخاف في الله لومة لائم .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ يجب أن نربي صغارناً على أخلاق المُسلم ، على تقوى الله ، وعلى أخوته مع إخوانه الصغار ، وعلى رحمةٍ ، وعلى إنصافٍ ، وعلى إيثارٍ ، وعلى جُرأةٍ ، هذه القواعد يجب أن تحكم العلاقة بين المسلمين ، ويجب أن نُلَقِّنها الصغار .

للموضع تتمة ، له تتماتٌ كثيرة ، مراعاة الحقوق ؛ حقوق الأبوين ، حقوق الأرحام ، حقوق الجار ، حقوق المُعَلِّم ، حقوق الرفيق ، حقوق الكبير ، والتزام أدب الطعام ، وأدب السلام ، وأدب الاستئذان ، وأدب الحديث، وأدب المزاح ، وأدب التهنئة ، وأدب عيادة المريض ، وأدب التعزية ، وأدب العُطاس ، وأدب التثاؤب ، وأدب الجلوس ، هذه دروسٌ لنا ولأولادنا.

تعليم أولادنا آداب الطعام :

أقتطع من كل هذه العنوانات فقرةً واحد : كيف نعلم أبنائنا على أدب الطعام ؟ فعليه الصلاة والسلام أمرنا بغسل اليدين قبل الطعام وبعده ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((بركة الطعام الوضوء قبله))

[الجامع الصغير عن سليمان]

وضوء الطعام غسل اليدين والفم ، قبله وبعده . وقال عليه الصلاة والسلام :

((من أحب أن يكثر الله خيره فليتوضأ إذا حضر غداؤه ، وإذا رفع))

[السيوطي عن مالك بن هبيرة]

وهذا يقي أمراض الصيف ، التي يتحدث عنها أهل الطب والصحة حول أمراض الصيف الكثيرة ، التي تنتقل بالعدوى ، والتي أساس العدوى ضعف النظافة ، هكذا علمنا النبي .

الأدب الثاني : التسمية " إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى عند أول طعامه وفي آخر طعامه " .

والأدب الثالث : ما كان عليه الصلاة والسلام يعيب طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه ، ما كان يعيب طعاماً قط .

رابعاً : كان يأكل عليه الصلاة والسلام بيمينه ، ويأكل مما يليه ، وقد قال لغلامٍ:

((يا غلام ، سمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك))

[الجامع لأحكام القرآن]

وكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل متكئاً ، أن تأكل متكئاً فيه كبرٌ وعجرفةٌ ، وفيه بعض المضار الصحية ، ما كان يأكل متكئاً .

وكان عليه الصلاة والسلام يتحدث إلى أصحابه في أثناء الطعام ليسهل الهضم ، وليأكل هنيئاً مريئاً من دون عَجَلةٍ ولا ازدراد . فكان عليه الصلاة والسلام يحدث أصحابه وهو يأكل على المائدة . وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا دعي إلى طعام يدعو لمضيفه ، فكلما رفع الطعام إذا كان مدعواً عليه يقول :

((أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون))

[كنز العمال عن أنس]

هكذا كان عليه الصلاة والسلام .

وهناك شيءٌ آخر : يجب على الصغير ألا يأكل قبل الكبير ، هذا من أدب الطعام . ومن أدب الطعام ألا تستهتر به ، فكان عليه الصلاة والسلام يلعق أصابعه ، وإذا وقعت لقمة على الأرض أخذها ، وأماط عنها الأذى ، ثم أكلها .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ وكان عليه الصلاة والسلام يكره أن يأكل واقفاً ، أمرنا أن نأكل وأن نشرب جالسين.



وآخر أدبٍ من آداب الطعام قال عليه الصلاة والسلام :

((ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه))

[الدر المنثور عن المقدام بن معدي]

كان يعتدل ، وأول بدعةٍ ابتدعها المسلمون بعد وفاة رسول الله الشِبَع .

((أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجوع ، ولا نشبع))

[من العهود المحمدية]

وهذا الحديث يُعَدُّ القاعدة الأصيلة الوحيدة في الطب الوقائي .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أمامكم سنة النبي ، أعيد على أسماعكم سريعاً بعض العنوانات التي عليكم أن تلاحظوها : حقوق الأبوين ، حقوق الأرحام ، حقوق الجار ، حقوق المُعَلِّم ، حقوق الرفيق ، حقوق الكبير ،

أدب الطعام ، أدب السلام ، أدب الاستئذان ، أدب الحديث ، أدب المُزاح ، أدب التهنئة ، أدب عيادة المريض ، أدب التعزية ، أدب العطاس ، أدب التثاؤب ، هكذا ينبغي أن نُلَقِّنَ أبناءنا هذه الآداب الإسلامية .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن مَلَك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتْبع نفسه هواها ، وتمنَّى على الله الأماني .

أعظم عملٍ يقوم به الإنسان هو نقل البشرية من الظلمات إلى النور :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان إذا استمع إلى حقيقةٍ ، أو إلى توجيهٍ ، أو إلى نُصْحٍ ، فهذا الاستماع لا وزن له عند الله أبداً ، إلا أن يترجم إلى سلوكٍ وإلى عمل ، بل إن الذي يستمع إلى حقائق وتوجيهات النبي عليه الصلاة والسلام ، وبيانه النبوي الشريف ، ولا يلتزم به ، يُصبح هذا العِلم حُجةً عليه يوم القيامة . شيءٌ آخر : أما إذا التزمت بما سمعت ورثك الله علم ما لم تعلم ، من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، أما الذي ينصح فأهون شيءٌ تفعله في الدنيا أن تنصح الناس ، شيءٌ سهلٌ جداً ، لا يكلف شيئاً ، أما إذا التزمت أنت بما تنصح ، أصبح عملك أخطر عملٍ في الحياة ، إنه من نوع صنعة الأنبياء ، أعظم عملٍ قام به إنسان على وجه الأرض ما فعله الأنبياء ؛ نقلوا البشرية من الظلمات إلى النور ، من الضلال إلى الهدى، من العداوة والبغضاء إلى المَحبة والإخاء ، من ضعف الإنسان إلى سموّه ، من شهوانيَّته إلى رُقِيّه ، من وحول الشهوات إلى جنات القُربات ، الأنبياء في الأرض هم قمم البشر ، ما مهمتهم ؟ ما عملهم ؟ الكلمة ، الكلمة تفقد قيمتها ، وتصبح مثاراً للسخرية إن لم يرافقها عمل . .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾

[سورة فصلت : 33]



عندما تنصح الناس لابد أن تكون أول الملتزمين بالنصيحة

أنت أيها الأخ الكريم ؛ إذا أردت أن تنصح الناس فنُصحك شيءٌ تافه جداً ما لم ينطلق من واقع ، من صدق، من التزام ، من تطبيق ، من تَمَثُّل ، هذا الذي ينصح الناس ولا يلتزم بما ينصحهم به ، يسقطُ من عين الله ، ولأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فَتُحَطَّم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله .

وإذا كنت منصوحاً اعلم أن هذا الكلام الذي تلقَّيْتَه حجةٌ عليك يوم القيامة إن لم تطبقه ، فالناصح إما أن يكون أتفه الناس ؛ إذا اتخذ النصيحة حرفةً ، أو صنعةً يكتسب منها رزقه ، وإما أن يكون أخطر الناس ، إنها صنعة الأنبياء إن انطلقت من عقيدةٍ صحيحة ، ومن التزام ، ومن تطبيقٍ ، أما إذا انطلقت من حرفةٍ ، أو كسبٍ رخيصٍ ، أو ارتزاقٍ ، فإنها أتفه الصنعات ، بل إنَّ أيّ إنسان ينتج في المجتمع سلعةً هو أشرف وأخطر في حياتنا من هذا الذي ينصح الناس ولا يلتزم بنصحه .

فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ من أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً هكذا قال الله عز وجل ، والكلمة الطيبة صدقة . .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾

[سورة إبراهيم : 24-25]

الدعاءأيها الأخوة الأكارم ؛ إني داعٍ فأمنوا .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولَّنا فيمن تولَّيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : حقوق الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيءٍ قدير ، اللهم علمنا من علمك المخزون ، واحفظنا بسر اسمك المصون يا أرحم الراحمين .

حفظ حقوق الوالدين :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في موضوع البيت المسلم ، وقد كان موضوع الخطبة السابقة : مسؤولية الآباء في تربية أولادهم التربية الاجتماعية ، ومن بنود التربية الاجتماعية حفظ الحقوق ، وفي مقدمة هذه الحقوق حقوق الوالدين ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء : 23]

قال علماء التفسير : إن عطف الإحسان للوالدين على عبادة الله رفعٌ لشأن هذه الطاعة إلى مستوى العبادة ، لأن العطف يقتضي التجانس ، أنت لا تقول : اشتريت بيتاً وإبرةً ، لأن هذا العطف لا يقتضي التجانس . .

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء : 23]

الله سبحانه وتعالى رفع طاعة الإحسان إلى الوالدين إلى مرتبة عبادة الله تعالى حيث عَطَفَ هذه على تِلك ، هذه واحدة .

الإمام البخاري رضي الله عنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((ما من مسلمٍ له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين –أي بابين في الجنة – قيل يا رسول الله : وإن كان واحداً ؟ قال : وإن كان واحداً فواحد ، فتح الله باباً في الجنة ، وإن غضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه ، قيل : وإن ظلماه ؟ قال : وإن ظلماه))

[البخاري عن ابن عباس]

لأن هناك قاعدةً تقول : أدِّ الذي عليك واطلب من الله الذي لَك ، أدِّ الذي عليك مِن برهما ، واطلب من الله الذي لك إذا ظلماك . من هذا الحديث الشريف يستنبط أن رضا الله عز وجل مَنوطٌ برضا الوالدين . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

((رضا الله في رضا الوالدين وسُخط الله في سخط الوالدين))

[الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

وكلكم يعلم أن هذا الأعرابي الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام يريد أن يجاهد معه ، فقال له النبي الكريم:

((ألك أبوان ؟ قال نعم ، قال : فيهما فجاهد))

والذي قال له : يا رسول الله جئتك– أي لأجاهد معك– وتركت والدي يبكيان ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما))

[النسائي عن عبد الله بن عمرو]

وجاء رجلٌ ثالث فقال : يا رسول الله أردت الغزو معك ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((ألك أم ؟ قال : نعم ، قال : الزمها فإن الجنة عند قدميها))

وحينما صعد النبي المنبر عليه الصلاة والسلام فقال :

((آمين ، صعد الدرجة الثانية فقال : آمين ، صعد الدرجة الثالثة فقال : آمين فقيل له : يا رسول الله علامَ أمَّنت ؟ فقال : جاءني جبريل فقال لي : خاب وخسر رغم أنف عبدٍ أدرك والديه أو أحدهما ولم يدخلاه الجنة))

[تفسير ابن كثير]

أي بر الوالدين عملٌ يكفي في حجمه لدخول الجنة .

كيفية برّ الوالدين بعد مماتهما :



يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذا في حياتهما ، فماذا بعد مماتهما ؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه فيما رواه الإمام البخاري قال عليه الصلاة والسلام :

((ترفع للميت بعد موته درجة فيقول : أي ربي أي شيءٍ هذا ؟ فيقول الله عز وجل : ولدك استغفر لك))

[البخاري عن أبي هريرة]

هذا الدُعاء الذي نقرأه في نهاية كل صلاة : " ربّ اغفر لي ولوالدي ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً " . النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة ، قال :

((ترفع للميت بعد موته درجة فيقول : أي ربي أي شيءٍ هذا ؟ فيقول الله عز وجل : ولدك استغفر لك))

[البخاري عن أبي هريرة]

وهذا الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول ماذا بقي علي من بر والديَّ بعد موتهما ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

((أربعة أشياء : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لم يكن لها صلةٌ إلا بهما ، فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما))

[من الجامع لأحكام القرآن عن أبي أسيد]

فمن بر الوالدين أن تنفذ وصيته بعد موته . هذه المرأة التي كانت تطوف البيت ، وكانت مصابةً بمرضٍ يعدي ، رآها سيدنا عمر فقال : " يا أمة الله الزمي بيتك لا تؤذي المسلمين " ، فقبعت في بيتها ، فلما مات عمر قيل لها : اخرجي فقد مات عمر ، فقالت كلمةً تكتب بماء الذهب : " والله ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً " .

زوجة سيدنا عمر بن عبد العزيز ، كان لها ثوباً مزركشاً ، مزداناً بالجواهر واليواقيت ، فلما تسلَّم الخلافة أمرها أن تقدِّمه لبيت مال المسلمين ، ففعلت ، فلما مات عمر قيل لها : هذا الثوب خذيه . قالت : والله ما كانت لأطيعه حياً وأعصيه ميتاً . فلذلك من بر الوالدين إنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لم يكن لها صلةٌ إلا بهما ، قال : فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ روى الإمام مسلم في صحيحه أن عبد الله بن عمر لقيه رجلٌ بطريق مكة ، فسلَّم عليه عبد الله ، وحمله على حمارٍ كان يركبه ، وأعطاه عمامةً كانت على رأسه ، فقال ابن دينار وكان مع ابن عمر : " أصلحك الله يا بن عمر ، إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير" فقال عبد الله بن عمر : " إن أبا هذا الأعرابي كان وَدّاً لعمر بن الخطاب - لأبي - وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((إن مِن أبرّ البِر صلة الرجل أهل ود أبيه))

[مسلم عن عبد الله بن عمر]

وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((من البر أن تصل صديق أبيك))

[من الجامع الصغير عن أنس]

تقديم برّ الأم على برّ الأب :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الشيء الثابت في بر الوالدَين أن يقدَّم بر الأم على بر الأب ، فابن كثيرٍ في تفسيره الشهير روى عن سليمان بن بُرَيْدَة ، وكان من أصحاب رسول الله أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها ، فسأل النبي عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله هل أديت حقها ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :



((لا ، ولا بزفرةٍ واحدة))

[ابن كثيرٍ عن سليمان بن بُرَيْدَة]

أي ولا بطلقةٍ واحدة . ويروى أن أعرابياً كان يحمل أمه في الطواف ، وكان شاعراً كان يقول :

إني لها مطيةٌ لا أذعـــرُ إذِ الركاب نفرت لا أنفرُ

ما حملت وأرضعتني أكثرُ الله ربي ذو الجلال أكبرُ

* * *

مرَّ ابن العباس فقال : يا بن عباس ، يا بن عم رسول الله ، أترائي قضيت حقها؟ قال : "لا ، ولا بطلقةٍ مِن طلقاتها " .

آداب معاملة الوالدين :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ من آداب معاملة الوالدين كما جاء في السُنَّة النبوية : ألا يمشي الابن أمام أبيه ، وألا يناديه باسمه ، وألا يجلس قبله ، وألا يَضْجَرَ مِن نصائحه ، وألا يأكل من طعامٍ ينظر إليه ، وألا يرقى مكاناً عالياً فوقه ، وألا يخالف أمره .

هذه التوجيهات مستقاةٌ من السنة النبوية ؛ ألا تمشي أمامه ، وألا تناديه باسمه ، وألا تجلس قبله ، وألا تضجر من نصائحه ، وألا تأكل من طعامٍ ينظر إليه ، أيْ أن هذا الابن الذي يجلس على المائدة فيختار من الفاكهة أطيبها ، في حضرة أبيه ، ويأخذ من الخبز أحسنه، في حضرة أبيه ، ويأكل من الطعام أطيبه ، في حضرة أبيه ، هذا ما عرف بر الوالدين ، كان بعض السلف لا يأكل مع أبيه إطلاقاً ، خشية أن تقع عين الأب على طعامٍ وقد تناوله الابن .

قيام الإنسان بالإحسان إلى والديه بنفسه :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ مِن الحِكَمِ البديعة في صياغة القرآن أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء : 23]

فعل " أحسن " يتعدى بـ إلى ، لا بالباء ، أحسنت إليه ، لا تقل في اللغة : أحسنت به ، هذا لم يرد إلا في القرآن الكريم ، لأن الله سبحانه وتعالى أراد من تعدية أحسن " بالباء " لا " بـ إلى " لأن الباء من معانيها الإلصاق ، الإحسان إلى الوالدين لا يقبل إلا منك شخصياً لا بواسطة ، أن تقول للسائق مثلاً : خذ هذا لأبي، خذ أبي نزهةً ، هذا ليس إحساناً للوالدين ، ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء : 23]

يجب أن يتعدّى فعل الإحسان بالباء ، إشارةً إلى ضرورة أن تقوم بهذا الإحسان مِن قِبَلِك شخصياً .

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾

[سورة الإسراء : 23]


بر الأب في كهولته أصعب من بره وهو شاب

الأب الشاب برّه سهلٌ ، الأب العاقل الذي يتمتَّع بأعلى درجات العقل والقوة والقدرة والحكمة برُّه سهلٌ جداً ، أما إذا بلغ الإنسان من الكِبَرِ عِتياً ؛ فأصبح يُفَنِّد الأقوال ، ويحشر أنفه فيما لا يعنيه ، في هذه السِن يجب أن تحسن إليه ، لأنه قد ضعفت ملكاته العقلية.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾

[سورة الإسراء : 23]

يقول عليه الصلاة والسلام :

((ما برَّ أباه مَن شَدَّ إليه الطرف بالغضب))

[الجامع الصغير عن عائشة]

من نظر إلى أبيه بحدةٍ ما بره . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ ، ومعه شيخٌ كبير ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((من هذا الذي معك يا هذا ؟ فقال : أبي ، عندئذٍ قال عليه الصلاة والسلام : لا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تَدْعُهُ باسمه ، ولا تستسب له))

[المعجم الأوسط عن عائشة]

أي لا تفعل فعلاً يسبب أن يُسَبَّ أبوك ، لا تفعل عملاً يدعُ الناس إلى أن يسبّوا أباك ، لا تستسب له .

برّ السلف الصالح بآبائهم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ كان السلف الصالح على مستوىً رفيع ببر الآباء ، فقيل لعمر بن يزيد : كيف بر ابنك بك ؟ فقال عمر بن يزيد : والله ما مشيت نهاراً قط إلا وهو خلفي، ولا مشيت ليلاً قط إلا مشى أمامي ، درءاً للخطر، ولا رقى سطحاً وأنا تحته . وقد تروي كتب التاريخ أن رجلاً قال : خرجت أمشي مع أبي فلقيني أبو هريرة فقال : من هذا ؟ فقال : أبي ، فقال أبو هريرة : " لا تمش بين يديه ولكن امش خلفه أو إلى جانبه ، ولا تدع أحداً يحولُ بينك وبينه ، ولا تمش فوق سطح أبيك ، ولا تأكل شيئاً قد نظر أبوك إليه فلعله اشتهاه " . . هذا من سيرة السلف الصالح .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ قصةٌ ينخلع لها القلب ، رواها السَمَرْقَنْدِيّ عن أنسٍ رضي الله عنه : أن شاباً كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى عَلْقَمَة ، فمرض علقمة واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا إله إلا الله . فلم ينطلق بها لسانه ، تلعثم ، دُعِيَ إلى أن يشهد هذه الشهادة مرَّاتٍ عديدة قبل أن يفارق الحياة ، فلم ينطق لسانه بهذه الشهادة ، أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل له أبوان ؟ فقيل : إن أباه قد مات، وله أمٌ كبيرة ، فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام إليها فجاءت ، فسألها عن حال ابنها ، فقالت يا رسول الله : كان يصلي كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدَّق بجُمْلَةٍ من الدراهم ، ما ندري ما وزنها وما عددها ، فقال عليه الصلاة والسلام : فما حالكِ معه ؟ ما علاقتكِ به ؟ حاله مع نفسه أنه كان يصلي ويصوم ويتصدق ، ما حالكِ معه ؟ قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة ، واجدة . فقال عليه الصلاة والسلام : ولِمَ ذلك ؟ قالت : كان يؤثر عليَّ امرأته ، ويطيعها ويسخطني ، فقال عليه الصلاة والسلام : سخط أمه حجب لسانه عن شهادة لا إله إلا الله . ثم – وعلى مسمع الأم – قال : يا بلال انطلق واجمع حطباً كثيراً حتى أحرقه بالنار . فقالت : يا رسول الله : ابني ، وثمرة فؤادي ، وتحرقه بالنار بين يدي ؟ وكيف يحتمل قلبي ذلك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أيسرك أن يغفر الله له ؟ قالت : نعم ، قال : فارضي عنه ، فوالذي نفسي بيده لا ينتفع بصلاته ، ولا بصيامه ، ولا بصدقته ما دُمْتِ عنه ساخطة . فرفعت يديها إلى السماء وقالت : أشهد الله تعالى في سمائه ، وأنت يا رسول الله ، ومَنْ حضر أني قد رضيت عنه . فقال : يا بلال انطلق إلى علقمة فانظر هل يستطيع أن يقول: لا إله إلا الله ، فلعل أمه تكلَّمت بما ليس في قلبها – حياءً من رسول الله – فانطلق بلالٌ فلما انتهى إلى الباب سمعه يقول : لا إله إلا الله ، ومات من يومه ، وغُسِّلَ ، وكُفِّنَ ، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم . ولكن لابد من ملاحظة ، هو أنه في فساد الزمان ، وفي ضعف الالتزام ، وفي انحلال الأخلاق ، وفي ظهور المعاصي ، وفي كثرة الفُجور ، كثيراً ما يأمُر الآباء والأمهات بالمعاصي ، كل هذا الموضوع بعيدٌ عن أن تطيع أمك وأباك فيما نهى الله عنه ، لأنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق ، هذه الخطبة لا تعني أن تطيع أمك وأباك إذا أمراك بمعصية .

سيدنا سعد ، قالت له أمه : يا سعد ، إما أن تكفر بمحمد وإما أن أدع الطعام حتى أموت ، فقال سعد : " يا أمي ، لو أن لك مئة نفسٍ فخرجت واحدةً واحدةً ما كنت لأكفر بمحمد ، فكلي إن شئتِ أو لا تأكلي" . فأن تقول الأم لابنها : طلق امرأتك هكذا ، بلا سبب ، امرأةٌ صالحة ، مؤمنةٌ ، طاهرةٌ ، نزوةٌ أصابت الأم : طلقها ، افعل كذا – وقد نهى الله عنه – اجلس مع فلانة فهي زوجة أخيك ، وإلا أغضب عليك ، إذا كان

أمر الأب والأم منصباً على معصيةٍ لله ، عندئذٍ يتوقَّف الغضب والرضا ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

مواقف فيها عقوق للوالدين :



نظرة الشزر إلى الوالدين من العقوق

أيها الأخوة المؤمنون ؛ العلماء جَمَعوا بعض المواقف التي فيها عقوقٌ للوالدين، من هذه المواقف أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة شزرٍ عند الغَضَب ، هذه ما بر أبيه من شد طرفه إليه ، هذا من العقوق ، ومن العقوق أن يَعُدَّ الولد نفسه مساوياً لأبيه في الحقوق والواجبات ، أعطاه نصيحة قال له : أنت لم تفعل هذا ، عَدَّ نفسه نِدَّاً له في البيت وفي العمل ، فمن فعل هذا فليس باراً بأبيه ، ومن العقوق أن يتعاظم الولد عن تقبيل يدي والديه ، أو ألا ينهض لهما احتراماً لهما وإجلالاً ، نفسه أكبر من أن يحترِم أباه وأمَّه إن في تقبيل يديهما أو في الوقوف لهما إذا دخلا ، ومن العقوق أن يستحوذ الغرور على الولد فيستحيي أن يعرف بأبيه ، قد تعلو مكانة الولد في الدنيا ، قد يتسلَّم منصباً خطيراً ، قد يستحي بأبيه ، لمجرَّد أن تستحي بأبيك فأنت عاقٌ له ، ومن العقوق ألا يقوم الابن بحق النفقة على والديه ، هذا من العقوق ، ومن العقوق أن يعلو صوت الابن على صوت أبيه ، من العقوق أن يتأفَّف في حضرته ، من العقوق أن يُقَرِّعَهُ بكلماتٍ مؤذيةٍ جارحة ، من العقوق أن يجلِب الإهانة لهما ، يعمل عملاً سيئاً فيتحدث الناس عن هذا العمل السيِّئ ، ثم يتحدثون عن سوء تربية الأب لهذا الابن ، من العقوق أن تسبب لهما السُباب ، هذا كله من العقوق .

الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، روى في صحيحه أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((ألا أُنَبِّئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا : بلى ، قال عليه الصلاة والسلام : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس ، قال : ألا وقول والزور والعمل به))

[البخاري عن أبي بكرة]

والإمام البخاري أيضاً روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً يقول فيه :

((من الكبائر شتم الرجل والديه ، فقيل : يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم ، يسُبُّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه))

[البخاري عن عبد الله بن عمرو]

وقد روى الإمام أحمد في مسنده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة ، مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والديوث ، قيل : مَن الديوث يا رسول الله ؟ قال : الذي يرضى الفاحشة في أهله ولا يغار على عرضه))

[أحمد عن ابن عمر]

الذي لا يغار على عرضه ، أو يرضى الفاحشة في أهله فهو الديوث ، لا الديوث ، ولا العاق للوالدين ، ولا شارب الخمر يدخل الجنة . وقد روى الإمام أحمد في مسنده أيضاً أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((لا تشرك بالله وإن قُتِّلْتَ وحُرِقت ، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من مالك))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

والحاكم في كتابه يروي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه :

((كل الذنوب يؤخِّر الله ما شاء منها أن يؤخِّر إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يُعَجِّلُه لصاحبه في الحياة قبل الممات))

[الحاكم عن أبي بكرة]

العاق لوالديه يدفع الثمن باهظاً في الحياة قبل الممات .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن مَلَكَ الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا وسيتخطَّى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنَّى على الله الأماني .

دورة الأرض حول نفسها :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾

[سورة النمل : 88]

فإذا كانت الجبال تمرُّ مرَّ السحاب ، فالأرض معها تدور ، وهذه إشارةٌ لطيفةٌ في كتاب الله عزَّ وجل إلى دورة الأرض حول نفسها .

الأرض تقطع حول نفسها في الثانية الواحدة نصف كيلو متر ، في الثانية الواحدة لأن محيطها أربعون ألف كيلو متر ، فالنقطة في المحيط تعود إلى مكانها السابق ، بعد أربعٍ وعشرين ساعة ، فإذا قسَّمت أربعين ألف كيلو متر على أربع وعشرين ، فالنتيجة ألف وستمئة كيلو متر في الساعة ، أي نصف كيلو متر في الثانية، سرعة الأرض في دورتها حول نفسها .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : وسائل إصلاح البيوت

الدرس (4-1) : نصائح لإصلاح البيت المسلم 1

الدرس (4-2) : نصائح لإصلاح البيت المسلم 2

الدرس (4-3) : ضوابط عمل المرأة

الدرس (4-1) : نصائح لإصلاح البيت المسلم 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى، آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

وسائل إصلاح البيوت 1 :

أيها الإخوة الكرام، موضوع دقيق يحتاج إلى عدة خطب، هذا الموضوع هو أن هذه الأمة مؤلفة في الدرجة الأولى من بيوت، فإذا صلحت البيوت صلحت الأمة، وقد يكون البيت المسلم أخطر موضوع يعالج، لأنه إذا فسد البيت فسد المجتمع، وتخلَّف، وإذا صلح البيت صلح المجتمع وتفوَّق.



بادئ ذي بدء، الله عز وجل جعل البيت نعمة من نعمه الكبيرة، قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾

(سورة النحل: 80)

البيت نعمة، أي بيت صغيرًا كان أو كبيرًا، مِلكًا أو إيجارًا، معك مفتاح بيت تأوي إليه، ترتاح فيه، تؤدي فرائضك فيه، فأنت بخير، قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾

(سورة النحل: 80)

يقول ابن كثير، رحمه الله: يذكر الله تعالى عباده بتمام نعمته عليهم بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن، يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها من سائر الوجوه.

أيها الإخوة الكرام، شيء آخر، يقول الله عز وجل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(سورة الأحزاب: 33)

فالبيت ستر للمرأة، وصون لها، وحفظ لها، ومن عقوبات الله عز وجل، ما نص عليه في قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾

(سورة الحشر: 2)

وقال تعالى:

﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

(سورة الحشر: 2)

إذاً البيت نعمة، بل هو نعمة كبيرة، إذا صلح البيت صلح المجتمع، وإذا فسد البيت فسد المجتمع، أي نظام في الأرض يدعم البيت، ويدعم الأسرة، ويحفظها، ويصونها نظام رائع، يقترب من وحي السماء، وأي نظام في الأرض يفرق أطراف البيت، ويشتت جمع البيت، ويفسد البيت هو نظام يقترب من نظام الشيطان.

أيها الإخوة الكرام، البيت أساس المجتمع.

أولاً: الله عز وجل يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: 6)

أنت ملزم بنص هذه الآية، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، أنت ملزم أن تقي نفسك وأهلك نار جهنم باجتناب المعاصي، والمعاصي لا تجتنب إلا بالتنوير والتعليم، فيجب أن يكون البيت منوراً بهدي الله عز وجل، مطبقاً لشريعة الله عز وجل، مصوناً بحفظ الله عز وجل.

ثمة حديث أيها الإخوة الكرام يضع كل رب أسرة أمام مسؤوليته:

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته))

[حديث حسن، أخرجه النسائي وابن حبان]

هذا الذي يتزوج زوجة، وينجب منها أولاداً، ولا يبالي بهذا البيت، بأخلاق البيت، بانضباط البيت، بما فيه من منكرات، بما فيه من معاصٍ وآثام، هذا ليس أباً جديراً بالاحترام.

أيها الإخوة الكرام، البيت مكان لحفظ النفس، والسلامة من الشرور، وكفها عن الناس، وهو الملجأ الشرعي عند الفتنة، قال صلى الله عليه وسلم:

((طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته))

[حديث حسن الإسناد، رواه الطبراني]

وورد في بعض الآثار: أن المؤمن جنته داره.



لو أن المؤمن سعى جاهداً ليجعل من بيته جنة، بمعنى أنه أقام في البيت علاقات الود، أقام في البيت علاقات الرحمة، أقام في البيت العبادات، أقام في البيت الصلوات، أقام في البيت الذكر، هذا السلوك، أيها الإخوة الكرام، يجعل البيت جنة، أنا حينما أقول: البيت، فلا أتحدث عن مساحته أبداً، ولا عن موقعه، ولا عن نوع فرشه، ولا عن تزييناته، أتحدث عن بيت يأوي الإنسان إليه.

أيها الإخوة الكرام:

((طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته))

[حديث حسن الإسناد، رواه الطبراني]

وجاء في بعض الأحاديث:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال:

((عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في خمس، من فعل منهن واحدة كان ضامناً على الله عز وجل: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً في سبيل الله، أو دخل على إمام يريد بذلك تعزيزه وتوقيره، أو قعد في بيته فسلِم وسلِم الناس منه))

[حديث رواه أحمد في مسنده، ورجاله رجال الصحيح إلا واحداً]

أحياناً في زمن الفتنة أن تقبع في بيتك هذا حسم للشر، ورد في الأثر:

سلامة الرجل من الفتنة، أن يلزم بيته.

1) حسن اختيار الزوجة :

أيها الإخوة الكرام، محور الموضوع وسائل إصلاح البيوت، أول وسيلة، وقد تستغربون من هذه الوسيلة، وقد لا يكون في الظاهر من علاقة بينها وبين البيت.

النصيحة الأولى لحفظ البيت ولصلاحه ولتماسكه ولتفوقه: حسن اختيار الزوجة:

امرأة شكت إلى النبي عليه الصلاة والسلام زوجها:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت:



تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات:

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾

(سورة المجادلة: الآية 1)

[حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه]

هذه المرأة التي شكت إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، بينت أن الزوج يكسب الرزق، وأن المرأة تربي الأولاد.

إذاً حينما تكون على رأس البيت امرأة صالحة تعرف الله عز وجل، وتعرف خطورة دورها في الحياة، وتعرف أن أعلى شهادة تحملها هي أولادها، وتعلم أنها إذا أعطت المجتمع عناصر نظيفة منضبطة معطاءة كان لها عند الله أجر كبير، كيف لا وقد ورد في الأثر: أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: مَن هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبت الزواج من أجلهم.

هذه التي ربت أولادها تربية إيمانية أخلاقيةً دينية عاليةً، تنازع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول الجنة.

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(سورة النور: 32)

إذاً الوسيلة الأولى لصلاح البيت حسن اختيار الزوجة، وأول عمل ينجح فيه الإنسان أن يحسن اختيار زوجته، فالزوجة الصالحة هي حسنة الدنيا، فقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى:

﴿ ومنهم من يقول رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(سورة البقرة: 201)

قال: المرأة الصالحة حسنة الدنيا، التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك، وإذا أمرتها أطاعتك. ستيرة عفيفة، تصون زوجها وتربي أولادها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظْفَر بذات الدين تَرِبَتْ يداك))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجةً لا تبغيه خوناً في نفسها ولا ماله))

[حديث رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً، ويقول: تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة))

[حديث رواه أحمد في مسنده بإسناد حسن]

إذاً البطولة ألا تؤخذ بجمال من دون دين، ألا تؤخذ بحسب من دون دين، ألا تؤخذ بمال من دون دين، البطولة أن ترجح دين الزوجة على كل المرغبات الأخرى.

ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام جعل المرأة الصالحة أحد أسباب سعادة الدنيا، وجعل المرأة السيئة أحد أسباب شقاء الدنيا، فإما أن تسعد بها، وإما أن تشقى بها، فبذلك أيها الإخوة الكرام في قضايا الحياة قضايا جانبية عرضية، لا تؤثر على جوهر حياتك، ولكن في الحياة أشياء مصيرية تتعلق بسعادتك أو شقائك.

2) حسن اختيار الزوج :

الآن الخطاب إلى ولي أمر الفتاة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

((إذا خَطَبَ إليكم من تَرضَون دينه وخُلُقَه فزوجّوه، إلا أن تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض))

[حديث حسن، أخرجه الترمذي]

أيها الإخوة الكرام، الرجل الصالح مع المرأة الصالحة يبنيان بيتاً صالحاً، لأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

3) إصلاح الزوجة السيئة :

لو أن إنساناً لم يكن يعنى بأمر الدين، وتزوج بصفات ليست كما جاءت عن سيد المرسلين، زوجته سيئة، ماذا يفعل؟ إن لم يكن اختيارك حسناً فعليك أن تصلح زوجتك، هذا يحتاج إلى نفس طويل، يحتاج إلى موعظة، يحتاج إلى إحسان، يحتاج إلى أن تعلمها، أن تهذبها، أن تجلس معها وقتاً طويلاً، أن تلقي عليها الأحكام والمواعظ، أن تلقي عليها الحكم، أن تسمعها دروس العلم، أن تأخذ بيدها إلى الله، فلذلك قال تعالى:

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾

(سورة الأنبياء: 90)



وقد قال بعض المفسرين: كانت عاقراً فولدت، وقال بعضهم: كان في لسانها طول، فأصلحها الله عز وجل.

إذاً هذا الذي ييأس من صلاح زوجته لا يعرف طبيعة النفس الإنسانية، النفس الإنسانية مؤهلة كي تنصلح، وكي تعود إلى جادة الصواب.

أيها الإخوة الكرام، اعتنِ بعبادة الزوجة، اعتنِ بصلاتها، اعتنِ بتلاوتها للقرآن، اعتنِ بأذكارها، اعتنِ بقيامها، اعتنِ بتلاوتها لكتاب الله عز وجل، حثها على الصدقة، احملها أن تدفع مالاً من مالها الخاص تقرباً إلى الله عز وجل، ادفع لها الكتب الإسلامية المفيدة كي تقرأها، اجعل البيت منتدى فكرياً لا مكان طعام وشراب ونوم، أسمعها الأشرطة المفيدة العلمية والإيمانية،

اختر لها صاحبات مؤمنات يرقين بها إلى سلم الإيمان، ادرأ الشر عنها، سد منافذ الفساد عليها بإبعادها عن قرينات السوء، وأماكن السوء، إذاً إما أن تحسن اختيار الزوجة، وإما أن تصلح الزوجة السيئة، هذه أول نصيحة في صلاح الدنيا.

4) إحياء البيوت بذكر الله :

أيها الإخوة الكرام: اجعلوا البيوت أمكنةً لذكر الله:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

((مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيت الذي لا يذكرُ الله فيه، مَثَلُ الحيِّ والميّت))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

بيت كالميت، ليس فيه ذكر الله، وبيت فيه الحياة، لأن فيه ذكر الله عز وجل.

أيها الإخوة الكرام، الذكر بالقلب، والذكر باللسان، والذكر بإقامة الصلوات، والذكر بتلاوة القرآن، والذكر بمذاكرة العلم الشرعي، والذكر بقراءة الكتب المفيدة.

أيها الإخوة الكرام، لا تنسوا هذا المثل، بين بيت فيه ذكر الله، وبيت لا يذكر الله فيه، كالحي والميت، فكيف إذا كان في البيت مزامير الشيطان، والأغنيات الماجنة، والمشاهدات التي لا ترضي الله عز وجل؟ كيف إذا كان فيه الاختلاط المحرم، والغيبة، والنميمة، وفساد ذات البين؟

5) إعمار البيوت بالصلاة :

اجعلوا بيوتكم قبلة، والمقصود أن يتخذ البيت مكاناً للعبادة، قال تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة يونس: 87)

قال ابن عباس: أمروا أن يتخذوها مساجد.

وقال بعض المفسرين: لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم أمروا بكثرة الصلاة، كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(سورة البقرة: 153)

عن حذيفة رضي الله عنه، قال:

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَه أمر صلى))

[حديث أخرجه أبو داود بإسناد ضعيف]

إذاً اجعلوا بيوتكم قبلة، أي: أدوا الصلوات النافلة فيها، والسنة أن تصلي الفرائض في المسجد، والسنن والنوافل في البيت، لئلا يكون البيت قبراً، وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يحرصون على الصلاة في البيوت في غير الفريضة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إذا قضى أحدُكم الصلاة في مسجده، فَلْيَجْعَلْ لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً))

[من حديث صحيح، أخرجه مسلم]

عن عتبان بن مالك رضي الله عنه، قال:

((يا رسولَ الله، إن السُّيولَ تحولُ بيني وبين مسجدِ قومي، فأُحِبُّ أن تأتيني في مكان من بيتي أتَّخِذُهُ مسجداً، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: سنفعل، فلما دخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم قال: أين تريد؟ فأشار إلى ناحية من البيت، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فصفَفْنا خلفَه، فصلَّى بنا ركعتين))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

كان الصحابة الكرام يحبون أن يؤدوا الصلوات، ولا سيما السنن والنافلة في بيوتهم، لئلا تكون بيوتهم قبوراً.

6) التربية الإيمانية لأهل البيت :

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل، فإذا أوتر قال: قومي فأوتري يا عائشة))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

وكان أصحاب البيت يدعو بعضهم بعضاً إلى أداء العبادات:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء))

[حديث صحيح، أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد]

وترغيب النساء بالصدقة يزيد في إيمانهن، ولقد حث النبي عليه الصلاة والسلام النساء على الصدقة بقوله:

((يا مَعْشَرَ النساء، تَصَدَّقنَ، ولو من حُلِيّكُنَّ، فإنكنَّ أَكثرُ أهلِ جهنم يومَ القيامة))

[من حديث صحيح، أخرجه الترمذي]

7) الأذكار المتعلقة بالبيوت :

مثلاً أذكار دخول البيت :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إذا دخل الرجلُ مَنزِلَه فذكر اللَّه عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مَبيتَ لكم ولا عَشاءَ، وإن ذكر اللَّه عند دُخوله، ولم يذكره عند عشائه، يقولُ: أدركتم العَشاء، ولا مَبيتَ لكم، وإذا لم يذكر اللَّه عند طعامه قال: أدركتم المبيتَ والعَشاءَ))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود]

يدخل الإنسان إلى البيت لا يسلم يجلس إلى الطعام، لا يسمي، لا يبدأ باسم الله، يقول الشيطان لإخوانه: أدركتم المبيت والعشاء معاً في هذا البيت، ترى الخصومات والصياح والقسوة والعنف، هذا كله من فعل الشيطان.

مثال آخر: أذكار الخروج من البيت:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إذا خرج الرَّجُلُ من بيته، فقال: بسم الله، توكلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له حينئذ: هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووُقِيتَ، فَيَتَنَحَّى له الشيطانُ، فيقول شيطانٌ آخرُ: كيف لك برجلٍ قد هُدِيَ، وكُفيَ، ووُقِيَ؟))

[حديث أخرجه أبو داود بإسناد صحيح]

إذا خرجت من بيتك قل:

بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

عن شُريح بن هانئ قال:

((سألتُ عائشةَ: بأي شيء كان يَبْدَأُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك))

[من حديث صحيح، أخرجه مسلم]

8) قراءة سورة البقرة في البيت :

مواصلة قراءة سورة البقرة في البيت لطرد الشيطان منه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((لا تجعلوا بيوتكم مقابرَ، إن الشيطان يَفِرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

9) تعليم أهل البيت أمر دينهم :

لا بد من أن يقوم رب الأسرة بتعليم أهل البيت أمر دينهم، تنفيذاً لأمره تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: 6)

هذه الآية أصل في تعليم أهل البيت، وتربيتهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ومن بعض ما قاله المفسرون حول هذه الآية:

قال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله، يأمرهم به، ويساعدهم عليه.

وقال الضحاك: حق على المسلم أن يعلم أهل بيته من قرابته وإمائه ما فرض الله عليهم، وما نهاهم عنه.

وقال الإمام علي رضي الله عنه: علموهم وأدِّبوهم.

فلا بد من تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب، وكان عليه الصلاة والسلام يحث على تعليم الإماء، وهن أرقاء، فما بالك بالأولاد وهم أحرار.

بعض الرجال ممن يتولون أمر بيوتهم يغفلون عن تعليم أهليهم ما ينبغي أن يعلموهم، فحينما تغفل عن تعليم أهل البيت تتفجر مشكلات لا تستطيع حلها، لأنها ناتجة عن الجهل، لو تلافيت الأمر، وعلمتهم قبل أن يجهلوا، وعلمتهم قبل أن ينحرفوا لكان التعليم استثماراً للوقت، وليس هدراً للوقت، هذا الذي يقول: ليس عندي وقت، هذا جواب غير مقبول، لأنك حينما تعلم يرتاح بالك، وتقر عينك، وربنا عز وجل قال:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

(سورة الفرقان: 74)

ما معنى قرة العين؟ أن ترى الذي تحبه على طاعة الله، أن ترى الذي تحبه مطيعاً لله، وقد أودع الله في الإنسان محبة أولاده، فإن رآهم على طاعة الله قرت عينه.

10) اقتناء الكتب الإسلامية :

اجعل في البيت نواةً لمكتبة إسلامية، هذا بيت لا بد أن تكون فيه ثقافة إسلامية، لابد من كتاب تفسير، لا بد من كتاب حديث، لا بد من كتاب سيرة، لا بد من كتاب فقه، لا بد من كتب متنوعة تختارها بعناية بالغة، تسأل أهل العلم عن أفضل كتاب في التفسير، عن أفضل كتاب في الحديث، عن أفضل كتاب في الفقه، في السيرة، تجعل هذه المكتبة نواة لمطالعة أولادك، ولزوجتك، ولإخوانك.

فهذا كله مما يعمق الثقافة الإيمانية في البيت، وبالتالي ربما حمل أفراد الأسرة على أن يتبعوا ما في هذه الكتب من توجيهات.

شيء آخر أيها الإخوة الكرام، يمكن أن تعتني أيضاً بمكتبة سمعية في البيت، أشرطة لعلماء تثق بعلمهم، وبحكمتهم، وبحسن توجيههم.

أما أن يكون البيت كما قلت قبلاً مكاناً للطعام والشراب والنوم فهذا فندق للخصومات والمشاحنات، والنكد والكلام القاسي، والبغضاء، هذا كله لا يرضي الله عز وجل.

وأخيراً :

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

الولد الصالح هو قرة العين :

أيها الإخوة الكرام: حينما يقول سيد الأنام:

((إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه))

[حديث صحيح، أخرجه الحاكم في مستدركه]



يعني لك حركة في الحياة واسعة جداً، قد تصبح أكبر تاجر، أو أكبر صناعي، أو أكبر اقتصادي، أو أكبر مدرس في الجامعة، وقد تبلغ قمم النجاح في مناحي الحياة كلها، ولكن حينما تعلم أن أفضل كسبك على الإطلاق، أن يكون أولادك في أعلى مستوى إيماني وخلقي وتربوي، هذا مما يجعل الإنسان في سعادة لا توصف، وهذا معنى قرة العين التي ذكرها الله في القرآن الكريم:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

(سورة الفرقان: 74)

إذاً أيها الإخوة الكرام: حينما تبذل وقتاً ثميناً في تربية أهل البيت، وفي إصلاح شأنهم، وفي تقريبهم من الله، وفي إبعادهم عن مواطن الفساد فأنت أب ناجح، وأنت أب تستحق الإكبار والتكريم، أما حينما يدع الإنسان أهله متفلتين شاردين عن طاعة الله عز وجل، فهذا إنسان لا يستحق أي احترام، لأنه كان مسؤولاً. وقد ورد في بعض الآثار أن الفتاة التي انحرفت بسبب إهمال تربيتها تقول لرب العزة يوم القيامة: يا رب، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، لأنه كان سبباً في فسادي.

فالأب حينما يهمل بيته، وحينما يسمح للملهيات والمفسدات أن تدخل البيت، وحينما يسمح للجيران غير الصالحين أن يختلطوا مع أهل بيته، وحينما يسمح لأطراف البيت بالذهاب حيثما شاؤوا دون ضبط، ودون مراقبة، ودون تحقيق، فهذا أب شرد هو عن الله عز وجل، وشردت معه أسرته، فاستحق سوء العقاب في الدنيا والآخرة.

هذا الفساد الذي ترونه في الطرقات، هؤلاء الفتيات الكاسيات العاريات، أليس لهن آباء؟ أليس لهن إخوة؟ أين هم؟ كيف سمح الآباء لبناتهم بهذه المظاهر الفاضحة؟ هناك مسؤولية كبيرة تترتب على الآباء، هذا كلام موجه للآباء أولاً، وموجه لمن يعقد العزم على الزواج ثانياً.

أول شيء في نجاح الأسرة: اختر امرأة صالحة، هذه المرأة الصالحة قوام البيت الصالح، والبيت الصالح قوام المجتمع الصالح.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المؤمنين يا رب العالمين، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-2) : نصائح لإصلاح البيت المسلم 2

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

وسائل إصلاح البيوت 2 :

أيها الإخوة الكرام، نتابع الموضوع حول البيت المسلم، وقد ذكرت في الخطبة السابقة أن الأمة بمجموعها تتألف من بيوت، فإن صلحت البيوت صلحت الأمة، وذكرت نصائح عشر لصلاح البيت المسلم، وهاأنذا أتابع هذا الموضوع.

11) دعوة الصالحين لزيارة البيت :



انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾

(سورة نوح: الآية 28)

أيها الإخوة الكرام، يتضح من هذه الآية أنه ينبغي ألا تصاحب إلا مؤمناً، وينبغي ألا يأكل طعامك إلا تقي، إذاً حينما تدعو الصالحين، ممن تثق بعلمهم،

ممن تثق بورعهم، ممن تثق بصحة توجيههم، فتستمع إلى ما في هذا الدين العظيم من حقائق، من عقائد، من بطولات، من نماذج، وحينما تنقل الصوت إلى أهل بيتك فيستمعون معك يكون هذا البيت مباركًا. أيها الإخوة، هذا الذي يضفي على البيت ما يسميه الناس بالنور، بيت منوَّر، بيت مبارك بيت تتلى فيه آيات القرآن الكريم، بيت تشرح فيه حقائق الدين، بيت يدخله الأخيار الأطهار من طلاب العلم. فيا أيها الإخوة، حينما يؤم البيت أهل العلم والأخيار، وطلاب العلم والأطهار، فالله سبحانه وتعالى يبارك أهل هذا البيت، هذه نصيحة تأتي ضمن ما ينبغي أن نفعله في بيوتنا.

12) تعلّم الأحكام الشرعية للبيوت :

من هذه الأحكام الشرعية:

1- تخصيص مكان للصلاة :

أن يكون في البيت مكان للصلاة، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضلَ صلاةِ المرءِ في بيته، إلا المكتوبةَ))

[من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

وقد ورد في الأثر أن: تطوع الرجل في بيته، يزيد عن تطوعه عند الناس.

يعني إذا صليت صلاة نافلة، هي في بيتك يزيد ثوابها على صلاة التطوع بين الناس، كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده، فالفريضة إذا صليتها في جماعة يرتفع أجرها، والنافلة إذا صليتها في بيتك يرتفع أجرها.

أول حكم متعلق في البيت أن تصلي فيه النوافل أنت وأهلك.

2- إمامة صاحب البيت في بيته :

من الأحكام الشرعية في البيت ألا يؤم غير صاحب البيت في بيته، فصاحب البيت أولى أن يصلي بمن في البيت، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا يُؤمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سُلطانِهِ، ولا يقعدْ في بيته على تَكْرِمَتِهِ إلا بإذنه))

[من حديث صحيح، أخرجه مسلم]



كمثال: مكتب لصاحب البيت، ووراء المكتب كرسي، ينبغي ألا تجلس في مكان صاحب البيت، هذا من آداب النبوة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3- الاستئذان :

من أحكام البيوت الاستئذان، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (*)فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

(سورة النور27-28)

لو أن إنساناً اتصل اتصالاً هاتفياً ليزور صديقاً له، أو أخاً له، فكان هذا الصديق أو الأخ على موعد مهم، فاعتذر، لماذا الغضب؟ والله عز وجل يقول:

﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾

(سورة النور: الآية 28)

الآية تقول: إذا وصلت إلى البيت، ولم يؤذن لك فارجع، فكيف إذا اتصلت هاتفياً، وأنت في البيت؟ إذاً من أدب دخول البيوت أن تكون بعد استئذان لأصحابها، فلعل هناك مشكلة، لعل هناك مرضاً، لعل هناك حاجةً، لعل هناك موعداً مهماً.

4- عدم الاستئذان في بعض الأماكن :

من أحكام البيوت: جواز دخول البيوت التي ليس فيها أحد بغير استئذان، إذا كان للداخل فيها متاع، كالبيت المعد للضيافة، تدخل أنت إلى الفندق من دون استئذان، لأن هذا الفندق قد أعد لضيافة المسافرين، قال تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾

(سورة النور : الآية 29)

5- الأكل بلا حرج في بعض البيوت :

من آداب البيوت عدم التحرج في الأكل من بيوت الأقرباء والأصدقاء، وما ملك المرء مفاتيحه من بيوت الأقرباء والأصدقاء، إذا كانوا لا يكرهون ذلك، قال تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آَبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾

(سورة النور : الآية 61)

يعني قد يكون صاحب البيت في أسعد حالاته حينما تأكل من بيته، إذاً الامتناع عن الأكل في بيوت الأقرباء والأصدقاء والإخوة الكرام، هذا نوع من الجفاء.

6- استئذان الأطفال على الأبوين :

من آداب البيوت أيها الإخوة، أن تأمر الأطفال بعدم اقتحام غرف نوم الأبوين بغير استئذان في أوقات النوم المعتادة، قبل صلاة الفجر، ووقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، خشية أن تقع أعينهم على ما لا يناسب، ولو رأوا شيئاً عرضاً في غير هذه الأوقات فيغتفر، لأنهم من الطوافين الذين يشق منعهم، قال تعالى:



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة النور: الآية 58)

7- تحريم الاطلاع على البيوت :

هذا أيضاً من أدب البيوت، تحريم الاطلاع على بيوت الآخرين بغير إذنهم، قال عليه الصلاة والسلام:

((من اطّلع في بيت قوم بغير إذنهم ، فَفَقَؤوا عينه، فلا دِيَةَ له ولا قصاص))

[من حديث صحيح، أخرجه النسائي]

القصد أنه محرم أشد التحريم أن تنظر إلى بيوت الآخرين.

8- عدم إخراج المرأة المطلقة :

شيء آخر، يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾

(سورة الطلاق: الآية 1)

أي عدم إخراج المرأة المطلقة طلاقاً رجعياً من البيت، هذا أيضاً من أحكام البيوت الشرعية.

9- عدم البيات وحيداً في البيت :

أيها الإخوة، ألا يبيت المرء وحيداً في البيت، هذا من توجيه النبي عليه الصلاة والسلام:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((نهى عن الوحدة أن يبيت الرجل وحده، أو يسافر وحده))

[حديث أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح]

هذا النهي أيها الإخوة، من أجل ألا يستوحش الإنسان، من أجل أن يتقي عدواً أو لصاً أو مرضاً مفاجئاً، فالأولى ألا يبيت المرء وحده في البيت، وألا يسافر وحده.

10- عدم النوم على سطح بلا سور :

ومن توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ألا ينام على ظهر بيت ليس له سور، حتى لا يسقط فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ بَاتَ على ظهر بيت ليس عليه حِجار، فقد برئت منه الذّمّةُ))

[حديث صحيح، أخرجه أبو داود]

ويقاس على هذا كل شيء يمكن أن يؤدي إلى خطر، أن يكون التيار عالياً، والأشرطة مكشوفة، يصاب الطفل بصعقة مميتة من قبل التيار، أي شيء يقاس على أن ينام الإنسان على سطح بلا سور فيقع فقد عصى أبا القاسم.

13) نقاش أمور الأسرة في البيت :

أيها الإخوة، من وسائل صلاح البيوت،الاجتماعات التي تناقش فيها أمور الأسرة، ففي الاجتماع يستمع الأب إلى وجهات نظر أولاده، يستمع الأب إلى وجهات نظر بناته، يستمع الأب إلى وجهة نظر زوجته، وقد يستمع الأولاد إلى رأي أبيهم، أما أن تبرم الأمور بعيداً عن المشاورة، بعيداً عن مجلس العائلة، بعيداً عن اجتماع على مستوى الأسرة، فهذا ما يفكك البيوت، فمن الأصول المتبعة أن تعقد في البيت اجتماعات تتداول فيها شؤون الأسرة، ويدلي كل واحد منهم برأيه، فتلاقي الآراء قد يهدي إلى الصواب، وأحياناً تعقد في البيت اجتماعات لتداول شؤون الحي، لإصلاح ذات البين، لحل مشكلات الأسرة الموسعة، لحل مشكلات الأزواج، لحل مشكلات اقتصادية، أو تعليمية، أو صحية، أو اجتماعية، حينما يكون البيت مصدر خير،

حينما تعقد فيه لقاءات هدفها إصلاح ذات البين، حينما تعقد فيه لقاءات هدفها نشر العلم، حينما تعقد فيها لقاءات هدفها التعاون على البر والتقوى، هذا أيضاً أحد عوامل صلاح البيوت.

14) إخفاء خلافات الأبوين عن الأولاد :

فكم من أب يأمر ابنه ألا يكلم أمه، وكم من أم تأمر ابنتها ألا تكلم أباها!

أيها الإخوة، ينبغي أن ندقق في أن هذه الخلافات الزوجية إذا انتقلت إلى الأولاد كان لها أثر سلبي بالغ السوء.

15) عدم إدخال العصاة إلى البيت :

المتفلت الذي لا ينضبط لا بشرع ولا بمبدأ، ولا بقيمة ولا بآخرة، ولا بخوف من الله،يتكلم كيفما يشاء، ويغري أهل البيت بالمعاصي والآثام، ويدعوهم إلى التفلت، فإذا احتجوا بأن الأب لا يوافق يدعوهم إلى نبذ هذا التسلط، فقد يأتي إنسان إلى بيت، والبيت في أفضل حالة له، هذا الإنسان يفسد العلاقات، وقد ورد في الأثر: ليس من من فرَّق.

فكم من جارة سيئة تفسد على الزوجة علاقتها بزوجها، وكم من جار سوء يفسد على الزوج علاقته بزوجته، وكم من شاب يفسد على الشاب علاقته بأبيه، فينبغي ألا يسمح بدخول إنسان أو إنسانة هدفها إفساد ذات البين، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله ﴾

(سورة الحجرات: 10)

ويقول عليه الصلاة والسلام،يحذرنا من فساد ذات البين يقول:

((البغضاء هي الحالقة، ليس حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين))

[من حديث رواه البزار بإسناد جيد]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((ومثل الجليس السوء، كمثل صاحب الكير، إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه))

[من حديث صحيح، أخرجه أبو داود]

وقال أيضاً:

((من أفسد امرأة على زوجها فليس منا))

[من حديث صحيح، أخرجه أبو داود]

16) جلوس الأب مع أسرته :

أن تكون موجوداً في البيت كلما استطعت، أمر مهم جداً، وجود ولي الأمر في بيته يضبط الأمور، يمكنه من الإشراف على التربية، وإصلاح الأحوال في المراقبة، والمتابعة، وعند المؤمنين الأصل أن تكون في بيتك، والأصل في المرأة أن تكون في بيتها، تخرج لأمر ضروري، أما عند معظم الناس فالأصل أن تخرج من البيت، الأصل أن تمضي الوقت خارج البيت، لك أن تخرج من البيت لهدف نبيل، أن تمشي في إصلاح ذات بين، أن تمشي في تعليم علم، أما أن يكون الهدف هو الخروج من البيت دائماً، فهذا يضعف تماسك الأسرة، ويضعف تربية الأولاد، وقد يكون له آثار كبيرة جداً على مستقبلهم، وتحصيلهم، وأخلاقهم، وقيمهم، واستقامتهم.

17) مراقبة أحوال الأسرة :

من هم أصدقاء أولادك؟

هل سبق أن قابلتهم، أو تعرفت عليهم؟

ماذا يجلب أولادك معهم من خارج البيت؟ إلى أين تذهب ابنتك، ومع من؟


مراقبة الأولاد ومتابعتهم يجب أن تكون بأسلوب ذكي

هذه أشياء لا يعفى منها أب ولا أم، وكثيراً ما تخرج البنت تحت غطاء كاذب، وتقع الفاحشة، وكثيراً ما يخرج الابن تحت غطاء كاذب، حينما يرى الأب والأم لا يحققون، ولا يدققون، ولا يسألون، ولا يستفسرون، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته))

[حديث حسن، أخرجه النسائي وابن حبان]

ولكن، أيها الإخوة الكرام، يجب أن تكون المراقبة بشكل خفي، وبأسلوب ذكي:

الإسلام يرفض أجواء الإرهاب، الإسلام يرفض أن يحس الأولاد بعدم الثقة من أوليائهم، ينبغي أن يراعى العقاب بما يتناسب مع سن الطفل، ففي سن تضاحكه، وفي سن تؤدبه، وفي سن تراقبه، وفي سن تنصحه، فقضية النصح والعقاب يجب أن تراعى فيها أعمار الصغار، فهناك أحياناً تدقيق من قبل الأهل لا يحتمل، هذا له مفهوم عكسي، ينبغي أن نبتعد عنه أيضاً، نحن لسنا في شركة، وليس الأب ملكاً موكلاً بتنزيل كل الأخطاء، ينبغي أن يراقب، وأن يدقق، لكن بأسلوب ذكي وخفي، من دون أن يشعر أولاده بعدم الثقة، بالمقابل هناك آباء لا يتدخلون إطلاقاً بشؤون أولادهم، إلى درجة أن هذا الابن أو تلك البنت تفسد وتنحرف، لأنها مغطاة من قبل ثقة ساذجة من قبل الأب، هذه الثقة الساذجة تجعلها تتحرك كما تشاء.

18) الاهتمام بالأطفال :

يجب على الأب أن يقرئ أولاده القرآن، يشرح لهم شرحاً مبسطاً معاني الآيات، يقدم لهم المكافآت لحفظه، الصغار يتعلمون آداب الإسلام، ويتعلمون أذكار الأكل، والنوم، والعطاس، والسلام، والاستئذان، ويسرد عليهم بعض القصص، هذا كله مما يؤلف قلوب الصغار في البيت.

19) اختيار أصدقاء الأولاد :

أن يخرج أولادك مع كل من دب وهب، هذه مشكلة كبيرة، قد يرجع ومعه قصص ماجنة، قد يرجع ومعه ألفاظ بذيئة جداً، فينبغي أن تعتني باختيار أصدقاء أولادك كما تعتني بأولادك، هناك لعب مسلية، هذه تملأ فراغ الطفل، الأب أحياناً لا يقنع بهذه الألعاب، ألعاب هادفة بريئة مبرمجة، وقد تكون إسلامية، هذه تملأ فراغ الطفل، وهذا الطفل إن لم تشغله بالخير شغلك بالشر، وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أهل بيته، كان يداعبهم، كان يلاعبهم، فالأب حينما يهبط إلى مستوى أولاده ينجح، وقد ورد في الأثر: من كان له صبي فليتصابَ له.

الأب حينما ينزل إلى مستوى أولاده فيمازحهم، ويضاحكهم، ويلعب معهم يؤلف قلوبهم وهذا هو الأب الذكي:

عن يعلى العامري رضي الله عنه:

((أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى طعام دعوا إليه، فإذا حسين مع الصبيان يلعب، فاستقل أمام القوم ثم بسط يده فطفق الصبي يفر هاهنا مرة، وهاهنا مرة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه، ثم قنع رأسه فوضع فاه على فيه فقبله، وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط))

[حديث حسن لغيره، أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم]

هكذا كان عليه الصلاة والسلام مع أولاده ومع أحفاده.

20) تنظيم أوقات النوم والأكل :

بيوت كثيرة فيها فوضى، كل فرد من أفراد الأسرة يدخل إلى البيت، يأكل كما يتمنى بلا نظام، بلا مواعيد، بلا التئام مع باقي الأسرة، الأكل والنوم والسهر والاستيقاظ مفتوح، فهذا بيت كان أمره فرطاً، أما الأب والأم، فيجب أن يكونا حازمين في تنظيم أوقات الطعام، وأوقات النوم في البيت، فنظام أوقات الطعام والنوم في البيت من أدق الأشياء التي تنتظم بها الأسرة.



أيها الإخوة الكرام، هناك نصائح كثيرة، وقد تصل إلى أربعين نصيحة، نتابعها في خطبة قادمة إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لكم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

زلزال تسونامي :

أيها الإخوة الكرام، هذا الزلزال الذي حدث في جنوبي شرق آسيا أدى إلى تزحزح جزر كثيرة جداً، قريباً من ثلاثين متراً، لكن الذي لا يصدق أن قوة هذا الزلزال وهذا الطوفان من أمواج البحر تساوي قوة مليون قنبلة ذرية، أخذت هذه المعلومات من مواقع معلوماتية دقيقة جداً ورصينة.

هذه الهزة لم يسبق لها مثيل من ثلاثمئة عام، لكن الأوبئة والأمراض الناتجة عن الجثث في المياه قد تميت قدر الذي أماتته حتى الآن، فحتى الآن مئة وخمسة وعشرون ألف قتيل أيها الإخوة.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

(سورة البروج: الآية 12)

تحليلات علمية لحادثة تسونامي :

من التحليلات العلمية التي لا تتناقض مع التحليلات التوحيدية، أن هذه الزلازل كانت نتيجة لحركة ألواح الغلاف الصخري للأرض، هذه الحركة إما أن تكون متباعدة، أو مصطدمة، أو منزلقة، فالحمم التي في باطن الأرض تتحرك نحو الأعلى، فإن تحركت نحو الأعلى تباعدت هذه الألواح، والألواح قدَّرَها العلماء باثني عشر لوحاً، أستراليا كلها لوح، جنوب شرق آسيا لوح آخر، الألواح تتباعد أو تصطدم أو تنزلق، ففي ارتفاع الحمم من الأسفل نحو الأعلى تتباعد، وفي نزولها نحو الأسفل تتقارب وتصطدم، هذه الألواح، تطفو فوق طبقة لدنة منصهرة عالية اللزوجة، عالية الحرارة، وحينما تدور الأرض حول محورها تؤدي إلى انزلاق هذه الألواح فوق هذه الطبقة اللزجة، والذي حصل: أن لوحين كبيرين: اللوح الأسترالي واللوح الأورانسي تصادما، فشكلا هذه القوة التي لم يسبق لها مثيل من ثلاثمئة عام.

الضحايا من البشر فقط :

أيها الإخوة الكرام، الشيء الذي لا يصدق، والأخبار سمعتها اليوم صباحاً أنه لم يعثر على جثة حيوان واحد، مقابل مئة وعشرين ألف جثة إنسان، لأن الحيوانات مزودة بحاسة تشعرها بالخطر قبل خمس عشرة دقيقة، ففرت الحيوانات، وحتى الآن لم يعثر على جثة حيوان واحد، لأن الحيوان غير مكلف بهذه المعالجة، فالإنسان يدعي العبقرية والعلم والذكاء والتقدم، ويؤله نفسه في هذا العصر، هذا فعل من؟

ثلاثة آلاف وستمئة إنسان قتلوا في الحادي عشر من أيلول، قامت الدنيا، ولم تقعد، وجيرت هذه النكبة للعرب والمسلمين، فكانت حرب الأفغان، وحرب العراق، والحصار الاقتصادي، والقتل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (*)يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

(سورة الحج 1-2)

هذه الأمواج أيها الإخوة، سارت بسرعة ألف كيلو متر، واستغرق سيرها من مركز الزلزال إلى شواطئ الهند، وشواطئ إندونيسيا ساعة، الموجة قادرة على أن تحمل صخرة وزنها عشرين طنًا.

درس إلهي لجميع البشر :

أيها الإخوة الكرام، هذا درس إلهي، يوم قال صانعو سفينة تايتانيك: إن القدر لا يستطيع إغراق هذه السفينة، غرقت في أول رحلة، اصطدمت بجبل جليدي، فانشطرت شطرين، قال أحد القساوسة وقتها: إن غرق هذه السفينة درس من السماء إلى الأرض، وهذا الذي حصل أيها الإخوة الكرام، درس من الله للبشر كلهم، هؤلاء المتألهون، هؤلاء الذين يتجبرون، هؤلاء الذين يكيلون الصاع مليون صاع لمن مسهم، هؤلاء رأوا كيف أن الله عز وجل بحركة واحدة، بتصادم بين لوحين من ألواح الغلاف الأرضي الصخري كان هذا الذي حصل، وربما كانت الخسائر أكبر بكثير.



الكوارث الطبيعية عصا الله في الأرض يودب بها عباده

أيها الإخوة الكرام، يقاس الزلزال بمقياس رختر، وهذا المقياس مقسم إلى تسع درجات، نحن في العادة تمر بنا هزات أرضية بدرجة أو درجتين، هذه الدرجة أو الدرجتان ربما تشبه انفجار مئة وثمانين كيلو من مادة (تي إن تي)، أما الدرجة الثالثة فتساوي عشرين مليون طن من (تي إن تي)، على مقياس رختر، وقال بعض علماء الجيولوجيا: لولا هذه الهزات الأرضية التي تحدث لانفجرت الأرض كقنبلة نووية هائلة، هذا نوع من أنواع التنفيس، تنفيس الطاقة الزائدة التي في داخل القشرة الأرضية، ومع ذلك الزلزال جند من جنود الله عز وجل هو عقاب للمذنبين، وابتلاء للصالحين، وإنذار للناجين، لا يتناقض التفسير العلمي المحض مع التفسير التوحيدي، لكن الناس كما قال الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾

(سورة الزمر: الآية 45)

يعني إذا عزوت هذا الزلزال إلى حكمة إلهية، وإلى درس إلهي تشمئز قلوب الكافرين، أما إذا اكتفيت بتفسيره تفسيراً أرضياً شركياً يرتاح له أولئك الناس.

أيها الإخوة الكرام، الفسق والفجور في جنوب شرق آسيا يفوق حد الخيال، وهذه المنتجعات الجميلة هي أرقى منتجعات في العالم، فلا يتناقض التفسير التوحيدي مع التفسير العلمي، بل يتكاملان، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(سورة هود: الآية 117)

لكن الله عز وجل يعاقب بعض المسيئين، ويكافئ بعض المحسنين، أما الحساب الأخير والرصيد الكامل:

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة آل عمران: الآية 185)

الحكمة والعبرة من هذا الحدث :

قد يسأل سائل: هناك بلاد فيها من الفسق والفجور كما في هذه البلاد، لمَ لم تصب؟ الجواب: الله عز وجل لحكمة بالغة يعاقب بعض المسيئين ردعاً للباقين، ويكافئ بعض المحسنين تشجيعاً للباقين، فالذي نجا، أو البلاد التي نجت، أو البلاد التي لم تصب بسوء، ليس معنى هذا أنها مستقيمة، قد تكون في حالة تشبه حالة الذين هلكوا، لكن هذا يعد ردعاً لهؤلاء الناجين.

أيها الإخوة الكرام، مرة ثانية، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (*)يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

(سورة الحج 1-2)

أيها الإخوة الكرام، إذا قلنا هناك حكمة من هذا الزلزال، كلمة حكمة هي ألطف كلمة، وأوسع كلمة، وأشمل كلمة، المستقيم يعد له ابتلاءً، والمذنب يعد له عقابًا، والناجي يعد له إنذارًا، هذا أدق كلام يقال، إنه درس من السماء للأرض، إنه درس للمتجبرين، ودرس للطغاة، ودرس للمتألهين، ودرس للمستكبرين.

في موقع معلوماتي أيها الإخوة الكرام، عرضوا قصصاً تزيد على الثلاثين قصة عن بعض الذين نجوا، وقد وصفوا ماذا حل بهم، شيء لا يصدق، موجة عاتية تدخل إلى الفندق، تأخذ كل من فيه، الأبواب تقتلع من أماكنها، الشرف تنهار، تأخذهم إلى وسط البحر، الذين نجوا قلائل جداً، في إندونيسيا ستة عشر ألف جزيرة، فالموج يكتسح الجزيرة، وينتقل إلى طرفها الآخر.

فيا أيها الإخوة المؤمنون، ينبغي أن نتعظ، ينبغي أن نصطلح مع الله، ينبغي أن نتوب إليه، ينبغي أن نرجع إليه، فالذين نجوا يجب أن تكون هذه الأحداث عبرة لهم، قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

(سورة البروج: الآية 12)

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المؤمنين يا رب العالمين، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-3) : ضوابط عمل المرأة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين.

وسائل إصلاح البيوت 3 :

أيها الإخوة الكرام، قبل عدة أسابيع، عالجت موضوعاً يمسّ كل مسلم في الحياة، عالجت موضوع البيت المسلم، ووعدت أن أتابع هذا الموضوع فيما بعد، وها أنا أتابع موضوع البيت المسلم الذي سبق أن ألقيت فيه خطبتين، وهذه الثالثة والأخيرة.

أيها الإخوة الكرام، انطلقت من أن هناك ما يصل إلى أربعين نصيحة لتماسك البيت المسلم، ذكرنا عشرين منها، وها نحن نتابع بعضاً منها:

21) ضوابط عمل المرأة :

من جملة هذه النصائح ضوابط عمل المرأة، الموضوع كبير جداً، ويحتاج إلى خطب متتالية، ولكن ملخصه ما يلي:

يمكن للمرأة أن تعمل وفق شرطين:

1) وجود ضرورة للعمل :

قال تعالى:

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

(سورة القصص: الآية 23)

حينما تكون المرأة معيلة لأولادها بعد موت زوجها، فلها أن تعمل عملاً يتناسب مع طبيعتها، وعملاً وفق الضوابط الشرعية، ففي المنهج الإلهي نجد الأصل قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: الآية 33)

الأصل هو أن تقرَّ المرأة في بيتها، ولها أن تعمل عند الضرورة.

2) التزام الضوابط الشرعية :

الشيء الآخر: أن تعمل في عمل يتناسب مع أنوثتها، ووفق الضوابط الشرعية، كالحجاب الشرعي، وعدم الاختلاط، وعدم الخضوع بالقول لئلا يطمع الذي في قلبه مرض.



أيها الإخوة الكرام، ذلك لأن أقدس عمل تقوم به المرأة هو تربية الأولاد، فتقدم للمجتمع عناصر نظيفة منضبطة معطاءة، وأولادها أكبر شهاداتها، أما إذا تخلت عن المهمة التي أناطها الله بها، فقد ضيعت كل شيء، ولو أتت بدخل فلكي من خلال عملها.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال:

((جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن نصبوا أجروا، وإن قتلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبلغي من لقيت من النساء، أن طاعة الزوج، واعترافاً بحقه، يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله))

[حديث رواه البزار في مسنده، وفيه رجل ضعيف]

وقد جاء في الأثر:

أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل، قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم.

هذه المرأة، إن صحَّ الخبر، أحسنت تربية أولادها، فهي تنازع رسول الله، صلى الله عليه وسلم دخول الجنة، لذلك مسموح للمرأة أن تعمل في النظام الإسلامي، ولكن عند الضرورة، ووفق الشروط الشرعية، ولهذا البحث تفاصيل كثيرة تحتاج إلى خطب مستقلة، لكن ينبغي أن نذكر مثالاً يوضح خطورة الأمر:

الطيار الذي يقود طائرة، لها ثلاث طبقات، وفيها خمسمئة وثمانين راكباً، هذا الطيار هل يعقل أن يدع غرفة القيادة وضبط شؤون الطائرة ليقدم الضيافة للركاب، هل يُسمَح أن نقول له: لماذا أنت محصور في هذه الغرفة؟ انطلق منها إلى رحاب الطائرة، وحين ينطلق الطيار من غرفته المحدودة إلى رحاب مقصورة الركاب، ربما يتسبب في فقدانهم حياتهم جميعاً.

أيها الإخوة الكرام، ما من عمل مقدس للمرأة كأن تحسن رعاية زوجها وأولادها، الأصل في العولمة الغربية أن تخرج المرأة من البيت، والآن في العالم الإسلامي نجد امرأة تعمل بدخل زهيد جداً، لا يكفيها للمواصلات فقط، من أجل أن تخرج، ومن أجل أن تعرض زينتها للناس، ومن أجل أن تختلط بالرجال، وهذا هو عمل المرأة المحرم، حيث لا ضرورة، ولا ضوابط شرعية.

أما أن تكون مضطرة، وأما أن يكون العمل وفق خصائصها، وأما أن يكون العمل منضبطاً وفق منهج الله عز وجل، فلا شيء عليها في العمل، بل إن طبيعة الحياة أحياناً تقتضي من المرأة أن تعمل في التدريس، وفي التمريض، وفي شؤون كثيرة لا تحسنها إلا المرأة.

أيها الإخوة الكرام، هذا ملخص الأصل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: الآية 33)

فإذا خرجنَ، فللضرورة:

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

(سورة القصص: الآية 23)

22) حفظ أسرار البيوت :

من لوازم البيت المسلم أن تحفظ أسراره، فمطلوب منك عدم نشر أسرار الاستمتاع بين الزوجين، وعدم تسريب الخلافات الزوجية، وعدم البوح بخصوصيات أحد الزوجين، إليكم الأدلة:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

(سورة النساء: الآية 21)



أفضى بعضكم إلى بعض: يعني اللقاء الزوجي.

وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

((إن من أشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجلُ يفضي إلى امرأته، أو تُفضي إليه، ثم ينشرُ أحدُهما سِرَّ صاحبه))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

ومن أدلة التحريم أيضاً: حَدِيثُ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، رضي الله عنها، أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجال والنساء قعود عنده فقال:

((لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟ فأزمّ القوم، فقلت: أي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن. قال: فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة، فغشيها والناس ينظرون))

[حديث أخرجه أحمد والطبراني في الكبير]

أيها الإخوة الكرام، محرم بنصوص كثيرة أن يفضي الرجل إلى امرأته، وأن تفضي إليه، ثم ينشرا خبر استمتاعهما فيما حولهما.

23) عدم تسريب الخلافات الزوجية :

عدم تسريب الخلافات الزوجية خارج محيط البيت، أيضاً مهم جداً، فإنه كثيراً ما يتدخل أطراف فيزيدون المشكلة تعقيداً، لذلك عدم خروج المرأة من بيتها على الرغم من الخلاف مع زوجها يقضي على هذه المشكلة في أقل وقت، أما إذا خرجت، وأباحت بما بينها وبين زوجها من خلاف، ربما انتهى الخلاف إلى الطلاق.

24) عدم إفشاء الأسرار الخاصة :

عن يحيى المازني رحمه الله: أَنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

((لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ))

[حديث حسن، أخرجه مالك في الموطأ]

إفشاء كل من الزوجين سر الآخر يعدّ من الخيانة:

وأما معنى قوله تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾

(سورة التحريم: الآية 10)

فقد نقل ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية، فقال:

كانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح ليبطشوا به، أما امرأة لوط، فكانت إذا أضاف لوط أحداً، أخبرت أهل المدينة ممن يعملون الفاحشة ليأتوا إليهم.

ليست إذاً خيانة فراش، إذ لا يعقل أن تخون امرأة نبي زوجها خيانة فراش، ولكن هذه خيانة دعوة.

وأية امرأة تبوح بطبيعة عمل زوجها، بحيث يأتيه ضرر كبير، فهذا أيضاً محرم.

25) إشاعة الرفق في البيوت :



أيها الإخوة الكرام، ومن النصائح المعتمدة في البيت المسلم: إشاعة خلق الرفق في البيت.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق))

[حديث رواه الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح]

وعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:

((إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيء إلا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيء إلا شانَهُ))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إنَّ اللهَ رَفيقٌ يُحبُّ الرِّفْقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعْطي على العنفِ، وما لا يُعطي على مَا سِواهُ))

[حديث صحيح، أخرجه مسلم]

26) إعانة أهل البيت في أعمالهم :

الرجال يأنفون من عمل البيت، وبعضهم يعتقد أن هذا ينقص من مكانته ومنزلته، أمّا النبي عليه الصلاة والسلام، فكما تروي السيدة عَائِشَةُ رضي الله عنها، أَنَّهَا سألها رجل هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته؟ قالت:

((نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويرفع دلوه، ويعمل في بيته ما يعمل أحدكم في بيته))

[حديث صحيح، أخرجه أبويعلى وابن حبان]

27) إشاعة المرح في البيت :

الملاطفة والممازحة لأهل البيت، شيء مهم جداً، فقد كان عليه الصلاة والسلام ينصحنا أن نكون مؤنسين للنساء وللأولاد، والنصوص التي تؤكد روح النبي صلى الله عليه وسلم المرحة، ومزاحه الحق مع أهله ومع أولاده أكثر من أن تحصى:

ورد في الأثر: أن عائشة رضي الله عنها سألته يوماً: كيف حبك لي؟ فقال لها: كعقدة الحبل، فصارت تسأله من حين إلى آخر: كيف العقدة؟ يقول: على حالها.

وكان إذا دخل البيت يدعو الصغار، ويتحبب إليهم، ويداعبهم، ويلاعبهم، بل ويركبون على ظهره.

لذلك: علامة المؤمن أنه إذا دخل إلى بيته كان أهله في عيد، وغير المؤمن إذا خرج من بيته كان أهله في عيد، يفرحون إذا خرج من البيت، بينما المؤمن يفرح أهله إذا دخل البيت.

28) محاربة الأخلاق السيئة في البيت :

أيها الإخوة الكرام، لا يخلو بيت من البيوت من خلق لا يرضي الله عز وجل، يتلبّس به أحد أفراد الأسرة، فكان عليه الصلاة والسلام إذا علم أن أحداً من أهل بيته كذب كذبة، لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة، ويبدو أن الإعراض والهجر بترك الكلام والالتفات، من أبلغ العقوبات التي تهز كيان الأولاد الأسوياء، أما العقاب البدني، فله آثاره الوخيمة التي لا تحمد عقباها، ولكن يدعونا النبي عليه الصلاة والسلام بأن نعلق السوط بحيث يراه أهل البيت، فالرجل المؤمن يلوّح بالعقوبة، ولا يستخدمها، كيف أن الله عز وجل أخبرنا في القرآن الكريم:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعدوكم ﴾

(سورة الأنفال: الآية 60)

حينما تملك السلاح الفتاك يرهبك أعداؤك، ولو لم تستخدمه، وهذا الكلام له أدلة كثيرة، أما حينما لا تملك سلاحاً فتاكاً فهناك من يتهمك بالإرهاب، ومن يتهم دينك بأنه دين إرهابي، ومن يتهم القرآن الكريم بأن فيه آيات تدعو إلى القتل، لأن المسلمين ضعاف، فلما استضعفوا تهجم أعداءهم عليهم، قال تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعدوكم ﴾

(سورة الأنفال: الآية 60)

فلا بد من أن يعلق السوط دون أن يستخدم، ليرتدع بعض أفراد البيت:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه آدب لهم))

[حديث رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن]

يعني أكثر تأديباً لهم مما لو فقد العقاب في البيت كلياً.

29) عدم دخول الأجانب على النساء :

أيها الإخوة الكرام، الحذرَ الحَذرَ، الحذرَ الحَذرَ، الحذرَ الحَذرَ، من دخول الأقارب غير المحارم على المرأة عند غياب زوجها، فاحتمال وقوع الفاحشة كبير جداً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا يَخلُونَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم))

[من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

لم يقل لا يخلونَّ كافر بامرأة، ولم يقل لا يخلونَّ فاسق بامرأة، ولم يقل لا يخلونَّ عاصٍ بامرأة، قال:

((ألا لا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان))

[من حديث صحيح، أخرجه الترمذي والحاكم]

30) عدم اختلاط الرجال بالنساء :

أيها الإخوة الكرام، الحذر الحذر من الاختلاط في اللقاءات الأسرية، هيئ مكاناً للرجال ومكاناً للنساء:

﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾

(سورة الأحزاب: الآية 53)

الحذرَ الحَذرَ من الخادمات والسائقين، ففي بعض البلاد الإسلامية هناك مشكلة كبرى تعد الأولى في حياتهم، مشكلة السائق ومشكلة الخادمة، والحذَرَ الحذرَ من أخطار الشاشة، والحديث عن الشاشة طويل جداً، الحذرَ الحَذرَ من أخطار الهاتف، الشاشة والهاتف والسائقين والخادمات والاختلاط ودخول غير المحارم على الزوجة في غياب زوجها.

أيها الإخوة الكرام، لعلكم تعجبون من بعض النصائح الآتية:

31) اختيار موقع البيت :

قد يكون الموقع في حي متفلت، وفي بعض البيوت مسابح، والبيت الذي اشتريته يطل على هذه المسابح، والذين عندهم هذه المسابح لا يعبؤون بقواعد الشرع، ولا بقواعد الأدب، فحينما يطل الأولاد على هذا المسبح، ويرون امرأة تسبح عندئذ يختل نظام البيت، فلا بد من أن تختار بيتاً إلى جنب مسجد، وفي حي محافظ، وحولك أناس مؤمنون، موقع البيت مهم جداً، فكم من أسرة دمرت بسبب موقع البيت.

شيء آخر: ينبغي، أن يكون التصميم الداخلي للبيت تصميماً إسلامياً، والآن البيوت الحديثة بلا جدران، حتى الأبواب عليها بلور شفاف، فأية حركة في البيت يراها الضيوف، هذا النظام الحديث جداً، لكن المسلم له غرفتان، إحداهما للرجال، والثانية للنساء، المسلم إذا دعا أقرباءه فهناك مكانان، للنساء مكان، وللرجال مكان، أما هذا الاختلاط، وهذه الأبواب المفتحة، وهذه النوافذ المفتحة على الجيران، ولا سيما في البيت، وهناك أناس خبثاء جداً يستخدمون المناظير ليطلعوا على عورات المسلمين فهذا أمر خطير.

32) اختيار جيران البيت :

أيها الإخوة، اختيار الجار قبل الدار، وقد ورد في الأثر:

اللهم إني أعوذ بك من جار سوء، إن رأى خيراً كتمه، وإن رأى شراً أذاعه، اللهم إني أعوذ بك من إمام سوء، إن أحسنت لم يقبل، وإن أسأت لم يغفر.

فلا بد من مراعاة الجار.

يروى أن الأمير عبد القادر الجزائري أقام في دمشق، وكان له جار اضطر إلى بيع بيته، فدفع له ثمنًا بخسًا، فغضب غضباً شديداً، وقال: والله لا أبيع جوار الأمير بثلاثمئة ليرة ذهبية، فكانت النتيجة أن أعطاه المبلغ، وقال له: ابقَ جاراً لنا.

من سعادة المرء أن يكون جيرانه صالحين.

أيها الإخوة الكرام، كان عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله من جار السوء في دار المقام:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

((تَعَوَّذُوا بالله من جارِ السُّوء في دار المُقامِ، فإن جارَ البادي يَتَحَوَّلُ عنكَ))

[حديث حسن، أخرجه النسائي]

33) العناية بصحة أهل البيت :

شيء آخر، البيت المسلم يحتاج إلى رعاية صحية عالية، فالاعتناء بصحة أهل البيت وإجراءات السلامة أمر مهم جداً، فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات، وكان إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء، وبحسب القواعد الطبية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، التي كان يستخدمها لمراعاة أو لعلاج أهل بيته، هناك إجراءات لا بد منها، أحياناً يحترق البيت بأكمله، لأنها تركت المدفأة متوقّدة في الليل، وأحياناً ينفجر البيت، لأن أسطوانة الغاز لم تكن محكمة الإغلاق، فلذلك ورد في الحديث:

لابد من إجراءات أمان داخل المنزل

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أغلقوا أبوابكم، وأوكوا أسقيتكم، وخمِّروا آنيتكم، وأطفئوا سرجكم، فإن الشيطان لا يفتح غلقاً، ولا يحل وكاءً، ولا يكشف غطاءً، وإنَّ الفويسقة ربما أضرمت على أهل البيت بيتهم ناراً))

[من حديث صحيح عند ابن خزيمة]

أي تسحب الفأرة فتيل السراج فيشتعل البيت، لو تتبعنا المصائب الكبيرة التي أصابت البيوت لمخالفة هذه البنود، لوجدناها كثيرة.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:

((لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون))

[حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم]

أيها الإخوة الكرام، هذه النصائح المذكورة في خطب ثلاث، هي من أجل صيانة البيت المسلم من التفتت، ومن الضياع، هذه النصائح كلها مؤصلة بالقرآن الكريم، وبحديث سيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم.

أيها الإخوة، يقول الإمام علي كرم الله وجهه: قوام الدين والدنيا أربعة رجال، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه.

الآن دققوا في تفصيل ذلك: فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنيا غيره.

وأخيراً :

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

قرارات مؤتمرات السكان :

أيها الإخوة الكرام، هذا عن البيت المسلم، فماذا عن مؤتمرات السكان التي عقدت تباعاً خلال النصف القرن الماضي، وكان آخرها مؤتمر بكين الذي عقد في عام خمسة وتسعين، وبعد شهرين سيعقد المؤتمر الأخير، مؤتمر السكان:

هذه المؤتمرات، واللهِ أعتقد أنكم لا تصدقون، هذه المؤتمرات تؤكد بكل وثائقها المعتمدة حق المرأة والفتاة في التمتع بحريتها الجنسية، آمنةً مع من تشاء، وفي أي سن تشاء.

الحرية الجنسية الكاملة للزوجة، أو للفتاة مع من تشاء، وفي أي سن تشاء، وليس بالضرورة في إطار الزواج الشرعي، مع تقرير الإباحية الجنسية، وإلزام جميع الدول الموافقة على ذلك، هذه هي عولمة المرأة. أسوق لكم هذه المقررات التي صدرت، وأقرتها مئة وتسعة وثمانون دولة، وسوف تصل هذه إلى تشريعاتها، وقوانين الأحوال الشخصية فيها، وسوف تعاقب الدولة التي لا تنفذ هذه التعليمات.

وازنوا بينها وبين شرع الله عز وجل، وإلزام جميع الدول بالموافقة على ذلك مع المطالبة بسن القوانين التي يعاقب بها كل من يعترض على هذه الحرية، حتى ولو كان المعترض أحد الوالدين، وهذا يستدعي تقليص ولاية الوالدين حتى ولو كانت تلك الممارسات داخل البيت:

لو أن الأب رأى مع ابنته في فراشها صديقاً لها يجامعها ينبغي ألاّ ينطق بكلمة، هكذا تقضي القوانين، يجب أن تعلموا ماذا يخطط لنا، يجب أن تعلموا أن قوة هذه الأمة بتطبيق دينها، فإذا أجبرت على التخلي عن دينها أصبحت أمة كأية أمة، لا وزن لها في الأرض.

أنا ألخص لكم ما جاء في مؤتمرات عديدة، ولكن أبرز هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة، ومؤتمر بكين، والآن مؤتمر بعد أشهر، هو المؤتمر الأخير:

وللفتاة والفتى أن يرفع الأمر إلى السلطات التي ستلزم بسن قوانين تعالج أمثال هذه الشكاوى، المهم أن تعطى الفتاة أو الشاب الحرية التامة في أي سن قبل الزواج بالممارسات الإباحية، ولو في بيت الوالدين. هذه المؤتمرات تطالب بحق المراهقات الحوامل في مواصلة التعليم دون إدانة لهذا الحمل السفاح، فالوثيقة تدعو إلى سن قوانين للتعامل مع حمل السفاح لتكون وثيقة تدخل بها الحامل إلى المستشفى لتسقط الجنين، وهي آمنة من أية مساءلة، مع إباحة الإجهاض.

أما المرأة فلها أن تسافر متى تشاء بلا إذن زوجها، ولها أن تعمل بأي عمل تشاء من دون إذن زوجها، ولها أن تسكن في أي مكان تشاء بعيداً عن زوجها، هذا من حق المرأة.

أما كلمة الزوج فلم تذكر في هذه الوثائق، ولا مرة، لأن الزواج يعد في هذه الوثائق عملية اغتصاب للزوجة، وأن تعمل الزوجة عملاً بلا مقابل.

ولم ترد كلمة الوالدين إلا مصحوبة بعبارة: أو كل من تقع عليه مسؤولية الأطفال. لأن في الزواج المثلي ليس هناك والدان، ولكن هناك شركاء.

ولم ترد كلمة الزوج ولا مرة، جاء بديلاً عنها: الشريك، وعقد الزواج: عقد بين شخصين.

وقعت على هذه التوصيات مئة وثلاث وثمانون دولة لتصبح هذه المقررات مرجعية في العلاقات الأسرية.

حقيقة العولمة :

أيها الإخوة الكرام، هذا ما يراد لنا، وهذه هي العولمة، وما من تعريف جامع مانع للعولمة إلا كلمة: الحيونة، أي أن يعود الإنسان لحيوانيته.

أنا لا أصدق أن ندرك جميعاً تطبيق هذه التوصيات إن شاء الله تعالى، لأن وعي المسلمين أكبر بكثير من هذا الشيء الساقط، لا نعرف قيمة هذا الدين ولا عظمة هذا التشريع إلا أن نوازنه مع هذه التشريعات الأرضية التي تجعل الإنسان يعبد الجنس من دون الله.

أيها الإخوة الكرام، إما أن تخطط، وإما أن يخطط لك، إما أن تخطط لهدف واضح، وإما أن تكون رقماً لا معنى له في خطة أعدائك.



فلا بد من أن أدعوكم إلى اليقظة، إلى ترسيخ معالم هذا الدين، إلى تطبيق هذه الشريعة الغراء، ولكن أريتكم الشيء الذي لا يصدق، هذا الذي يرسم لشعوب العالم الثالث، هذا الذي سوف يصدر، ولا أبالغ، الدولة التي لا تغير قوانين أحوالها الشخصية وفق هذه التوصيات ربما عوقبت بحصار اقتصادي، أما الدولة التي تطبق هذه القوانين فربما أعطيت مساعدات جزيلة.

القصد أن العالم الغربي لأنه انتهى يريد أن يجعل العالم كله على شاكلته عن طريق قوة القانون، وعن طريق هيمنة القطب الواحد.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المؤمنين في كل مكان، في العراق وفلسطين، يا رب العالمين.

خذ بيد ولاة المسلمين لما تحب وترضى يا رب العالمين، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اتجاه الآباء إلى التوازن في البيت :

أيها الأخوة الكرام، أنا أتوجه إلى الآباء إذا كان كل شيء عندك ممنوع بشكل سهل، من دون تدقيق، من دون متابعة، من دون دراسة، من دون معرفة الحكم الصحيح، هذا البيت يغدو بالنسبة للأولاد منفراً، يلجؤون إلى الطريق، وإلى أصدقاء السوء .


على الأب أن يجعل توازنا في البيت لكي لا يغدو بالنسبة للأولاد منفرا

فالشيء المشروع الذي يمتص جهد الأطفال، ويملأ فراغهم، وهو قد أقره النبي . عليه الصلاة والسلام . اسمح به ولا حرج، أي رياضة منضبطة معقولة تعلق بها الابن، ليس لها أي مضاعفات خطيرة، اللاعبون تعرفهم جميعاً، المكان آمن، هناك مراقبة، لا بد من أن تعطي الطفل شيئاً من الممارسة لهوايات مشروعة حتى يبقى منجذباً إليك، فأنا أسمح ببعض الأشياء التي سمح بها الشرع، التحريم سهل يحسنه أي إنسان، كله حرام، فلما صار كله حرام صار الانحراف كله حلال، فاجعل هناك توازناً في البيت، إذا شاهدت لعباً مقبولاً شرعياً يمتع الطفل قليلاً اسمح به، لئلا ينقلب هذا إلى عمل أكبر.

كان النبي . عليه الصلاة والسلام . يتخولنا في الموعظة، دائماً الوضع المعتدل الوسطي هو الذي يشد الأطفال إلى الدين، فلا بد من مراعاة مناشطه، وأنا أتمنى أن يكون كل معهد له منتجع من أجل أن يفرغ الصغار حاجاتهم، والتي تؤكد طفولتهم، لئلا يجذبهم الطرف الآخر إلى رياضات فاسدة.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو

عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، انصر المسلمين في كل مكان، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين .

والحمد لله رب العالمين

المحتويات